ولاية ابن سهلان العراق
وفي سنة تسع وأربعمائة استعمل سلطان الدولة أبا محمد الحسن ابن سهلان على العراق
في المحرم، فسار، وأوقع في طريقه بالعرب، ولما وصل واسط وجد الفتن بها قائمة، فأصحها،
وقتل جماعة من أهلها، وورد عليه الخبر باشتداد الفتن ببغداد، فسار إليها، فدخلها في
أواخر شهر ربيع الآخر، فهرب منه العيّارون ونفى جماعة من العبّاسيين وغيرهم، ونفي أبا
عبد اللّه محمد بن النعمان فقيه الشيعة، وأنزل الديلم أطراف الكرخ وباب البصرة، ولم تكن
له عادة بالنزول هناك، ففعلوا من الفساد ما لم يشاهد مثله، فمن ذلك أن رجلاً من
المستورين أغلق بابه عليه خوفاً منهم، وانقطع بداره، فلما كان في أول يوم من شهور رمضان
خرج لبعض شأنه وقد أطمأن لتعظيم الشهر، وكفَّ الناس فيه عن الفساد، فرآهم على
حال على عظيم من الفساد وشرب الخمور، فأراد الرجوع إلى داره، فمنعوه وأكرهوه على
الدخول معهم إلى دار من دورهم، وألزموه بشرب الخمر، فامتنع، فصبوها في فيه قهراً،
وقالوا له: قم إلى هذه المرأة فافعل بها، فامتنع فألزموه، فدخل معها إلى بيت في الدار،
وأعطاها دارهم، وقال لها:هذا أول يوم من شهر رمضان، والمعصية فيه تتضاعف، وأحب
أن تخبريهم أني فعلت، فقالت، لا، ولا كرامة، ولا عزازة، أنت تصون دينك عن الزنا في هذا
الشهر، وأنا أريد أن أصون أمانتي ولساني عن الكذب فيه، فصارت هذه الحكاية سائرة في
بغداد، ثم إن واسط، فلقوا بها سلطان الدولة، فشكوه إليه فسكنَّهم، ووعدهم أن يتوجه
إلى بغداد ويصلح الحال، وكتب إلى ابن سهلان يستقدمه، فخافه، فهرب إلى بني حفاجة، ثم
إلى الموصل، ثم إلى الأنبار ثم سار إلى البطيحة.
ملك مشرف الدولة
أبي علي بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن بن بويه العراق
كان استيلاء مشرف الدولة على العراق في سنة إحدى عشرة وأربعمائة، وكان سبب
ذلك أن الجند شغبوا على سلطان الدولة، ومنعوه من الحركة، وأرادوا ترتيب مشرف
الدولة أخيه في الملك، فأشير على سلطان الدولة بالقبض عليه، فلم يمكنه من ذلك، وأراد

سلطان الدولة الانحدار إلى واسط، فقال له الجند: إما أن تجعل عندنا ولدك، أو أخالك
مشرف الدولة، فراسل أخاه مشرف الدولة بذلك، فامتنع ، ثم أجابه بعد معاودة، ثم اتفقا،
واجتمعا ببغداد، واستقر بينهما أنهما لا يستخدمان ابن سهلان، وفارق سلطان الدولة
بغداد، وقصد الأهواز، واستخلف أخاه مشرف الدولة بها، فلما انحدر سلطان الدولة
ووصل تستر استوزر ابن سهلان، فاستوحش مشرف الدولة، فانفذ سلطان الدولة ابن
سهلان ليخرج أخاه مشرف الدولة من العراق، فجمع مشرف الدولة عسكراً كثيراً، منهم
أتراك واسط، وأبو الأعز دبيس بن علي بن مزيد، ولقي ابن سهلان عند واسط، فانهزم
ابن سهلان، وتحصَّن بواسط، فحصروه مشرف الدولة وضيَّق عليه، حتى بيع كرَّ الحنطة
بألف دينار قاشانية، وأكل الناس حتى الكلاب، فاستخلف ابن سهلان مشرف الدولة ،
وسلم إليه البلد، وخرج إليه، فخوطب حينئذ مشرف الدولة، وسلم إليه، فخوطب حينئذ
مشرف الدولة، وذلك في ذي الحجة سنة إحدى عشرة وأربعمائة، و 0حضر إليه الديلم
الذين كانوا بواسط، وصاروا معه، فحلف لهم وأقطعهم، فلما اتصل الخبر بسلطان الدولة
سار عن الأهواز إلى أرجان، وقطعت خطبته من العراق، وخطب لمشرف الدولة ببغداد،
في أول المحرم سنة نثتي عشرة وأربعمائة، وقبض على الوزير ابن سهلان، وكحله؛ فلما سمع
سلطان الدولة بذلك ضعفت نفسه، وسار إلى الأهواز في أربعمائة فارس، فقلت عليهم
الميرة، فنهبوا السواد في طريقهم، فاجتمع الأتراك الذين الأتراك الذين بالأهواز، وقاتلوا
أصحاب سلطان الدولة، ونادوا بشعار مشرف الدولة.
قال: ولما خطب لمشرف الدولة طلبوا منه أن ينحدروا إلى بيوتهم بخوز ستان، فأذن لهم،
وأمر وزيره أبا غالب بالانحدار معهم، فقال له: إن فعلت خاطرت بنفسي، ولكن أبذلها في
خدمتك، ثم انحدر بالعسكر، فلما وصل إلى الأهواز نادي الديلم بشعار سلطان الدولة،
وهجموا على أبي غالب، فقتلوه، فسار الأتراك الذين كانوا معه إلى طراد بن دبيس، ولما بلغ

سلطان الدولة قتله اطمأن، وقويت نفسه، وأنفذ ابنه إلى الأهواز، فملكها.
الصلح بين سلطان الدولة وأخيه مشرف الدولة
وفي سنة ثلاث عشرة وأربعمائة حصل الإنفاق والصلح بينهما، على أن يكون العراق
جميعه لمشرف الدولة، وفارس وكرمان لسلطان الدولة، وحلف كل منهما لصاحبه.
الخلف بين مشرف الدولة والأتراك وعزل الوزير ابن المغربي
وفي سنة خمس عشرة وأربعمائة تأكدت الوحشة بين الأثير عنبر الخادم، ومعه الوزير ابن
المغربي وبين الأتراك، فاستأذن الأثير والوزير مشرف الدولة في الانتزاح إلى بلد يأمنان فيه
على أنفسهما، فقال: وأنا واللّه أسير معكما؛ فساروا جميعاً، ومعهم جماعة من مقدّمي
الديلم إلى السندية، وبها قرواش، ثم سروا إلى أوانا، فعظم ذلك على الأتراك، فراسلوه،
واعتذروا، فكتب إليهم الوزير يقول: إنني تأملت ما لكم من الجامكيات. فإذا هي ستمائة
ألف دينار، وعلمت دمخل بغداد، فلإذا هو أربعمائة ألف دينار، فإن أسقطتم مائة ألف
تحملت الباقي، فقالوا: نحن نسقطها، فاستشعر منهم الوزير، فهرب إلى قرواش، فكانت
وزراته عشرة أشهر وخمسة أيام، فلما أبعد خرج الأتراك، وسألوا مشرف الدولة، والأثير في
الانحدار معهم، فأجابهم إلى ذلك.
وفاة سلطان الدولة
كانت وفاته بشيراز في شوال سنة خمسة عشرة وأربعمائة، وكان عمره اثنين وثلاثة سنة
وخمسة أشهر، وخمسة أيام، ومملكة بالحضرة، وإمارته ببلاد فارس، وخوزستان، وكرمان
ثنتي عشرة سنة، وأربعة أشهر وثلاثة أيام.
وزراؤه: فخر الملك أبو غالب بن خلف إلى أن قتله بالأهواز، واستوزر أبا محمد الحسن
بن الفضل بن سهلان، واستوزر ذا السعادتين أبا غالب الحسن بن منصور، ثم استوزر أبا
الفتح عبد الحيم بن إبراهيم بن الخصيب وقبض عليه واستوزر أبا محمد الحسن بن محمد
بن بابشاد من أهل رامهرمز. ولما مات، ولى بعده ابنه أبو كاليجار المزربان، على ما نذكره،
بعد عمه.
وفاة مشرف الدولة

كانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة وأربعمائة، وعمره ثلاث وعشرون سنة
وثلاثة أشهر، وملكه خمس سنين، وخمسة وعشرون يوماً، وكان ملكاً عادلاً، كثير الخير،
قليل الشر، حسن السيرة.
وزراؤه، ذو السعادتين أبو غالب الحسن بن منصور، ثم عزله، واستوزر مؤيد الملك زعيم
الكفاءة مجد المعالي أبا علي الحسن في سنة خمس عشرة وأربعمائة، ثم استوزر أبا قاسم
بن المغربي.
سلطنة جلال الدولة
هو أبو طاهر فيروز خسرو بن بهاء الدولة خسرو فيروز بن عضد الدولة ابن ركن الدولة
بن بويه. ملك بعد وفاة أخيه مشرف الدولة، في شهر ربيع الأول سنة ستة عشر وأربعمائة
وكان عند وفاته بالبصرة، وكان أبوه قد رتبه بها في حياته، فلما مات مشرف الدولة خطب
له ببغداد، وطلب فلم يصعد إليها، وإنما بلغ واسط، وأُقام بها، ثم عاد إلى البصرة،
فقطعت خطبته، وخطب لإبن أخيه أبي كاليجار ابن سلطان الدولة في شوال، وهو حينئذ
صاحب خوزستان، فما اتَّصل ذلك بجلال الدولة أصعد إلى بغداد، فانحدر عسكر ليرده
عنها، وقاتلوه ونهبوا بعض خزائنه، فعاد إلى البصرة، وأرسلوا إلى الملك أبي كالنجار
ليحضره إلى بغداد، فوعدهم بذلك، ولم يمكنه. لأن الحرب كانت بينه وبين عمه أبي
الفوارس صاحب كرمان، وانقطعت خطبة جلال الدولة إلى سنة ثمان عشرة وأربعمائة، ثم
عاد إلى السلطنة، وكان سبب ذلك أن الأتراك كانوا قد طمعوا في الناس ببغداد،
وصادروهم، وأخذوا أموالهم، وعظم الخطب، وزاد الشر، وأحرقت المنازل، والدروب،
والأسواق، وطمع العيّارون، والعامة، فكانوا يدخلون على الرجل فيطالبونه بذخائره كما
يفعل السلطان بمن يصادره، ووقعت الحرب بين العامّة والجد، فطفر الجند بهم، ونهبوا الكرخ
وغيره، وذلك في سنة سبع عشرة، فلما رأى القوادّ وعقلاء الجند أن الملك أبا كاليجار لا
يصل إليهم، وأن البلاد قد خربت، وطمع فيهم المجاورون لهم من الأعراب والأكراد،

وقصدوا دار الخلافة، وراسلوا الخليفة القادر بالله، واعتذروا من انفرادهم بالخطبة لجلال
الدولة أولاً، وردَّهم له ثانياً، وبالخطبة لأبي كالنجار، وقالوا: إن أمير المؤمنين صاحب الأمر
ونحن العبيد، وقد أخطأنا، ونسأل العفو، ولا يدّلنا ممّن يجمع كلمتنا، وسألوا أن يرسل
الخليفة إلى جلال الدولة ليصعد إلى بغداد، ويملكه ويجمع الكلمة، وأن يحلفه رسول
الخليفة، فأجابهم الخليفة إلى ما سألوا، وراسله هو وقواد الجند في الإصعاد، واليمين
للخليفة، ولهم، فحلف لهم، وأصعد إلى بغداد، وانحدر الأتراك إليه، فلقوه في الطريق،
ووصل بغداد في ثالث شهر رمضان سنة ثماني عشرة وأربعمائة، ونزل بالنجمي، فركب
الخليفة في الطيّار، وانحدر لتلقيه، فلما رآه جلال الدولة، قبل الأرض بين يديه ، ثم دخل
جلال الدولة إلى دار المملكة، وأمر بضرب السُّوب الخمس على بابه في أوقات الصلوات،
فراسله الخليفة في قطعها ، فقطعها غضباً، ثم أذن له الخليفة في إعادتها ففعل.

شغب الأتراك ببغداد
على جلال الدولة

وفي سنة تسع عشرة وأربعمائة ثار الأتراك ببغداد على جلال الدولة، وطالبوا الوزير أبا
علي بن ماكولا بمالهم من المعلوم، ونهبوا داره ودور كتاب جلال الدولة، وحواشيه، حتى
المغنِّين، والمخنثين، ونهبوا صياغات أخرجها جلال الدولة، ليضربها دنانير ودراهم، ويغرفها
فيهم، وحصروا جلال الدولة في داره، ومنعوه الطعام والماء حتى شرب أهله ماء البئر،
وأكلوا ثمرة البستان، فسألهم أن يمكنوه من الانحدار، فتأخروا له ولأهله، فجعل بين الدار
وبين السفن سرادقاً لتجتاز حرمه فيه، لئلا يراهم العامة والأجناد، فقصد بعض الأتراك
السرادق، فظن جلال الدولة أنهم يريدون الحريم، فصاح بهم، وقال: بلغ من أمركم إلى
الحريم؟ وتقدم إليهم وبيده طبر، فصاح صغار الغلمان، والعامة: جلال الدولة يا منصور؛
ونزل أحدهم عن فرسه، وأركبه إياه، وقبلوا الأرض بين يديه، فرجعوا إلى منازلهم، ولم تمض
عشرة أيام حتى عادوا ، وشغبوا؛ فباع جلال الدولة فرشه، وثيابه، وخيامه، وفرق أثمان

ذلك فيهم، فسكنوا، وضعف حال جلال الدولة، وقلت الأموال عنده، وطمع القواد فيه،
حتى انتهى حاله في سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة في شهر رجب أن أخرج دوابه من
الإصطبل، وهي خمس عشرة دابة وسيَّبها في الميدان، بغير سايس، ولا حافظ، ولا علف،
فقيل: إنه فعل ذلك لأمرين: أحدهما: عدم العلف عنده،
والثاني: أن الأتراك كانوا يلتمسون
دوابه يطلبونها منه، فضجر من ذلك، فأخرجها، وقال: هذه دوابي، خمسة لمركوبي،
والباقي لأصحابي، وفرق حواشيه، وفراشيه، وأتباعه، وأغلق باب داره لإنقطاع جاريه
فثارت فتنة لذلك بين العامة والجند، وعظم الأمر، وظهر العيّارون ببغداد.
وثوب الجندية
وإخراجه من بغداد وعوده إليها
وفي سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة في شهر ربيع الأول، تجددت الفتنة بين جلال الدولة وبين
الأتراك وبين الأتراك، فأغلق بابه، فجاء الأتراك ونهبوا داره، وسلبوا الكتّاب، وأرباب
الديوان ثيابهم، وطلبوا الوزير أبا إسحاق السهيلي، فهرب، وخرج جلال الدولة إلى عكبرا،
في شهر ربيع الآخر، وخطب الأتراك ببغداد للملك أبي كاليجار، وأرسلول إليه يطلبونه وهو
بالأهواز، فمنعه العادل بن ماقيه من الإصعاد إلى أن يحضر بعض قوادهم ، فلما رأوا
إمتناعه من الوصول إليهم، أعادوا خطبة جلال الدولة، وساروا إليه، وسألوه العود إلى
بغداد، فعاد بعد ثلاثة وأربعين يوماً.
واستوزر أبا القاسم بن ماكولا، ثم عزله، واستوزر بعده عميد الملك أبا سعيد عبد
الرحيم، فوزر أياماً ثم استتر، وسبب ذلك أن جلا الدولة تقدم إليه بالقبض على أبي المعّمر
إبراهيم بن الحسين البسامي طمعاً في ماله عليه، وجعله في داره فقبض فثار الأتراك،
وقصدوا دار الوزير، وضربوه، وأخرجوا من داره حافياً، ومزقوا ثيابه وعمامته، وأخذوا
خواتيمه فدميت إصبعه، وكان جلال الدولة في الحمام، فخرج فزعاً لينظر ما الخبر، فوجد
الوزير فقبلّ الأرض، وذكر ما فعل به، فقال له جلال الدولة أنا ابن بهاء الدولة، وقد فعل فيَّ

أكثر من هذا، ثم أخذ من البسامي ألف دينار، وأطلقه، واختفى الوزير.
وفي سنة أربع وعشرين وأربعمائة في شهر رمضان شغب الجند على جلال الدولة، وقبضوا
عليه، وأخرجوه من داره، ثم سألوه ليعود إليها فعاد، وسبب ذلك أنه استقدم الوزير أبا
القاسم من غير أن يعلموا، فاستوحشوا من ذلك، واجتمعوا وهجموا عليه في داره،
وأخرجوه إلى مسجد هناك، فوكلوا به فيه، وأسمعوا ما يكره، ونهبوا بعض ما في داره،
فجاء بعض القواد في جماعة من الجند، وأعاده إلى داره، فنقل جلال الدولة حرمه، وما
فضل في داره بعد النهب، إلا الجانب الغربي، ونزل وبدار المرتضى، وعبر الوزير معه، ثم
أرسله الجند، وقالوا نريد أن تنحدر عنا إلى واسط، وأنت ملكنا، وتترك عندنا بعض
أولادك الأصاغر، فأجابهم إلى ذلك، وأرسل سراً إلى الغلمان الأصاغر، واستمالهم، وإلى
كل واحد من الأكابر واستماله، وقال: إنما وثوقي بك وسكوتي إليك، فمالوا إليه ودخلوا
عليه، وقبلوا الأرض بين يديه، وسألوه العود إلى داره، فعاد وحلف لهم على الإخلاص،
والإحسان إليهم، وحلفوا له على المناصحة.
وفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة عاد الجند إلى الشغب وثاروا به وأرادوا إخراجه من
بغداد، فاستمهلهم ثلاثة أيام، فلم يمهلوه، ورموه بالآجر، فأصابه بعضه، فاجتمع الغلمان،
وردّهم عنه، فخرج من باب لطيف، وركب في سماريَّة متنكَّراً، وصعد راجلاً منها إلى دار
المرتضى بالكرخ، ثم سار إلى رافع بن الحسين بتكريت، وكسّر الأتراك باب داره، ودخلوها،
ونهبوها، وخلعوا كثيراً من ساجها وأبوابها، فأرسل الخليفة إليهم، وسكنهم، وأعاده إلى
بغداد. واللّه أعلم.

قتل بارسطغان

وفي سنة ثمان وعشرين وأربعمائة كانت الفتنة بينهما، وكان بارسطغان من أكابر الأمراء،
ويلقب حاجب الحجاب، وكان سبب الفتنة: أن جلال الدّولة نسبه إلى فساد الأتراك،
والأتراك نسبوه إلى أخذ الأموال، فخاف على نفسه، فالتجأ إلى دار الخلافة، وذلك في شهر

رجب سنة سبع وعشرين، فمنع الخليفة منه، وأرسل بارسطغان إلى الملك أبي كاليجار
يحثه على طلب ملك العراق، فأرسل أبو كاليجار جيشاً فوصلوا إلى واسط وأخرجوا
منها الملك العزيز بن جلال الدولة، فأصعد إلى أبيه، فعند ذلك كشف بارسطغان القناع،
وانضَّم إليه أصاغر المماليك، ونادوا بشعار أبي كاليجار، وأخرجوا جلال الدولة من
بغدادن فسار إلى أوانا ومعه البساسيري، وأرسل بارسطغان إلى الخليفة في الخطبة لأبي
كاليجار، فامتنع واحتج بعهود جلال الدولة، فأكره الخطباء على الخطبة لأبي كاليجار،
ففعلوا، وسار الأجناد الواسطيّون إلى باب بارسطغان، وكانوا معه، ثم عاد جلال الدولة
إلى الجانب الغربي ببغداد، ومعه قراوش بن المقلَّد العقبلي ودبيس بن علي بن مزيد
الأسدي، وخطب بالجانب الغربي، ولأبي كاليجار بالجانب الشرقي، ثم سار جلال الدولة
إلى الأنبار، وسار قرواش إلى الموصل، ووصل الخبر إلى بارسطغان بعود أبي كاليجار إلى
فارس ،ففارقه الدَّيلم الذين كانوا نجدةً له، فضعف أمره، فرفع ماله وحرمه الدولة إلى دار
الخلافة، وانحدر إلى واسط، وعاد جلال الدولة إلى بغداد، وأرسل البساسيري والمرشد
وبني خفاجة في إثر بارسطغان ، ومعهم جلال الدولة ودبيس، فلحقوه بالخيزرانية، فقاتلو،
فسقط عن فرسه، فأسر وجيء بهفأسر وجيء به إلى جلال الدولة، فقتله، وكان عمره
نحواً من سبعين سنة، فضعف أمر الأتراك، وطمع فيهم الأعراب، واستولوا على إقطاعهم.

الصلح بين جلال الدولة وأبي كاليجار

وفي سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وقع الصّلح بين جلال الدّولة، وأبي كاليجار، والاتفاق،
وزال الخلف بعد أن كان بين عساكرهما حرب قبل ذلك، فاتفقا الآن، وكان الرسل في الصلح
أقضى القضاة أبا الحسن الماوردي، وأبا عبد الله المردوستي، وغيرهما، وتزوَّج أبو منصور
بن علي أبي كاليجار بابنة جلال الدولة، وكان الصداق خمسين ألف دينار قاشانيه. والله
أعلم.

مخاطبة جلال الدولة بملك الملوك

وفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة سأل جلال الدولة الخليفة القائم بأمر الله أن يخاطب
بملك الملوك، فامتنع، ثم أجاب إذا أفتى الفقهاء بجوازه، فأفتى قاضي القضاة أبو الطيب
الطبري، والقاضي أبو عبد الله الصيمري، والقاضي ابن البيضاوي، بجواز ذلك، ومنع منه
أقضى القضاة أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي الشافعي، وجرى بينه وبين
من أفتى بجوازه مراجعات، فخطب لجلال الدولة بملك الملوك، وكان الماوردي من أخص
الناس بجلال الدولة وهو يتردَّد إلى دار الملك في كل يوم، فلما أفتى بالمنع انقطع، ولزم بيته من
شهر رمضان إلى يوم عيد النحر، استدعاه جلال الدّولة، فحضر خائفا، فأدخل عليه
وحده، فقال له: قد علم الناس أنك من أكثر الفقهاء مالا وجاهاً وقرباً منا، وقد خالفتهم
فيما وافق هواي، ولم تفعل ذلك لعدم المحاباة منك واتباع الحق، وقد بان لي موضعك من
الدين، ومكانك من العلم، وجعلت جزاء ذلك إكرامك، بأن أدخلتك إليَّ وحدك، وجعلت
إذن الحاضرين إليك ليتحققوا عودي إلى ما تحب، فشكره ودعا له، وأذن لكلٍّ من حضر
للخدمة بالانصراف، والله أعلم.

ذكرى وفاة جلال الدولة

كانت وفاته ببغداد سادس شعبان سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، وكان مرضه ورما في
كبده، وكان مولده في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة، وكانت مدة عمره إحدى وخمسين سنة،
ومدة مله ببغداد من خطب له ثانيا، سبع عشرة سنة وشهرين، ومنذ وصل إليها ست
عشرة سنة وأحد عشرة شهراً، وكانت أيامه كثيرة الوهن والاضطراب ، وضعفت المملكة
في أيامه،وقد تقدم ما يدل على ذلك، وكان كثير الصدقة، وزيارة الصالحين والمشاهد،وكان
يمشي حافياً قبل وصوله إلى كل مشهد نحواً فرسخ.

أولاده :الملك العزيز أمير الأمراء أبو منصور،توفي بديار بكر في سنة إحدى وأربعين
وأربعمائة،وعمره ثلاث وثلاثون سنة

وزراؤه:أبو سعد عبد الواحد بنِعلي بن ماكولا، ثم نكبه، واستوزر أخاه أبا علي الحسن،
ثم عزله، واستوزر أبا القاسم بن ماكولا، وهو أخوهما، ثم استوزر عميد أبو سعيد عبد

الرحيم، واستوزر غير هؤلاء، والله اعلم.
أخبار السلطان شاهنشاه
هو أبو كاليجار المرزبان بن سلطان الدولة أبي شجاع فناخسرو بن بهاء الدولة أبي نصر
خسرو فيروز بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه، ملك بعد وفاة والده سلطان الدولة،
كرمان، وفارس، وخوزستان، ثم ملك الحضرة ببغداد، بعد وفاة عمِّه جلال الدولة، على ما
سنذكره إن شاء الله تعالى.
ابتداء ملكه
لما توفي والده سلطان الدولة في شوال سنة خمس عشرة وأربعمائة بشيراز، كان هو
بالأهواز، فطلبه الأوحد أبو محمد بن مكرم ليملك البلاد، وكان هواه معه، وهوى الأتراك
مع عمه أبي الفوارس بن بهاء الدولة صاحب كرمان، فكاتبوه أيضا يطلبونه إليهم، فتأخر أبو
كاليجار، وسبقه عمه أبو الفوارس إليها، فملكها، وكان أبو المكارم ابن أبي محمد بن مكرم
قد أشار عليه ابنه، لما رأى الاختلاف، أن يسير إلى مكان يأمن فيه عل نفسه، فلم يقبل
قوله، ففارقه، وقصد البصرة، فلما ملك أبو الفوارس طالبه الجند بحق البيعة، فأحالهم على
ابن مكرم، وألزمه بإيصال المال إليهم، فتضجر من ذلك، فقبض أبو الفوارس عليه وقتئذ،
فلما سمع ابنه بقتله صار مع الملك أبي كاليجار وأطاعه، وتجهز الملك أبو كاليجار، وقام
بأمره أبو مزاحم صندل الخادم مربيه، وساروا بالعساكر إلى فارس، فبعث أبو الفوارس
عسكراً مع وزيره أبي منصور الحسن بن علي البشنوي لقتاله، فوصل أبو كاليجار والوزير
فتهاون به؛ لكثرة عساكره، فأتوه وهو نائم، وقد تفرق عسكره في البلد، لابتياع ما يحتاجون
إليه، وكان جاهلاً بالحرب، فلما شاهد أعلام أبي كاليجار شرع الوزير يرتب العسكر، وقد
داخلهم الرعب، فحمل عليهم أبو كاليجار، فانهزموا وغنم أموالهم، فلما انتهى خبر الهزيمة
إلى أبي الفوارس
عودة أبي الفوارس إلى فارس
واخراجه
قال: ولما ملك أبو كاليجار البلاد،ودخل شيراز،وجرى على الدّيلم الشيرازيَّة من عسكره

ما أخرجهم عن طاعته، وتمنوا أنهم كانوا قتلوا مع عمه، ثم إن عسكر أبي كاليجار شغبوا
عليه وطالبوه بالمال فأظهر ديلم شيراز ما في نفوسهم من الحقد، فعجز عن المقام معهم،
فسار عن شيراز إلى النونبدجان، ولقي شدَّة في طريقه، ثم فارقها لشدَّة حرِّها، ووخامة
هوائها إلى شعب بوّان، فأقام به، وهو أحد متنزهات الدنيا الأربع، ولما سار عن شيراز
أرسل الدَّيلم الشيرازيّون إلى أبي الفوارس يحثّونه على الوصول إليهم، فسار إليهم وتسلَّم
شيراز، وقصد أبا كاليجار بشعب بوَّان، ثم استقر بينهما الصلح، على أن يكون لأبي
الفوارس كرمان وفارس، ولأبي كاليجار خوزستان، وعاد أبو الفوارس إلى شيراز، وسار أبو
كاليجار إلى أرَّجان، ثم إن وزيره أبي الفوارس صادر الناس، وأفسد قلوبهم، واجتاز به مال
لأبي كاليجار ولمن معه من الديلم، فأخذه، فحينئذ حيَّ العادل ابن ماقيه صندلاً الخادم
على العود إلى شيراز، فعادت الحال إلى أشدِّ ما كانت عليه، ثم حرج كل واحد، من أبي
الفوارس وأبي كاليجار، والتقوا واقتتلوا، فانهزم أبو الفوارس إلى دارا بجرد، وملك أبو
كاليجار فارس، وعاد أبو الفوارس فجمع الأكراد، فاجتمع له نحو عشرة آلاف مقاتل، والتقوا
واقتتلوا نحو البيضاء، واصطخر، فانهزم أبو الفوارس ومن معه، وسار إلى كرمان، واستقر
ملك أبي كاليجار بفارس، في سنة سبع عشرة وأربعمائة، وفي أثناء ذلك خطب لأبي
كاليجار ببغداد، بعد وفاة مشرف الدولة، كما قدمناه في أخبار جلال الدولة، وفي سنة
ثماني عشرة وأربعمائة استقر الصلح بين أبي كاليجار، وعمه أبو الفوارس صاحب كرمان
لأبي الفوارس وبلاد فارس لأبي كاليجار، ويحمل لعمِّه في كلَّ سنة عشرين ألف دينار،
وفوَّض أبو كاليجار أمور دولته إلى العادل ابن ماقية، فأجابه بعد امتناع، وشرط عليه ألا
يعارض فيما يفعله، وفي سنة تسع عشرة وأربعمائة توفي أبو الفوارس صاحب كرمان،
فاستولى أب كاليجار على كرمان.

ملك أبي كاليجار العراق

وفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ملك العراق، وذلك بعد وفاة عمه جلال الدولة، وذلك أن

جلال الدولة لما مات كان ولده الأكبر الملك العزيز بواسط، فكاتبه الأجناد بالطاعة،
وشرطوا عليه تعجيل ما جرت بع العادة من حقِّ البيعة، فترددَّت الرسائل بينهم في مقدار
المال، فلم يكن عنده ما يعطيه لهم، وبلغ خبر موته الملك أبا كاليجار، فكاتب القوَّاد
والأجناد ورغَّبهم في المال، وبكثرته وتعجيله، فمالوا إليه، وعدلوا عن الملك العزيز، وأرسل
الأموال وفرقَّها على الجند وأولادهم ببغداد، وأرسل إلى الخليفة عشرة آلاف دينار، ومعها
هدايا كثيرة، فخطب له ببغداد، وأرسل إلى الخليفة عشرة آلاف دينار، ومعها هداي كثيرة،
فخطب له ببغداد في صفر سنة ست وثلاثين وأربعمائة، ولقبَّه الخليفة محي الدين، وسار إلى
بغداد في مائة فارس من أصحابه؛ ليلاً مخافة الأتراك، فلما وصل إلى النعمانية لقيه دبيس بن
مزيد، ودخل إلى بغداد في شهر رمضان، ومعه وزيره ذو السعادتين أبو الفرج بن محمد بن
جعفر بن محمد بن فسابخس وزينت بغداد لقدومه، وخلّع على أصحاب الجيوش، وهم
البساسيري والنشاودي والهمام أبو البقاء، وجرى من ولاة العرض بمرأى من الملك أبي
كاليجار، واستمر ملكه إلى سنة أربعين وأربعمائة فتوفي بمدينة خنّاب من كرمان، في رابع
جمادى الأولى منها، وقد عزم على المسير إلى كرمان، وكان عمره أربعين سنة وشهوراً،
ومدة ملكه، منذ ملك فارس بعد وفاة أبيه، أربعاً وعشرين سنة وسبعة أشهر، ومنذ ملك
العراق بعد عمه جلال الدولة أربع سنين وشهرين ونيفًّا وعشرين يوما، ولما توفي نهب العراق
الأتراك الذين بالعسكر الخزائن والسلاح والدوابَّ، وانتقل ولده أبو منصور فلا ستون إلى
مخيم الوزير أبي منصور، وأراد الأتراك نهبها، فمنعهم الديلم، وعاد العسكر إلى شيراز،
فملكها الأمير أبو منصور، وكان رحمه الله منصفا للتجار في معاملاتهم، يربحون عليه
الأرباح الكثيرة، مع بخله العظيم، وخلف بقلعة اصطخر تسعة وعشرين ألف بدرةٍ ورقا،
وأربعمائة بدرةٍ عيناً، سوى الجواهر والثياب.
أولاده: الملك الرحيم أبو نصر أبو منصور فلاستون. أبو طالب كامروا - أبو المظفر بهرام
- أبو علي كيخسرو شاه، وثلاثة بنين أصاغر.

وزيره: العادل أبو منصور بهرام.
ملك أبي نصر
هو أبو خسرو فيروز بن أبي كاليجار المرزبان بن سلطان الدولة فناخسروا بن بهاء الدولة
أبي نصر خسرو فيروز بن عضد الدولة ابن ركن الدولة، وهو آخر ملوك الدولة البويهية،
عليه انقرضت دولتهم، وكان ملكه ببغداد بعد وفاة أبيه كاليجار، وذلك أنه لما ورد الخبر
بوفاته إلى بغداد، وبها ولده أبو نصر هذا أحضر الجند واستحلفهم، وراسل الخليفة القائم
بأمر الله، في الخطبة لنفسه وتلقيبه بالملك الرحيم، ترددَّت الرسائل في ذلك إلى أن أجابه
الخليفة إلى الخطبة، ولم يجبه إلى اللَّقب، وقال: لا يجوز أن يلقَّب أحد بأخص صفات الله
عز وجل، واستقر ملكه بالعراق وخوزستان والبصرة، وكان بالبصرة أخوه أبو كيخسرو
واستولى أبو منصور على شيراز، فسير إليه الملك الرحيم أخاه أب سعيد في عسكر،
فملكوا شيراز، وقبضوا على أبي منصور ووالدته، وذلك في شوال سنة أربعين وأربعمائة،
وخطب للملك الرَّحيم بشيراز، ثم خالفه أهلها بعد ذلك، وصاروا مع أخيه أبي منصور،
وكان بينهم حروب ووقائع يطول شرحها، ولم يزل الملك الرحيم في الملك إلى أن قطعت
خطبته، عند وصول السّلطان طغرلبك السّلجقي إلى بغداد، فخطب له بها بعد الخليفة،
ثم بعده للملك الرحيم، بشفاعة الخليفة إلى السلطان طغرلبك - ثم قبض طغرلبك على
الملك الرحيم، وقطعت خطبته، لخمس بقين من شوال، وقيل في سلخ شهر رمضان سنة
سبع وأربعين، وسيره السلطان إلى الري، واعتقله في قلعتها، فمات في سنة خمسين وأربعمائة
وانقطعت الدولة البويهية من بغداد بزوال ملكه. وكان ملكه سبع سنين وشهوراً، وبلغ من
العمر اربعا وعشرين سنة وشهورا.
وزراؤه: الوزير أبو السعادات، وأبو الفرج بن فسانجس، وابنه الوزير أبو الغنائم، والوزير أبو
الحسن على بن عبد الرحيم.
جامع أخبار ملوك بني بويه عدة من ملك منهم ستة عشر ملكا وهم عماد الدولة أبو الحسن علي بن بويه، ركن الدولة أبو علي الحسن معز الدولة أبو
الحسن أحمد عز الدولة بختيار بن معر الدولة.

عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو شاهنشاه.وفيه يقول المتنبي:
أبو شجاع بفارس عضد الدولة فناخسروا شاهنشاه
مؤيّد الدولة أبو منصور بويه ركن الدولة. فخر الدولة وفلك الأمة أبو الحسن علي بن ركن
الدولة مجد الدولة، وكنف الأمة أبو طالب رستم بن فخر الدولة، وهؤلاء الثلاثة لم يملكوا
العراق - صمصام الدولة أبو كاليجار المرزبان بن عضد الدولة - شرف الدولة أبو الفوارس
شيرذيل بن عضد الدولة بهاء الدولة وضياء الدولة أبو نصر خسرو فيروز بن عضد الدولة
سلطان الدولة أبو شجاع فناخسروا بن بهاء الدولة مشرف الدولة بن بهاء الدولة - جلال
الدولة أبو طاهر فيروز خسرو بن بهاء الدولة - الملك شاهنشاه أبو كاليجار المرزبان بن
سلطان الدولة. الملك الرحيم أبو نصر، وملك منهم أيضاً شمس الدولة أبو طاهر بن فخر
الدولة، ملك همذان ثم استولى على الجبل، وأبو الفوارس بن بهاء الدولة صاحب كرمان.
ومدة ملكهم منذ استولى عماد الدولة على أصفهان لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي
العقدة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وإلى أن انقطعت خطبة الملك الرحيم لخمس بقين
من شوال سنة سبع وأربعين وأربعمائة، مائة سنة وخمس وعشرون سنة وأحد عشر شهراً
وأربعة عشر يوماً. ومنذ ملك معزُّ الدولة بغداد، ولقبه الخليفة المستكفي بالله العباسي،
ولقب إخوته بالألقاب التي ذكرناها، ونقش أسماءهم على السكة لإحدى عشرة ليلة خلت
من جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وإلى هذا التاريخ، مائة سنة وثلاث عشرة سنة
وخمسة اشهر وأربعة عشر يوما. وكان لهم في غالب الأوقات من الأقاليم: سجستان،
وطبرستان، وجرجان، دعوة وخطابة، وسكة، وكرمان ،والري، وأصفهان، وهمذان، وبلاد
فارس، وخوزستان، والعراق، والموصل،وديار بكر، وما يليها، وجميع عمان،وانقرضت
دولتهم كأن لم تكن،فسبحان الدائم الذي لا يزول ملكه،ولا يفنى دوامه،سبحانه وتعالى.
وحيث ذكرنا الدولة البويهية،وأخبار ملوكها
فلنذكر أخبار السلجقية.
الدولة السلجقية

وابتداء أمر ملوكها وكيف تنقلت بهم الحال، إلى أن استولوا على البلاد، وما حازوه من
الأقاليم والممالك، وغير ذلك من أخبارهم
كان ابتداء ظهور هذه الدولة في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة، وملوكها هم الذي ينسب
إليهم القبة و الطير. يقال:إنهم اتخذوا ذلك تبركا بالطائر الذي يقال إنه وقع ظله على أحد
من البشر سعد سعادة عظيمة، وقيل إن ظله وقع على أبيهم سلجق، فكان من أمره ما
نذكره ، وقد اختلف في انتسابهم إلى أي قبيلة، فمن الناس من ذهب إلى أنهم من التركمان،
ومنهم من يقول إنهم من الترك، وفي أخبارهم ما يدل على أنهم الأتراك.وأول من نبغ من
ملوك هذه الدولة وعلا قدره، وطار اسمه، واستولى على البلاد، وقاتل الملوك، وحاز
الممالك ونعت بالسلطنة: طغرلبك أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجق بن يقاق.
وطغرلبك: بضم الطاء المهملة، وسكون الغين المعجمة، وضم الراء، وسكون اللام، وفتح
الباء الموحدة وبعدها كاف.
ولنبدأ بذكر آبائه، وابتداء أمرهم في سبيل التلخيص والاختصار، لتكون أخبارهم سياقة،
يتلو بعضها بعضاً. فأما يقاق، وقيل فيه دقاق، ومعنى يقاق: القوس الجديدة، فكأن رجلاً
تركياً شهما، صاحب رأي وتدبير، وهو أول من دخل في دين الإسلام، وكان مقدم طائفته
من الأتراك، ومرجعهم غليه، لا يخالون له قولا، وكان ملك الترك في زمانه بيغوا يتدبر برأيه،
ويقتدي بمشورته، ويستصحبه في حروبه، فيقال: إن يبغو جمع عساكره، وأرادوا المسير إلى
بلاد الإسلام، فنهاه يقاق عن ذلك، وطال الخطاب بينهما، فأغلظ له ملك الأتراك في الكلام،
فلطمه يقاق فشجَّ رأسه فثار به خدم بيغو، ثم صلح الأمر بينهما، فكان يقاق عند بيغو إلى
أن مات. وخلف ولده سلجق.
أخبار سلجق بن يقاق
وسلجق بتفخيم الجيم، لتكون بين السين والجيم، ورأيت جماعة من المؤرخين اثبتوا في
اسمه واواً، فقالوا: سلجوق. قال ابن الأثير: وإثبات الواو في اسمه غلط، والصواب
سلجق. قال: ولما توفي والده يقاق، ظهر على سلجق مخايل النجابة، وإمارات التقدم، فقربه

ملك الترك، وفوَّض إليه تدبير العساكر، ولقبَّه سباشي، ومعناه قائد الجيش، فكانت امرأة
الملك تحذَّره منه، وتخوِّفه عاقبة أمره، لما رأت من انقياد أصحابه أليه، وطاعة الناس له،
وأغرته بقتله، فبلغ سلجق الخبر، فسار بجماعته ومن يطيعه، والتحق بملك الخانية: شهاب
الدولة هارون بن إيلك خان، ملك ما وراء النهر، فأمدَّه شهاب الدولة بجيش كثيف، ليغزو
بلاد كفار الترك، فاستشهد في بعض حروب الكفار، وقيل: بل توفي بجند ودفن بها، قال ابن
الأثير في تاريخه الكامل: إنه لما فارق بيغو أقام بنواحي جند، وأدام غزو كفار الترك، وكان
ملك الترك يأخذ الخراج من المسلمين في تلك الديار، فطرد سلجق عمّاله عنها، ثم استنجد
به بعض ملوك السامانية على هارون بن إيلك خان الخان، لأنه كان قد استولى على بعض
بلاده، فأرسل إليه سلجق ابنه أرسلان، في جمع من أصحابه، فقوي بهم الساماني على
هارون، واستعاد ما كان أخذه من بلاده، وعاد أرسلان إلى أبيه.
قال: ولما توفيِّ سلجق كان له من العمر مائة وسبع سنين، وخلف من الأولاد: أرسلان،
وميكائيل، وموسى، فغزا ميكائيل بعض بلاد كفار الترك، وباشر القتال بنفسه، فاستشهد
في سبيل الله، وقيل بل مات في حبس السلطان محمود بن سبكتكين؛ لأنه طلبه أن يكون في
جملة أصحابه، فامتنع من ذلك، فقبض عليه، واعتقله، فمات في اعتقاله، والله تعالى أعلم.
وخلف ميكائيل من الأولاد طغرلبك محمد، وجغري بك داوود، وبيغو، فأطاعهم
عشائرهم، وانقادوا لأمرهم، فنزلوا بالفري من بخاري، على عشرين فرسخاً منها، فخافهم
أميرها، فأساء جوارهم، وقصد الإيقاع بهم، فانتموا إلى بغراخان ملك تركستان، واجتمعوا
به، وأقاموا عنده، واستقرَّ الأمر بين طغرلبك وأخيه جغري بك داوود، أنهما لا يجتمعان
عند بغراخان، وإنما يحضر أحدهما، ويقيم الآخر في أهله؛ خوفا منه أن يقبض عليهما
معا، فاجتهد بغراخان في اجتماعهما، فلم يتهيأ له، فقبض على طغرلبك، فسار داود في
عشائرها ومن معه، وقصد بغراخان وقاتله وهزمه، وخلَّص أخاه وانصرفوا إلى جند،
وهي بقرب بخارى.

وأما ارسلان بن سلجق أخو ميكائيل فإن ميكائيل فإن إيلك خان لما ملك مملكة
السامانية، بما وراء النهر، ومنها بخارى، أعظم محلَّ أرسلان، وكان على تكين في جيش
أرسلام خان أخو إيلك خان، فهرب ولحق ببخارى، واستولى عليها،واتفق مع أرسلان بن
سلجق، وقوي أمرهما، فقصدهما إيلك خان أخو أرسلان خان، وقاتلهما، فهزماه، وبقيا
ببخارى، وكان علي تكين يكثر معارضة يمين الدولة محمود بن سبكتكتين، فيما يجاوره من
البلاد، ويقطع الطريق على رسله إلى ملوك الترك، فلما عبر محمود نهو جيجون هرب على
تكين من بخارى، ودخل أرسلان بن سلجق وجماعته إلى المفازة، فكاتبه محمود واستماله
ورغَّبه، فأتاه، فقبض عليه لوقته، وسجنه ونهب خركاهاته، واستشار فيما يفعل بقومه
وعشيرته، فأشار أرسلان الجاذب بقطع أباهيمهم حتى لا يرموا النشاب، أو يغرقوا في نهر
جيحون، وفرقهم في نواحي خراسان، ووضع عليهم الحرج، فجار العمال عليهم، وامتدت
الأيدي إلى أموالهم وأولادهم، فانفصل منهم ألفا رجل، وساروا إلى كرمان، ومنها إلى
أصفهان، وجرى بينهم وبين صاحبها علاء الدولة بن كاكويه حرب، فساروا من أصفهان
إلى أذربيجان.
هؤلاء جماعة أرسلان، وأما أولاد أخوته: فإن تكين صاحب بخارى أعمل الحيلة في الظفر
بهم؛ فراسل يوسف بن موسى بن سلجق وهو ابن عم طغرلبك، واستماله، وطلب منه
الحضور عنده، فأتاه، ففَّوض إليه تكين التقدم على جميع الأتراك الذي في ولايته، وأقطعه
إقطاعاً كبيرا، ولقبه بالأمير اينانج بيغو وقصد بذلك أن يعينه على أولاد عمه وأن يأخذ
بعضهم ببعض، فعلم يوسف مراده، فلم يطعه في ذلك، فلما رأى أن مكيدته لم تؤثِّر، ولا يبلغ
بها غرضاً، أمر بقتله، فعظم ذلك على طغرلبك، وداوود وعشائره، فلبسوا ثياب الحداد،
وجمعا من الأتراك ما قدرا على جمعه، لطلب ثأر ابن عمِّهم، وجمع على تكين، وذلك في
سنة عشرين وأربعمائة، ثم قصدا ألب قرا قاتل يوسف ابن عمِّهما، فقتلاه في سنة إحدى

وعشرين، وأوقعا بطائفة من عسكر علي تكين، فقتلا منهم نحو ألف رجل، فجمع علي
تكين عساكره، ومن حمل السلاح من أصحابه، وتبعهم خلق كثير من أهل البلاد، وقصدوا
السلجقية من كل جانب، وأوقعوا بهم وقعة عظيمة، وسبوا كثيراً من نسائهم، فألجأتهم
الضرورة إلى العبور إلى خراسان، فلما عبروا جيحون، كتب إليهم خوارزم شاه هارون بن
التونتاش، يستدعيهم إليه؛ ليكونوا يداً واحدة، فساروا إليه واجتمعوا بظاهر خوارزم، في
سنة ست وعشرين وأربعمائة، واطمأنوا إليه فغدر بهم، وأكثر فيهم القتل والنهب، فساروا
إلى مفاذة نسا، وقصدوا مرو في هذه السنة. وذراريهم، ونساؤهم في الأمر.
ما اتفق بين طغرلبك وداود
وبين السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين
قال: ولما اتفق لهم مع خوارزم شاه هارون ما ذكرناه، راسلوا الملك مسعود - وهو
بطرستان - يطلبون منه الأمان، وأن يكونوا في خدمته، ويدفعوا الطائفة التي تفسد في بلاده،
ويكونوا من أعظم أعوانه، فقبض على الرسل، وجهز عسكراً جراراً مع حاجبه بكتغدي،
وغيره من الأمراء، فالتقوا عند نسا في شعبان سنة ست وعشرين وأربعمائة، فانهزم
السلجقية، وغنم العسكر المسعودي لأموالهم وأثقالهم، فجرى بين العسكر منازعة على
الغنائم أدت إلى القتال بينهم، فقال داود لأصحابه: إن العسكر الآن قد اطمأن، واستقر
والرأي أ، نقصصصدهم، لعنا نبلغ منهم غرضاً، فعاد ووافق وصولهم إليهم، وهم فيما وقع
بينهم من الاختلاف، وقتال بعضهم بعضاً، فأوقعوا لهم، وقتلوا منهم، وأسروا، فاستردّوا ما
أخذوه، وعاد المنهزمون من المعسكر المسعودي إلى نيسابور، فندم مسعود على ردِّه
السلجقية، عند بذلهم الطاعة، وعلم أن هيبتهم قد تمكنت في قلوب عساكره، فأرسل
إليهم يتهددهم ويتوعدهم، فقال طغرلبك لإمام صلواته: أكتب اللّهم مالك الملك ..- إلى -
قدير، ولا تزد على ذلك، ففعل، فلما ورد الجواب على مسعود، كتب إليهم يعدهم المواعيد
الجميلة وسيّر إليهم الخلع، وأمرهم بالرحيل إلى آمل الشط، وهي مدينة على نهر جيحون،

وأقطع دهشان لداود، ونسا لطغرلبك، وفراوه لبيغو، ولقب كلَّ واحد منهم بالدَّهقان،
فاستخفوا بالرسول والخلع، ثم قالوا له: لو علمنا أن السلطان يبقي علينا إذا قدر لأطعناه،
وكلنا نعلم أه متى قدر علينا أهلكنا، فنحن لا نطيعه، ثم أرسلوا إليه يخادعونه بإظهار
الطاعة له، وأحضره عنده ببلخ، وأفرج عنه وأمره بمراسلة بني أخيه يأمرهم بالكفِّ عن
الشر، والدخول في الطاعة، ففعل أرسلان، وأرسل إليهم مع الرسول أشفا، فلما جاء الرسول
إليهم، وأدى الرسالة، وسلم إليهم الإشفي نفروا واستوحشوا، وعادوا إلى ما كانوا عليه من
الشر، فأعاد الملك مسعود عمهم أرسلان إلى الحبس، وسار إلى عزنة وقصد السلجقية
بلخ، ونيسابور، وطوس، وجوزجان، وأقام داود بمدينة مرو، وانهزمت العساكر المسعودية
من السلجقية مرة بعد أخرى، واستولى الرعب عليهم، هذا والملك مسعود يغزو الهند،
والكتب تصل إليه بأخبار السلجقية وهو لا يجيب عنها، ولا يلوي على ما فيها لاشتغاله
بما هو أهم عنده من ذلك، وهو غزو الهند، وفتح قلاعهم، على ما قدمناه في أخبار الدولة
الغزنويه.

الدولة السلجوقية

وإقامة الخطبة لطغرلبك وداود

كان سبب ذلك أن وزراء السلطان مسعود، وأهل دولته، لما كرروا عليه القول وواصلوا
الرسل إليه، يعرفونه ما آل إليه أمر السلجقية، ويحذرونه عاقبة توانيه فيهم، جهز جيشا
كثيفا مع حاجبه سباشي، ومرداويج بن بسو، فأقام سباشي بهراه ونيسابور، ثم أغار على
مرو وبها داود، فانهزم داود بين يديه، وتبعه العسكر المسعودي، فعطف داود عليه، وحمل
على صاحب جوزجان، فقتله، فانهزم عسكر مسعود، وعاد داود إلى مرو، فأحسن إلى
أهلها، وخطب لنفسه فيها في أول جمعة من شهر رجب سنة ثمان وعشرين وأربعمائة،
وهي أول خطبة أقيمت لهم، ولقب في الخطبة بملك الملوك، وقويت نفوس السلجقية وزاد
طمعهم في البلاد، ثن التقى العسكر السعودي بعد ذلك، والسلجقية، وباشر سباشي

الحرب بنفسه، واقتتلوا على باب سرخس، في شعبان سنة ثمان وعشرين، فانهزم سباشي
أقبح هزيمة، وتبعه داود إلى طوس يأخذ أصحاب سباشي باليد، وكفوا عن القتل، وغنموا
أموالهم، فكانت هذه الواقعة هي التي أوجبت ملك السلجقية خراسان، ودخلو فصبات
البلاد، فدخل طغرلبك نيسابور، وسكن الشادياخ، وخطب له فيها في شعبان، ولقَّب
بالسلطان المظفر وبثوا النواب في النواحي، وسار داود إلى هراة، وتوجه سباشي إلى غزنة
فاضطر مسعود إلى المسير إلى خراسان، وجمع من العساكر ما يضيق بها الفضا، وفرق
فيهم الأموال، وشار من غزنة، ومعه من الفيلة عدد كثير، فوصل إلى بلخ، فقصده داود،
ونزل قريبا منها، ودخلها يوماً جريدة، على حين غفلة من العسكر، فأخذ الفيل الكبير الذي
على باب الملك مسعود، وعدة جنائب، فعظم قدره في نفوس الناس وازدادت، هيبته في
قلوب العسكر، ثم سار مسعود من بلخ في مستهل شهر رمضان سنة تسع وعشرين، ومعه
ألف فارس سوى الأتباع، وسار إلى جوزجان، فأخذ واليها الذي كان للسلجقية، فصلبه،
وسار منها، فوصل إلى مرو الشاهجان، وسار داود إلى سرخس، واجتمع بأخويه طغرلبك
وبيغو، فراسلهم مسعود في الصلح، فتوجه إليه بيغو بالجواب، فأكرمه مسعود وخلع عليه،
وكان مضمون رسالته: إنا لا نثق بمصالحتك بعد ما فعلناه من هذه الأفعال، التي كل فعل
منها موبق مهلك، وآيسوه من الصلح، فسار مسعود من مرو إلى هراة، وقصد داود مرو،
فامتنع أهلها من تسليمها، فحاصرهم سبعة أشهر، وملكها، فسقط في يد مسعود، وسار
من هراة إلى نيسابور ثم إلى سرخس، وكلما اتبع السلجقية إلى مكان ساروا منه إلى غيره،
ولم يزل كذلك حتى أدركه الشتاء، فأقام بنيسابور ينتظر الربيع، فلما جاء الربيع اشتغل
مسعود بلهوه وشربه، حتى انقضى فصل الربيع، فلما جاء الصيف عاتبه أصحابه على
إهماله أمر السلجقية، وعدم مناجزتهم للحرب، فسار من نيسابور في طلبهم، فدخلت
السلجقية البرية، وتبعهم مرحلتين، وقد ضجر عسكره من التعب والكلال، فنزل الملك

مسعود منزلاً قليل الماء، فاقتتل عسكره على الماء، ونهب بعضهم بعضاً، فعلم داود بما هم
فيه، فرجع عليهم، فولّوا منهزمين لا يرجع بعضهم على بعض، وثبت مسعود، ثم انهزم في
نحو مائة فارس، حتى أتى غرشستان وغنم السلجقية من المعسكر المسعودي ما لا يدخل
تحت الإحصاء، فقسم داود ذلك على أصحابه، وآثرهم على نفسه، ونزل في سرادق
مسعود، وجلس على كرسيه، ثم أطلق الأسرى، ووضع خراج سنة كاملة.

ملك داود وطغرلبك
وبيغونيسابور وبلخ وهراة

قال: وسار طغرلبك إلى نيسابور، فملكها في أواخر سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، فقيل
إنه أكل لوزينجا، فقال: هذا ططماج طيب، إلا أنه لا ثوم فيه، ورأى أصحابه الكافور،
فأكلوا منه، وقالوا: هذا ملح مُرُ، واستولى السلجقية حينئذ على جميع البلاد، فسار بيغو
إلى هراة، فدخلها وسار داود إلى بلخ، وبها ألتونتاش الحاجب والياً عليها لمسعود، فراسله
داود في تسليم البلد إليه، وعرفه عجز صاحبه عن نصرته، فحبس ألتونتاش رسله، فنازله
داود، وحصر المدينة، فأرسل ألتونتاش إلى مسعود وهو بغزنه يعرفه الحال.وما هو فيه من
ضيق الحصار، فجهز مسعود العساكر الكثيرة، فجاءت طائفة منهم إلى الرَّخَّخ، وبها من
السلجقية، فقاتلوهم فانهزمت السلجقية، وقتل منهم ثمانمائة رجل وأسر كثير، وخلا ذلك
الصقع منهم، وسارت طائفة إلى هراة وبها بيغو، فقاتلوه، ودفعوا عنها، ثم جهز مسعود
ولده مودوداً وسيَّره في عسكر كبير مدداً لهذا العسكر، فسار عن غزنه في سنة اثنين
وثلاثين وأربعمائة، فلما قاربوا بلخ سيَّر داود طائفة من عسكره، فأوقعوا بطلائع مودود،
فانهزمت الطلائع، وتبعهم عسكر داود، فلما أحس بهم عسكر مودود رجعوا إلى ورائهم،
فلما اتصل هذا الخير بألتونتاش صاحب بلخ أطاع داود وسلم إليه البلد، ووطيء بساطه،
ثم اتفق قتل السلطان مسعود في سنة اثنتين وثلاثين، وملك بعده أخوه محمد، ثم قتل مودود
بن مسعود، فتمكن السلجقية.

ملكه جرجان وطبرستان

وفي سنة ثلاث وأربعمائة ملك طغرلبك جرجان وطبرستان،،ن وسبب ذلك أن أنوشروان
بن منوجهر بن قابوس بن وشمكير صاحبها قبض على أبي كاليجار بن ويهان القُوهي
صاحب جيشهن وزوج أمهن فعلم طغرلبك عند ذلك انه لا مانع له، ولا دافع من البلاد،
فسار إليها، وقصد جرجان، ومعه مرداويج بن بسَّو، فلما نازلها فتح له مستحفظها أبوابها،
فدخلها، وقرر على أصحابها مائة ألف دينار صلحاً، وسلم البلد لمرداويج، وقرر عليه في
كل سنة خمسين ألف دينار، عن جميع الأعمال، وعاد إلى نيسابور، وقصد مرداويج بن بسو
أنوشروان "بسارية"، فاصطلحا على ان ضمن له انوشروان ثلاثين ألف دينار، وأقيمت
الخطبة لطُغرُلبك في سائر البلاد، وتزوج مرداويج، لايخالفه في شيء ألبته، وملك خوارزم في
سنة أربع وثلاثين من شاه ملك ابن علي، وكان في طاعة مودود صاحب غزنة.

مسير إبراهيم ينال إلى الري وهمذان

وإبراهيم ينال هو أخو طغرلبك لأمه. قال: ولما ملك إخوته خراسان سار هو إلى الري،
فملكها في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، ثم سار عنها إلى البلاد المجاورة لها، ثم انتقل
بروجرد، فملكها، ثم قصد همذان، وكان بها أبو كاليجار كرشاسف بن علاء الدولة،
ففارقها إلى سابور خواست، ونزل إبراهيم عليها، وأراد دخولها، فقال له أهلها: إن كنت
تريد منا الطاعة، وما يطلبه السلطان من الرعية، فنحن باذلوه، وداخلون تحته، فاطلب أولاً
هذا المخالف عليك الذي كان عندنا، يعنون كرُشاسف، فإنا لا نأمن عوده إلينا؛ فإذا
ظفرت به كُنّالك، فكف عنهم، وسار إلى كرشاسف بعد أن أخذ من أهل البلد مالاً، فلما
قارب سابور، خواست تحصّن منه كرشاسف بالقلعة، وملك إبراهيم البلد قهراً ونبهه، ثم
عاد إلى الري، وذلك في سنة أربع وثلاثين وأربعمائة.

خروج طغرلبك إلى الري

وملكه بلد الجبل

قال: ولما فرغ طُغرُلبك من خوارزم، وجرجان، وطبرستان خرج من خراسان إلى الري،
وغيرهما من بلاد الجبل، وسار أخوه إبراهيم يُنال إلى سجستان، وأخذ طغرلبك من مجد

الدولة بن بويه، وأقام عنده مكرّماً، وأمر طغرلبك ذهب مجوهرة، وبرنيتين من الصيني
مملوءتين، وأمولاً كثيرة، وسار إلى قزوين، وحصرها، فوقع الصلح على ثمانين ألف دينار،
ودخل صاحبها في طاعته، وأطاعه ملك الديلم، وحمل إليه مالاً وعروضاً، وأطاعه غيره
من الملوك، وأرسل سرية إلى أصفهان، وبها أبو منصور فرامرز الدولة، فأغارت وعادت
سالمة، وخرج طغرلبك من الرين وقصد أصفهان، فصالحه صاحبها، وصانعه بمال، وسار
إلى همذان، فملكها من صاحبها كرشاسف بن علاء الدولة، وسار معه إلى من أبهر
وزنجان، وطلب منه طغرلبك تسليم قلعة كنكور، فأرسل إلى من بها ليسلموها، فامتنعوا،
فقال طغرلبك: ما امتنعوا إلى بأمرك ورأيك، فاصعد إليهم، وأقم معهم، ولا تفارق موضعك
حتى آذن لك، واستناب بهمذان ناصر العلوي.
وفي سنة خمسين وثلاثين وصل إلى طغرلبك رسول الخليفة القائم بأمر الله، وهو أقضى
القضاه أبو الحسن علي الماوردي، فتلقاه طغرلبك على أربعة فراسخ، إجلالاً لرسالة
الخليفة، وذكر طاعته للخليفة، ووقوفه عند أوامره.
وفي سنة ست وثلاثين وأربعمائة استوزر السلطان طغرلبك أبا القاسم علي بن عبد الله
الجويني، وهو أول وزير وزر له.
وفي سنة سبع وثلاثين أمرر السلطان طغرلبك أخاه إبراهيم ينال بالخروج إلى بلاد الجبل،
فسار من همذان، وقصد كرمان، وبها كرشاسف بن علاء الدولة، ففارقها خوفاً، ودخلها
إبراهيم، وملكها، وسار إلى الدينور، فملكها، وملك قرميسين في شهر رجب بعد حصار
وقتال، وملك الصيرمة في شهر شعبان ونهبها، وأوقع بالأكراد المجاورين لهما، ثم سار إلى
حلوان، فنهبها، وأحرقها.
ملك ينال قلعة كنكور
وغيرها
وفي سنة تسع وثلاثين وأربعمائة سار إبراهيم إلى قلعة كنكور، وبها عُكبر بن فارس،
صاحب كرشاسف، فامتنع عكبريها إلى أن فقدت ذخائره وفنيت الأقوات، فعند ذلك
أعمل الحيلة، وعمد إلى بيوت الطعام التي بالقلعة فملأها تراباً وحجارة، وسدّ أبوابها، ونشر

من داخل الأبواب شيئاً من الطعام، وعلى رأس التراب والحجارة مثل ذلك، وراسل إبراهيم
في تسليم القلعة إليه، على أن يؤمنه على من بها من الرجال، وما بها من الأموال، فامتنع
إبراهيم من ترك المال، فأخذ عكبر رسول إبراهيم، وطوَّفه على بيوت الطعام، فرآها مملوءة
وظنها طعاماً، وقال له: قل لصاحبك إنني لم أرسل إليه خوفاً من المطاولة، فإن بذل لي
الأمان على ما طلبته لي، وللأمير كرشاسف وأمواله، ولمن بالقلعة، سلمتها إليه، وكفيته مؤنة
المقام، فلما عاد الرسول إلى إبراهيم، وأخبره بما سمع، أجابه إلى ما طلب، ونزل عكبر،
فلما تسلّم إبراهيم القلعة تبينت له مكيدته، وسلم إليه سرجاب ابن أبي السؤل؛ ليفتح به
قلاعه، وكان الأكراد الملاذية قد قبضوا عليه، وسلّموه لإبراهيم ينال، قبل ذلك، فسار به
أحمد إلى قلعة كلكان، فامتنعت عليه، فسار إلى قلعة دردبلوه، فحصرها، وامتدت طائفة
ممن معه إلى تلك الأعمال، فنهبوها، ووصلوا إلى الدسكرة، وباجسري، والهارونية، وقصر
سابور، وجميع تلك الأعمال، ونهبوها، فوصل الخبر إلى بغداد، فارتاع أهلها، ثم سار
إبراهيم ينال إلى السيروان، فحصر القلعة، وضيّق على من بها، وأرسل سرّية نهبت البلاد،
وانتهت إلى عشرة فراسخ من تكريت، ثم تسلم السيروان من مستحفظها بعد أن أمنه،
واستخلف عليها رجلاً من أصحابه، وانصرف إلى حلوان، وعاد إلى همذان.

غزو ابراهيم ينال الروم

وفي سنة أربعين واربعمائة غزا إبراهيم الروم، فظفر وغنم وأسر وسبى، وكان سبب: ذلك
أن خلقاً كثيراً من الغز مما وراء النهر، قدموا عليه، فقال لهم: إن بلادي تضيق عن
مقامكم، والقيام بما تحتاجون إليه، والرأي أن تمضوا إلى غزو الروم، وتجاهدوا في سبيل الله
تعالى، وتغنموا وأنا سائر في أثركم، فساروا بين يديه وتبعهم، فوصلوا إلى ملاذكرد، وأرزن
الروم، وقاليقلا، وبلغوا طرابزون، وتلك النواحي كلها، ولقيهم عسكر عظيم للروم والأنجاز،
يبلغون خمسين ألفا، فاقتتلوا وكانت بينهم عدة وقائع، تارة لهؤلاء، ثم كان الظفر للمسلمين،

فأكثروا القتل في الروم، وأسروا جماعة كثيرة من بطارقتهم.
وممن أسر قاريط ملك الأنجاز،
فبذل في نفسه ثلثمائة ألف دينار، فلم يجبه إلى ذلك، ولم يزل بجوس خلال تلك الديار
وينهبها، إلى أن بقي بينه وبين القسطنطينية خمسة عشر يوما، واستولى المسلمون على تلك
النواحي، وغنموا ما فيها، وسبوا أكثر من مائة ألف رأس، وأخذوا الدواب، والبغال،
والأموال ما لا يقع عليه الإحصاء، قيل: إن الغنائم حملت إلى عشرة آلاف عجلة، وإنه كان
في جملة الغنيمة تسعة عشر ألف درع، والله أعلم.
الوحشة بين طغرلبك وأخيه إبراهيم ينال والاتفاق بينهما
وفي سنة إحدى وأربعين وأربعمائة استوحش إبراهيم من أخيه السلطان طغرلبك، وكان
سبب ذلك أن، طغرلبك طلب من أخيه إبراهيم أن يسلم إليه مدينة همدان، والقلاع التي
بيده في بلد الجبل، فامتنع من ذلك، واتهم وزيره أبا يعلى في السعي بينهما، فقبض عليه
وضربه، وسمل إحدى عينيه، وقطع شفتيه، وجمع جمعا، والتقى مع السلطان طغرلبك،
وكان بينهما قتال، فانهزم إبراهيم، وسار طغرلبك في أثره، وملك جميع قلاعه وبلاده،
وتحصَّن إبراهيم بقلعة سرماج، فحصره طغرلبك بها، فملكها في أربعة أيام، وكانت من
أحصن القلاع، واستذل ينال منها، وأرسل إلى نصر الدولة بن مروان يطلب منه إقامة
الخطبة له في بلاده، فأطاعه، وخطب له في سائر ديار بكر، وراسل ملك الروم السلطان
طغرلبك، وأرسل إليه هدية عظيمة، وطلب منه المعاهدة، فأجابه إلى ذلك، وأرسل ملك
الروم إلى ابن مروان يسعى في فداء ملك الأنجاز، فأرسل نصر الدولة إلى السلطان شيخ
الإسلام أبا عبد الله ابن بهران في معناه، فأطلعه بغير فداء، فعظم ذلك عنده، وعند ملك
الروم، وأرسل إليه هدايا عظيمة، فقيل: إنه أرسل إليه ألف ثوب من الديباج، وخمسمائة
ثوب من أصناف الحرير، وخمسمائة رأس من الكراع، إلى غير ذلك، وأنفذ إليه مائتي ألف
دينار، ومائة لبنة من الفضة، وثلاثمائة مهري، وثلاثمائة حمار مصرية، وألف عنز بيض
الشعور، سود العيون والقرون، وأنفذ إلى البزمرون عشرة أمناء مسكا، وعمر مسجد

القسطنطينية، الذي بناه مسلمة بن عبد الملك، وعمر منارته، وجعل فيها القناديل، وعلّق
في محرابه قوساً، ونشابه، وأقيمت فيه الصلاة والخطبة لطغرلبك، فدان له الناس حينئذ،
وعظم شأنه، وتمكن ملكه، فكانت الدولة السلجقية في زيادة، والبويهية في نقص، قال: وأما
إبراهيم ينال فإنه لما نزل إلى أخيه طغرلبك أكرمه، وأحسن إليه، ورد عليه كثيرا مما أخذ
منه، وخيره بين أن يقطعه بلادا يسير إليها، وبين أن يقيم معه، فاختار الإقامة معه.

ملك طغرلبك أصفهان

كان قد حاصرها في ثمان وثلاثين وأربعمائة، فلم يظفر منها بطائل، ثم اصطلح هو
وصاحبها أو منصور فرامرز بن علاء الدولة، على مال يحمله إلى السلطان طغرلبك،
ويخطب له بأصفهان، وأعمالها، ثم حصل بعد ذلك من صاحبها تلون، فكان يطيعه تارة
ويعصيه تارة، ويطيع الملك الرحيم بن بويه، فجاء السلطان إليها في سنة اثنتين وأربعين
وأربعمائة، وحاصرها سنة، وتسلمها في سنة ثلاث وأربعين، واستطابها، وجعلها دار
مقامه، ونقل ما كان له بالري من الذخائر والأموال والسلاح إليها، وخرب قطعة من سورها،
وقال: إنما يحتاج إلى الأسوار من تضعف قدرته وأما من حصن عساكره وسيفه، فلا
حاجة به إليها.

استيلاء ألب أرسلان على فسا

وفي سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة سار ألب أرسلان بن داود جغري بكمن مدينة مرو
بخراسان إلى فارس، وأخذ في مسيره على المفازة من غير علم عمه طغرلبك، فوصل إلى
مدينة فسا، فانصرف النائب بها من بين يديه، ودخلها ألب أرسلان، وقتل من الديلم نحو
ألف دينار، وأسر ثلاثة آلاف إنسان، وعاد إلى خراسان، ولم يلبث مع عمه طغرلبك.والله
أعلم بالصواب

استيلاء طغرلبك على أذربيجان
وغزو الروم

وفي سنة ست وأربعين وأربعمائة سار السلطان طغرلبك إلى أذربيجان، فقصد تبريز،
وصاحبها الأمير أبو منصور وهشوذان ابن محمد الراوي، فأطاعه، وخطب له، وحمل إليه

ما أرضاه، وأعطاه ولده رهينة،وكذلك فعل معه سائر ملوك تلك النواحي، بذلوا له الطاعة
والخطبة، وانقاد العساكر إليه، فأبقى بلادهم عليهم، وأخذ رهائنهم، وسار إلى أرمينية،
وقصد ملازكرد من الروم فحصرها، ونهب ما جاروها من البلاد، وخرّبها، وأثر في بلاد
الروم آثاراً عظيمة، ونال منهم من النهب والأسر والقتل شيئاً كثيرا، ثم عاد إلى أذربيجان
عند دخول الشتاء، وعاد إلى الري، ولله أعلم.
دخول طغرلبك بغداد
والخطبة له بها، وانقراض الدولة البويهية
كان دخول إليها يوم الإثنين لخمس بقين من شهر رمضان سنة سبع وأربعين وأربعمائة، وكان
سبب ذلك أن المظفَّر أبا الحارث ألب أرسلان التركي، المعروف بالبساسيري، عظم أمره
بالعراق، طار اسمه في الآفاق، واستولى على البلاد، وعظمت هيبته في قلوب العباد، وخافه
أمراء العرب، وخطب له على منابر العراق، ولم يبق لبني بويه معه إلا مجرَّد الاسم، ووقع
بينه وبين الخليفة القائم بأمر الله، من الوحشة ما قدمناه، في أخبار الدولة العباسية، حتى
بلغ الخليفة أنه يريد القبض عليه، فعند ذلك كاتب الخليفة السلطان طغرلبك، وهو بنواحي
الريّ يستنصر به، ويحثه على المسير إلى بغداد، وكان طغرلبك قد عاد إلى الريّ، بعد
عوده من غزو الروم، فرتب أمور الريّ، وعاد إلى همذان في المحرَّم من السنة، وأظهر أنه يريد
الحجّ، وإصلاح طريق مكة، والمسير إلى الشام ومصر، وإزالة ملك المستنصر العبيدي
عنها، وسار إلى حلوان، وانتشر أصحابه في طريق خراسان، فأجفل الناس إلى غربي
بغداد، وأخرج الأتراك خيامهم إلى ظاهرها، وسمع الملك الرّحيم بقرب السلطان طغرلبك
من بغداد، فأصعد من واسط إليها، وفراقه البساسيري بمراسلة الخليفة في معناه، كما
ذكرناه، ووصل الملك الرحيم إلى بغداد، وأرسل طغرلبك إلى الخليفة يبالغ في إظهار الطاعة
والعبودية، وإلى الأتراك البغداديين يعدهم الجميل والإحسان، فأنكروا ذلك ونفروا منه،
وراسلوا الخليفة، وقالوا: إنا فعلنا بالبساسيري ما فعلناه، وهو كبيرنا ومقدمنا ابتاعا لأمر

أمير المؤمنين، ووعدنا أمير المؤمنين برد هذا الخصم، ونراه قد قرب منا، ولم يمنع من المجيء،
وسألوا التقدم إليه في العود، فغولطوا في الجواب، وكان رئيس الرؤساء يؤثر مجيئه، ويختار
انقراض الدولة البويهية، ثم وصل الملك الرحيم إلى بغداد، وأرسل إلى الخليفة يظهر العبودية،
وسأل تقرير قاعدته مع طغرلبك، وكذلك سأل من معه من الأمراء، فأجيبوا بأن المصلحة
أن تدخل الأجناد خيامهم، من ظاهر بغداد، وينصبوها بالحريم، ويرسلوا رسولاً إلى
طغرلبك يبذلون له الطاعة والخطبة، فأجابوا إلى ذلك، وراسلوه، فأجابهم إلى ما سألوه،
ووعدهم الإحسان إليهم، وتقدم الخليفة إلى الخطباء بجوامع بغداد بالخطبة للسلطان
طغرلبك، فخطب له لثمان بقين من شهر رمضان من السنة، وأرسل طغرلبك يستأذن
الخليفة في دخول بغداد، فأذن له، وخرج وزير الخليفة، ورؤساء بغداد وأعيانها، وأمر الملك
الرحيم للقائه، واستحلفه الوزير للخليفة، وللملك الرحيم، ودخل بغداد في يوم الإثنين لخمس
بقين من شهر رمضان، ونزل بباب الشماسية ومعه ثمانية عشر فيلا، ودخل عسكره بغداد
للامتياز، وشراء ما يريدونه من أهلها، وأحسنوا معاملتهم، فلما كان الغد، وهو يوم الثلاثاء،
جاء بعض العسكر إلى باب الأزج، وأخذوا واحداً من أهله، فطلبوا منه تبنا، وهو لا يفهم
عنهم ما يريدون، فاستغاث عليهم، وصاح العامة لهم، ورجموهم، وسمع الناس الصياح،
فظنوا أن الملك الرحيم وعسكره قد عزموا على قتال طغرلبك، فارتج البلد من أقطاره
وأقبلوا من كل جهة، وقتل من الغز من وجد في محال بغداد إلا أهل الكرخ، فإنهم لم
يتعرضوا إلى الغز بأذية بل حموهم، وخرج عامّة بغداد، ومعهم جماعة من العسكر،
يقصدون العسكر السلطاني، ولم يركب الملك الرحيم، ودخل أعيان أصحابه إلى دار
الخليفة، وأقاموا بها نفياً للتهمة عن أنفسهم، ظناً منهم أن ذلك ينفعهم، وأما عسكر
السلطان طغرلبك، فإنهم لما رأوا فعل العامة وظهورهم من البلد قاتلوهم، ففل من الفريقين
خلق كثير، وانهزمت العامة، ونهب الغز بعض الدروب، ونقل الناس أموالهم إلى باب

النوبي، وأرسل الغز بعض الدروب، وأرسل طغرلبك من الغز إلى الخليفة يعتب، وينسب ما
جرى إلى الملك الرحيم وأصحابه، ويقول: إن حضروا رئت ساحتهم، وإن تأخروا عن
الحضور تيقنت أن الذي جرى كان بوضعهم، فتقدم الخليفة إلى الملك الرحيم وأصحابه
يقصد السلطان، فركبوا إليه، وأرسل الخليفة معهم رسولا يبرئهم عند السلطان، فلما وصلوا
إلى جهة السلطان، أمر بالقبض على الملك الرحيم ومن معه، فقبضوا كلهم في آخر شهر
رمضان، وحبسو، ثم حمل الملك الرحيم إلى قلعة السيروان، وأرسل الخليفة إلى السلطان
ينكر ما جرى، من قبض الملك الرحيم وأصحابه ونهب بغداد، ويقول: إنهم خرجوا إليك
بأمري، وأماني، فإن أطلقتهم، وإلا فأنا أفارق بغداد، فأطلق بعضهم، وأخذ جميع إقطاعات
عسكر الملك الرحيم، وأمرهم بالسعي في أرزاق يحصلونها لأنفسهم، فتوجَّه كثير منهم إلى
البساسيري، ولزموه، فكثر جمعه، وكان من أمره ما قدمناه وأمر طغرلبك بأخذ أموال
الأتراك البغداديين وانتشر الغز في سواد بغداد، فنهبوا من الجانب الغربي من تكريت إلى
النيل، ومن الجانب الشرقي إلى النهروانات، وأسافل الأعمال، فأسرفوا في النهب حتى بلغ
ثمن الثور ببغداد خمسة قراريط إلى عشرة، والحمار بقيراطين إلى خمسة، وخرب السواد،
وأجلى أهله عنه، وضمن السلطان طغرلبك البصرة، والأهواز من هزار سب بن تنكر بن
عياض بثلثمائة ألف وستين ألف دينار، وأقطعه أرجان، وأمره أن يخطب لنفسه بالأهواز،
دون الأعمال التي ضمنها، وأقطع الأمير أبا علي بن أبي كاليجار الملك قرميسين وأعمالها،
وأمر أهل الكرخ أن يؤذنوا في مساجدهم سحراً للصبح: الصلاة خير من النوم، وأمر بعمارة
دار الملك، فعمرت وزيد فيها، وانتقل إليها في شوال.

مسير السلطان إلى الموصل

وفي سنة ثمان وأربعين وأربعمائة سار السلطان طغرلبك إلى الموصل؛ وسبب ذلك، أنه لما
أقام ببغداد عم الناس ضرر عسكره، وضاقت عليهم أرزاقهم ومنازلهم، فأرسل إليه
الخليفة القائم بأمر الله يذكر له ما الناس فيه من الجور والظلم، ويعظه، ويقول: إن أزلت ذلك

والإفتعين الخليفة على على الإنبراح من بغداد، فقال السلطان لوزيره الكندري: بكِّر إلى
الخليفة واعتذر له بكثرة العساكر والعجز عن تمهيدهم، وضبطهم، فلما كان تلك الليلة
رأى السلطان في منامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأنه عند الكعبة وهو يسلم على
النبي صلى الله عليه وسلم، والنبي معرض عنه، وقال: يحكِّمك الله في بلاده وعباده، فلا
تراقبه فيهم، ولا تستحي من جلالة الله عز وجل، في سوء معاملتهم، وتغتر بإمهاله عند
الجور عليهم، فاستيقظ فزعاً، وأحضر عميد الملك الوزير، وذكر له ما رآه، وأرسله إلى
الخليفة يعرفه أنه مقابل ما رسم به بالسمع والطاعة، وأخرج الجند من دور العامة، وأمر أن
يظهر من كان مختفياً، وأزال التوكيل عمَّن كان وكل به، وعزم على الرحيل،وأتاه خير
البساسيري، والواقعة التي بينه وبين قريش بن بدران، صاحب الموصل، على ما قدمناه في
أخبار القائم بأمر الله، فتجهز، وسار عن بغداد، في عاشر ذي الحجة من السنة، ومعه
خزائن السلاح والمجانيق، وكان مقامه ببغداد ثلاثة عشر شهراً وأياماً، لم يلق الخليفة فيها،
وسار إلى البوازيج وأقام بها حتى أتاه ياقوتي بالعساكر، في سنة سبع وأربعين، فسار بهم
إلى الموصل، وسير هزار سب بألف فارس اختارهم من العسكر، فدخل البرية، وأوقع
بالعرب، وعاد إلى السلطان، فعندها أرسل نور الدولة دبيس بن مزيد، وقريش بن بدران
صاحب الموصل، يسألان هزار سب أن يتوسط لهما عند السلطان طغرلبك، فسعى في
ذلك، فأجابه إليه في حقهما دون البساسيري، فتوجَّه البساسيري عند ذلك إلى الرَّحبة،
وتبعه الأتراك البغداديون، ومقبل بن المقلد، وجماعة من عقيل، ثم سار السلطان إلى ديار
بكر، التي هي لابن مروان، ووصل إلى جزيرة ابن عمر، فأرسل إليه بن مروان يذكر ما هو
بصدده من حفظ ثغور المسلمين، وما يعانيه من مجاهدة الكفار، وبذل ما يصلح، ثم وصل
إبراهيم ينال إلى السلطان، يعزِّفهما وصوله، ويحذرهما منه، فسار من جبل سنجار إلى
الرحبة، فلم يلتفت البساسيري إليهما، فانحدر نور الدولة إلى بلد العراق، وأقام قريش عند

البساسيري بالرحبة، وشكى قتلمش بن عم السلطان ما لقي من أهل سنجار في العام
الماضي، عند انهزامه من البساسيري، وأنهم قتلوا رجاله، فسيَّر العساكر إليهما، فصعد
أهل سنجار على السور، وسبّوا السلطان، وأخرجوا جماجم القتلى وقلانسهم، وجعلوها
على القصب، ففتحها السلطان عنوة، وقتل أميرها علي بن مرحا، وخلقا مثيرا من
رجالها، وسبي نسائهم، وسأل إبراهيم ينال من الباقين، فتركهم السلطان، وسلَّمها هي
والموصل إلى أخيه إبراهيم ينال. والله أعلم بالصواب
عودة السلطان إلى بغداد
قال: وكان عود السلطان إلى بغداد، في سنة تسع وأربعين، فخرج رئيس الرؤساء إلى لقائه،
وأبلغه سلام الخليفة، واستيحاشه، قبل الأرض، وقدم رئيس الرؤساء جاماً من ذهب فيه
جواهر، وألبسه فرجية جاءت معه من عند الخليفة، فلبسها، ووضع العمامة على مخدّته،
فقبل السلطان الأرض، ويم يمكن أصحابه من النزول في دور الناس، وطلب الاجتماع مع
الخليفة فأذن له في ذلك، وجلس الخليفة يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة من السنة
جلوسا عاما، وحضر وجوه عسكر السلطان، وأعيان بغداد، وحضر السلطان والخليفة
جالس على سرير من الأرض، نحو سبعة أذرع، وعليه بردة النبي صلى الله عليه وسلم،
وبيده القضيب الخيزران، فقبل السلطان الأرض ويد الخليفة، واجلس على كرسي، فقال
الخليفة لرئيس الرؤساء: قل له إن أمير المؤمنين شاكر لسعيك، حامد لفعلك، مستأنس
بقربك، وقد ولاَّك جميع ما ولاَّه الله من بلاده، ورد عليك مراعاة عباده، فاتق الله فيما
ولاَّك، واعرف نعمته عليك في ذلك، واجتهد في نشر العدل، وكف الظلم، وإصلاح الرعية،
فقبَّل الأرض، وأمر الخليفة بإفاضة الخلع عليه، فقام إلى موضع لبسها فيه، وعاد فقبل يد
الخليفة، ووضعها على عينيه، وخاطبه الخليفة بملك المشرق والمغرب، وأعطى العهد،
وخرج، فأرسل إلى الخليفة هدية كبيرة، منها خمسون ألف دينار، وخمسون مملوكا أتراكا،
من أجود ما يكون بخيولهم ويلاحهم، وغير ذلك من الثياب، وغيرها.

مفارقة إبراهيم ينال الموصل وما كان من آمره إلى أن قتل
وفي سنة خمسين وأربعمائة فارق إبراهيم ينال الموصل،
وتوجه نحو بلاد الجبل، فنسب
السلطان رحيله إلى العصيان وأرسل إليه يستدعيه، وبعث
الفرجية التي خلعها عليه
الخليفة، وكتب الخليفة أيضاً إليه كتباً، فرجع إبراهيم إلى
السلطان، وهو ببغداد، فخرج
الوزير الكندري لاستقباله، وأرسل الخليفة إليه الخلع، ولما
فارق إبراهيم الموصل استولى
عليها البساسيري، كما قدمناه، فسير السلطان إليها جريدة في
ألفي فارس، وكان قد فرق
عساكره بسبب النوروز، ففارقها البساسيري ومن معه، فسار
السلطان إلى نصيبين، ليتبع
آثارهم ويخرجهم من البلاد، ففارقه أخوه إبراهيم ينال، وسار
نحو همذان، فوصل إليها،
لربع بقين من شهر رمضان سنة خمسين وأربعمائة، وقد قيل:
إن المستنضر كاتبه، وكاتب
البساسيري، وأطمعه في السلطنة والبلاد، ففعل ذلك، وسار
السلطان في أثره، وهو في قلّة
من العسكر، وكان إبراهيم قد اجتمع له كثير من الأتراك، وحلف
لهم أنه لا يصالح أخاه
طغرلبك، ولا يكلّفهم المسير إلى العراق، فلم يقو السلطان له،
وأتى إلى إبراهيم محمد،
وأحمد ابنا أخيه أرتاش في خلق كثير، فازداد بهم قوة، وازداد
بهم قوة، وازداد طغرلبك
ضعفاً، فانزاح بين يديه إلى الري، وكاتب ألب أرسلان، وياقوتي
وقارود بك أولاد أخيه،
وكان داود قد مات على ما نذكره، وملك بعده ابنه أرسلان
خراسان، واستدعاهم،
فقدموا إلى عمّهم طغرلبك بالعساكر الكثيرة، فلقي إبراهيم
بالقرب من الري، فانهزم
إبراهيم، ومن معه، وأخذ أسيراً هو، ومحمد، وأحمد ابنا أخيه،
فأمر السلطان به، فخنق
بوترقوسه في تاسع جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين، وقتل
ولدي أخيه، وفي أثناء هذه
السنة عند اشتغال السلطان طغرلبك بحرب أخيه إبراهيم
استولى البساسيري على
بغداد. وأخرج الخليفة منها، وكان ما قدمناه في أخبار القائم
بالله، وكان إبراهيم ينال قد
خرج على أخيه مراراً، وهو يقدر عليه، ويعفو عنه، وإنما قتله
في هذه الواقعة لأنه علم أن

الذي جرى على الخليفة كان بسببه، ولما فرغ طغرلبك من أمر أخيه، عاد إلى العراق،
وأعاد الخليفة إلى بغداد، وكان ما قدمناه من مقتل البساسيري.
وفاة جغري بك داود
صاحب خراسان، وملك ابنه ألب أرسلان
كانت وفاته في شهر رجب سنة إحدى وخمسين، وقيل في صفر سنة اثنين وخمسين
وأربعمائة، وعمره نحو سبعين سنة، كان له خراسان، وكان حسن السيرة معترفاً بنعمة الله
عليه، شاكراً عليها؛ فمن ذلك أنه أرسل إلى طغرلبك مع عبد الصمد قاضي سرخس،
يقول: قد بلغني إخرابك للبلاد التي فتحتها وملكتها، وجلاء أهلها عنها، وهذا ما لا خفاء
به مخالفة أمر الله تعالى، في بلاده وعباده، وأنت تعلم ما فيه من سوء السمعة، وإيحاش
الرعية، وقد علمت أننا لقينا أعداءنا، ونحن في ثلاثين رجلا، وهم في ثلثمائة، فغلبناهم، ثم
كنا في ثلثمائة، وهم في ثلاثة آلاف، فغلبناهم، ثم كنا في ثلاثة آلاف، وهم في ثلاثين ألفا،
فدفعناهم، وقاتلنا بالأمس شاه ملك، وهو في أعداد كثيرة فقهرناه، وأخذنا مملكته بخوارزم،
وهرب بين أيدينا إلى خمسمائة فرسخ من موضعه، فظفرنا به، وأسرناه، وقتلناه، واستولينا
على ممالك خراسان، وسجستان، وصنا ملوكاً متبوعين، بعد أن كنا أصاغر تابعين، وما
تقتضي نعم الله علينا أن نقابلها بهذه المقابلة، فقال طغرلبك: قل له في الجواب: يا أخي أنت
ملكت خراسان، وهي بلاد عامرة، فخربتها، ووجب عليك مع استقرار قدمك عمارتها،
وأنا وردت بلاداً أخربها من تقدمني، واجتاحها من كان من قبلي، فما أتمكن من عمارتها،
والأعداء محيطة بها، والضرورة تقود إلى طرقها بالعساكر، فلا يمكن دفع مضرتهم عنها.
ولداود مناقب كثيرة، وكان له من الأولاد: ألب أرسلان، وياقوتي، وسليمان، وقاورد بك،
ولما مات ملك بعده ابنه ألب أرسلان، وتزوج طغرلبك بزوجة أخيه داود، وهي والدة
سليمان، ووصى له بالملك بعده، في سنة اثنين وخمسين
توفيت زوجة السلطان طغرلبك،
فوجد عليها وجداً شديداً، ونقل تابوتها إلى الري.
زواج طغرلبك بابنة الخليفة

وفي سنة أربع وخمسين وأربعمائة عقد السلطان طغرلبك على ابنة الخليفة القائم بأمر الله،
وكانت الخطبة قد تقدَّمت في سنة ثلاث وخمسين، مع أبي سعيد قاضي الري، فانزعج
الخليفة من ذلك، وأرسل في الجواب أبا محمد التميمي، وأمره أن يستعفي، فإن أعفى والآكمَّ
الأمر، على أن يحمل السلطان ثلثمائة ألف دينار، ويسلم واسط وأعمالها، فلما وصل إلى
السلطان ذكر لعميد الملك الكندري الوزير ما ورد فيه من الاستعفاء، فقال: لا يحسن أن
يردَّ السلطان، وقد سأل وتضرع، ولا يجوز أيضاً مقابلته بطلب الأموال والبلاد، ومهما فعلته
فهو الصواب. فبنى الأمر على الإجابة، وطلع به السلطان، فسرّ به وجمع الناس، وعرفهم
أن همته قد سمت إلى الاتصال بهذه الجهة النبوية، وبلغ من ذلك ما لم يبلغه سواه من الملوك،
وتقدَّم إلى الوزير عميد الملك أن يسير، ومعه أرسلان خاتون ابنة أخيه داود، وهي زوجة
الخليفة القائم بأمر الله، وأن يصحبها مائة ألف دينار برسم الجمل، وما شاكلها من الجواهر،
وغيرها، ووجه معه فرامرز بن كاكويه، وغيره من وجه الأمراء، وأعيان الري، فلما وصلوا
امتنع الخليفة من الإجابة، وقال: إن أعفينا، وغلا خرجنا من بغداد، فقال: عميد الملك:
كان الواجب الامتناع من غير اقتراح وعد الإجابة إلى ما طلب، فالامتناع سعي على دمي،
واخرج خيامه إلى النهروان فاستوقفه قاضي القضاة، والشيخ أبو منصور بن يوسف فانهيا
إلى الخليفة عاقبة انصرافه، فكتب الخليفة إلى عميد الملك يقول: نحن نرد الأمر إلى رأيك،
ونعوِّل على أمانتك ودينك، فحضر يوما عند الخليفة، ومعه جماعة من الأمراء، والحجّاب،
والقضاة، والشهود، فتكلم، وقال للخليفة: أسأل مولانا أمير المؤمنين، التطول بذكر ما شرف
به العبد المخلص شاهنشاه ركن الدين فيما رغب ليعرفه الجماعة، فغالطه، وقال: قد سطر
في المعنى ما فيه كفاية، فانصرف عميد الملك، ورحل في السادس والعشرين من جمادى
الآخرة، وأخذ المال معه إلى همذان، فكتب السلطان إلى قاضي القضاة، وإلى الشيخ أبي
منصور بن يوسف يعتب، ويقول: هذا جزائي من الخليفة الذي قتلت أخي في خدمته،

وأنفقت مالي في نصرته، وأهلكت خواصي في محبته، وأطال العتاب، فعاد الجواب
بالاعتذار، وطلب السلطان طغرلبك ابنة أخيه زوجة الخليفة؛ لتعاد إليه، وجرى ما كاد
يقضي إلى الفساد الكلي، فلما رأى الخليفة شدة الأمر أذن في ذلك، وكتب الوكالة باسم
عميد الملك الوزير، وكان العقد في شعبان سنة أربع وخمسين بظاهر تبريز، وهذا لم يجر
مثله، فإن بني بويه مع تحكمهم على الخلفاء ما طمعوا بمثل هذا، وحمل السلطان أموالاً
كثيرة، وجواهر نفيسة للخليفة، ولولي العهد، وللجهة المطلوبة، ولوالدتها، وغيرهم.

وصول السلطان إلى بغداد بابنة الخليفة

وفي سنة خمس وخمسين وأربعمائة في المحرم توجه السلطان طغرلبك من أرمينية إلى
بغداد، وأراد الخليفة أن يستقبله، فاستعفى من ذلك، ووصل عميد الملك إلى الخدمة،
وطالب بالجهة، فقيل له: خطك موجود بالشرط، وأن المقصود بهذه الوصلة التشريف لا
الإجتماع، وإنه أن كانت مشاهدة، فتكون في دار الخلافة، فقال للخليفة: السلطان يفعل
هذا، ولكن يفرد له من الدور والمسكن ما يكفيه، ومن خواصه، وحجابه، ومماليكه، فإنه
لا يمكنه مفارقتهم، فحينئذ نقلت إلى دار المملكة في منتصف صفر، وجلست على سرير
ملبس بالذهب، ودخل السلطان إليها، وقبل الأرض، وخدمها، ولم يكشف الخمار عن
وجهها، ولا قامت هي له، وحمل لها أشياء كثيرة من الجواهر، وغيرها، وبقي يحضر في كل
يوم، ويخدم، وينصرف، وعمل السِّماط، عدّة أيام، وخلع على عميد الملك، وجميع الأمراء.

وفاة طغرلبك

وشيء من سيرته

كانت وفاته بالريّ في يوم الجمعة لثمان خلون من شهر رمضان سنة خمس وخمسين
وأربعمائة، وكان قد سار من بغداد في شهر بيع الأول إلى بلد الجبل، ومعه أرسلان خاتون
ابنة أخيه داود، وهي زوجة الخليفة لأنها شكت إليه اطِّراح الخليفة لها، واتفق مرضه،
فمات إلى مرو، ودفن عند قبر أخيه داود، وكان عمره سبعين سنة تقريبا، ومدة ملكه منذ

خطب له بنيسابور في شعبان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة، وإلى أن توفي سبعة وعشرين
سنة، وأياما، ومنذ ملك بغداد سبع سنين، وأحد عشر شهرا، واثنا عشر يوما، وكان
عاقلا حليما من أشد الناس احتمالا، وأكثرهم كتمانا لسره، وكان يحافظ على الصلوات،
ويصوم الإثنين، والخميس، وكان ملبسه البياض إلا أنه كان فيه ظلم وقساوة، وكان أصحابه
يغصبون الناس أموالهم، وأيديهم مطلقة في ذلك، فال يمنعهم، وكان عقيما لم يولد له.
وزراؤه: أول من وزر له أبو القاسم علب بن عبد الله الجويني في سنة ست وثلاثين
وأربعمائة، ثم وزر بعده رئيس الرؤساء أبو عبد الله الحسين بن علي بن ميكائيل، ثم وزر
له بعده نظام الملك، ثم وزر له بعده عميد الملك أبو نصر الكندري، وهو أشهر وزرائه،
وإنما اشتهر دون غيره من وزرائه؛ لأن السلطان طغرلبك عظمت دولته في وزارته، وملك
العراق، وخطب له بالسلطنة، وقد تقدم من أخبار هذا الوزير ما يدل على تمكنه، والله
أعلم.
السلطان عضد الدولة
هو ألب أرسلان أبو شجاع محمد بن جغري بك داود بن ميكائيل ابن سلجق، وهو الثاني
من ملوك الدولة السلجقية، ومعنى اسمه رجل أسد، واللام والباء في ألب مفخمتان. ملك
خراسان بعد وفاة أبيه داود في شهر رجب سنة إحدى وخمسين وأربعمائة، وقيل في صفر
سنة اثنتين وخمسين، وملك العراق وغيره بعد وفاة عمه السلطان طغرلبك في سنة خمس
وخمسين، وكان طغرلبك قد نصَّ على توليه سليمان اين أخيه داود أخي ألب أرسلان لأن
أمه كانت عنده، فتبع هواها فيه، فلما مات السلطان طغرلبك نفذ الوزير عميد الملك
وصيته فيه، وأجلس سليمان في السلطنة، فاختلف الأمراء عليه، ومضى بعضهم إلى
قزوين، وخطب لعضد الدولة، فلما رأى عميد الملك فساد الحال، وميل الناس إلى عضد
الدولة، لأمر بالخطبة له بالري، ثم من بعده لسليمان، وما اتصل بألب أرسلان الخبر بوفاة
عمه جمع العساكر، وسار نحو الري، فلما قرب منها خرج إليه الوزير عميد الملك، وأظهر

طاعته، واستقرت السلطنة له بمفرده.
القبض على عميد الملك
الوزير وقتله
قال: ولما استقر ملك عضد الدولة، قبض على الوزير عميد الملك الكندري، وسبب ذلك
أنه رأى ميل الناس إليه، وانقيادهم لأمره خافه، فأمر بالقبض عليه، وأنفذه إلى مرو الروذ،
واعتقله بها سنة، ثم أمر بقتله، وكان هذا الوزير كثير البغض للشافعي وأصحابه، وكان
خصيًّاً خصاه طغرلبك لأنه أرسله يخطب له امرأة، فتزوجها، وعصى عليه، فلما ظفر به
خصاه، وأقره على خدمته، وقيل: بل أعداؤه أشاعوا عنه أنه تزوَّجها، فخصا نفسه ليبرأ
مما قيل فيه. قال المؤرخ: ومن العجب أن ذكره دفن بخوارزم لما خصي، ودمه مسفوح بمرو،
وجسده مدفون بكندر، ورأسه ما عدا قحفه مدفون بنيسابور، ونقل قحفه إلى كرمان، ولما
عرض على القتل، قال لقاتله: قل لنظام الملك بئسما عودت الأتراك قتل الوزراء، وأصحاب
الديوان، قال: ولما قبض السلطان ألب أرسلان على الوزير عميد الملك أمر بعودة ابنة
الخليفة إلى بغداد، وأعلمها أنه ما قبض عليه إلا لكونه نقلها من بغداد إلى الري بغير رضا
الخليفة، وأمر الأمير أيتكين السليماني بالمسير في خدمتها والمقام شحنة ببغداد، وأنفذ أبا
سهل محمد بن هبة المعروف بابن الموفق، وأمره بالسير في الصحبة، ومخاطبة الخليفة في
الخطبة له، فمات بالجدري قبل وصوله، فأرسل العميد أبا الفتح بن المظفر بن الحسين، فمات
أيضا في الطريق، فأرسل رئيس العراقيين، فوصل إلى بغداد في نصف شهر ربيع الآخر،
واقترح السلطان أن يخاطب: بالولد المؤيد، فأجيب إلى ذلك، ولقب ضياء الدين عضد
الدولة، وجلس الخليفة جلوسا عاما في سابع جمادى الأولى، وشافه الرسل بسلطنة ألب
أرسلان، وسلمت الخلع عليهم، وأرسل من الديوان لأخذ البيعة النقيب طراداً الزينبي،
فوصلوا إليه، وهو بنقجوان من أذربيجان، فلبس الخلع، وبايع الخليفة.
ملك عضد الدولة ختلان
وهراه، وصغانيان

كان أمير ختلان بعد وفاة السلطان طغرلبك عصى بالقلعة، ومنع الخراج، فقصده
السلطان، فوجد الحصن منيعا، فحاصره، ثم قتل صاحب الحصن بسهم جاءه، وهو على
شرفة من شرفات السور، فهلك، وملك ألب أرسلان الحصن، وكان فخر الملك بيغو بن
ميكائيل في هراة، فعصى أيضاً عليه، وطمع في الملك لنفسه، فسار إليه، وحصره، وضيق
عليه، وأدام القتال ليلاً ونهاراً، فسلم المدينة، وخرج إلى ابن أخيه، فأكرمه، وسار إلى
صغانيان، وأميرها موسى، وكان قد عصى عليه، فلما وصل لم ينتصف النهار حتى ملك
القلعة قهراً، وأمر بقتل موسى، فبذل في نفسه أموالاً كثيرة، ثم عاد السلطان إلى مرو، ثم
منها إلى نيسابور.

الحرب بين السلطان وبين شهاب الدولة قتلمش وموته

كان شهاب الدولة قتلمش بن سلجق قد عصى على طغرلبك، فلما مات جمع عساكره،
وقصد الري، واستولى عليها، فسار السلطان من نيسابور في أول المحرم سنة ست
وخمسين، فوصل إلى دامغان، وأرسل قتلمش يتنكر عليه، وينهاه، فأجاب بجواب غير
مرض، ونهب قري الريّ، وأجرى الماء على وادي الملح، وهي سبخة، فتعذر على
السلطان سلوكها، فجاء، وخاض في الماء بعسكره، ولقيه، واقتتلوا، فلم تثبت عسكر
قتلمش، ومضى هو إلى قلعة كردكوه، وكانت من حصونه، واستولى القتل والأسر على
عسكره، ثم عفا السلطان عنهم بشفاعة نظام الملك، فلما سكن الغبار، ونزل العسكر،
وجد قلتمش ميتا لم يدر كيف كان موته، فقيل إنه مات من الخوف، فبكى السلطان لموته،
وجلس لعزائه، وعظم عليه فقده، وقتلمش هذا هو جد الملوك السلجقية ملوك الروم، وكان
قتلمش يعلم النجوم، يعلمه أولاده من بعده، فزادوا فيه، فنالهم به عضاضة في دينهم.

فتح مدينة آني

وغيرها من بلاد النصرانية

قال: وسار ألب أرسلان من الري إلى أذربيجان في أول شهر ربيع الأول، وقد عزم على
جهاد الروم، وغزوهم، فأتاه أمير من الروم كان يكثر غزوهم اسمه طغركين، ومعه من

عشيرته خلق كثير قد ألفوا الجهاد، وخبروا تلك البلاد، وحثه على قصد بلاد
الروم،وضمن له سلوك الطريق المستقيم، فسار معه فوصل إلى نفجوان ، وأمر بعمل السفن
لعبور النهر، وجميع العساكر، وسار إلى بلاد الكرج، وجعل مكانّه في عسكره ولده
ملكشاه، والوزير نظام الملك، فساروا إلى قلعة فيها جمع كثير من الروم ، فحصاروها،
فملكها المسلمون، وقتل أميرها، وساروا منها إلى قلعة سمارس وهي قلعة فيها الأنهار
الجارية، والبساتين، فملكوها، وفتحوا قلعة أخرى بالقرب منها، وشحنوها بالرجال
والذخائر والأموال، والسلاح وسم هذه القلاع إلى أمير نقجوان، ثم سار إلى مدينة مريم
ونسين، وفيها كثير لأهل هذه البلد، وهي مدينة حصينة، وسورها من الحجر المبني
بالرصاص والحديد، وعندها نهر كبير؛ فأعدّ نظام الملك السفن لقتال من بها، ودوام القتال
ليلا ونهاراً إلى أن يسّر الله فتحها، وأحرقوا البيع، وقتلوا كثير من أهلها، وأسلم كثير،
فنجوا من القتل، ثم استدعى السلطان ابنه،والوزير، فسارا إليه، ففرح بما يسَّره الله من
الفتح على يد ملكشاه ابنه، وفتح عدة من الحصون في طريقه، واسر من النصارى ما لا
يحصى كثرة، وساروا إلى سيبد سهر، فجرى بين أهلها، وبين المسلمين حروب شديدة، ثم
يسَّر الله فتحها، وملكها السلطان، وسار منها إلى مدينة أعال لال، وهي حصينة عالية
الأسوار شاهقة، وهي من جانبيها الشرقي والغربي على جبل عال، وعليه عدَّة من
الحصون، ومن الجانبين الآخرين نهر كبير لا يخاض، وكان ملكها من الكرج، فجرى عليها
حروب عظيمة، ويسّر الله فتحها، واعتصم جماعة من أهلها في برج من ابراج المدينة،
فأحرقه السلطان بالنار، وغنم المسلمون من المدينة ما لا يحصى، وخرجوا إلى خيامهم،
فلما جن الليل عصفت الريح، فاحترقت المدينة من نار البرج، وذلك في شهر رجب سنة
ست وخمسين وأربعمائة، وملك السلطان قلعة حصينة كانت إلى جانب المدينة، وأخذ ما
فيها، وسار منها إلى ناحية قرش، ومدينة آني وبالقرب منها بسل وورده. وجوده، فخرج

أهلها مذعنين معلنين بالإسلام، وخربوا البيع، وبنوا المساجد، وسار منها إلى مدينة آني،
فرآها حصينة لا ترام، ثلاثة أرباعها على نهر رأس، والربع الآخر على نهر عميق شديد
الجرية لو طرحت الحجارة فيه لحملها، والطريق إليها على خندق عليه سور من الحجارة
الصم، وهي مدينة عامرة آهلة، وضيَّق على من بها إلا أن المسلمين أيسوا من فتحها لما
رأوا من حصانتها، فأتى من لطف الله تعالى ما لم يكن في حساب، وانهدم من السّور قطعة
كبيرة لم يعلم سبب هدمها، فدخل المسلمون في المدينة، وقتلوا من أهلها ملا لا يحصى
كثرة، وأسروا نحوا مما قتلوا، وسارت البشائر بهذا الفتح في البلاد، وقرأ كتاب الفتح ببغداد
في دار الخلافة، فبرز خط الخليفة بالثناء على ألب أرسلان، والدعاء له، فرتب السلطان
بالمدينة أميرا في عسكر جرار، وعاد عنها وقد راسله ملك الكرج في الهدنة، وصالحه على
أداء الجزية في كل سنة، وعاد السلطان إلى أصفهان، وكرمان، ثم إلى مرو، وزوج ابنة
ملكشاه بابنة خاقان ملك ما وراء النهر، وزفت إليه في هذه السنة، وزوج ابنه أرسلان
شاه بابنة صاحب غزنه، فاتحد البيت السلجقي والمحمودي، واتفقت الكلمة.
وفي سنة سبع وخمسين وأربعمائة ابتدئ بعمارة المدرسة النظامية ببغداد، وكملت
عمارتها في سنة تسع وخمسين، وتقرر التدريس بها للشيخ أبي سحاق الشيرازي، فلما
اجتمع الناس لحضور الدروس طلب، فلم يوجد، وكان سبب تأخره أنه لقيه صبي، فقال:
كيف تدرس في مكان مغصوب؟، فلم يحضر، فلما أيس الناس من حضوره درس بها أبو
نصر الصباغ صاحب الكتاب الشامل، ثم تلطف نظام الملك بالشيخ أبي إسحاق، حتى
درَّس بها بعد عشرين يوماً.
تقرير ملكشاه في ولاية العهد بالسلطنة من بعد أبيه
وتقرير البلاد باسم أولاد السلطان وأخوته
في سنة ثمان وخمسين وأربع مائة سار السلطان ألب أرسلان من مرو إلى أرزكان، ونزل
بظاهرها، ومعه جماعة من أمراء دولته، فأخذ عليهم العهود والمواثيق لولده ملكشاه بأنه

السلطان من بعده، وركبه، ومشي بين يديه يحمل الغاشية، وخلع السلطان على جميع
الأمراء، وأمر بالخطبة له في جميع بلاده، وأقطع البلاد، ومازندران لأمير أينانج بيغو، وبلخ
لأخيه سليمان بن داود جفري بك، وخوارزم لأخيه أرسلان أرغو ومرو لابنه أرسلان
شاه، وصغانيان وطخارسان لأخيه إلياس، وولاية بغشور، ونواحيها لمسعود بن ارتاش،
وهو من أقارب السلطان.
عصيان ملك كرمان
وعوده إلى الطاعة وطاعة حصون فارس
وفي سنة تسع وخمسين وأربعمائة عصى قرار أرسلان ملك كرمان على السلطان، ونزع
الطاعة، وسبب ذلك أن وزيره حسّن له هذا الفعل، فظن أنه يقدر على الإستبداد بالأمر،
فسار السلطان ألب أرسلان إليه، والتقت مقدمته بمقدمته، فانهزم أصحاب قرا أرسلان
بعد قتال، وسار لا يلوي على شيء،، فوصل إلى قلعة، وامتنع بها، وراسل السلطان في
طلب الأمان، وبذل الطاعة، فأمّذنه، وحضر إليه، فأكرمه، وأعاده إلى مملكته، فقال قرا
أرسلان للسلطان: إن لي بنات، وقد جعلت أمرهنَّ إليط، وتجهيزهن، فأعطى السلطان إلى
كل منهن مائة ألف دينار سوى الثياب، ثم سار السلطان منها إلى فارس، فوصل اصطخر،
وفتح قلعتها، واستنزل واليها، فحمل إليه الوالي هدايا عظيمة جليلة المقدار من جملتها قدح
فيروزج مكتوب عليه اسم جمشيد الملك، وأطاعه جميع حصون فارس، وبقيت قلعة هناك
يقال لها: بهتزاذ، فسار نظام الملك إليها، وحصرها، ففتحها في اليوم السادس عشر من
منازلتها، ووصل السلطان إليها بعد الفتح، فعظم محل نظام الملك عنده، وعلت منزلته، وزاد
في تحكمه، والله أعلم بالصواب.
اقامة الخطبة بحلب
وفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة خطب تاج الملوك محمود بن نصر مرداس بحلب للخليفة
القائم بأمر الله، وللسلطان ألب أرسلان، وسبب ذلك أنه لما رأى انتشار الدولة السلجقية،
وقوتها، وإقبالها، جمع أهل حلب، وقال: هذه دولة جديدة، ومملكة شديدة، ونحن تحت

الخوف منهم، وهم يستحلون دماءكم لأجل مذهبكم، والرأي أن نقيم الخطبة قبل أن يأتي
وقت لا ينفعنا فيه ذلك، فأجاب مشايخ البلد، ولبس المؤذنون السواد، وخطب لهما،
فأخذت العامة حُصر الجامع، وقالوا: هذه حصر علي بن أبي طالب، فليأت أبو بكر بحصر
يصلي عليها بالناس، وأرسل الخليفة: إلى محمود الخلع مع نقيب النقباء طراد بن محمد
الزينبي، والله أعلم.

استيلاء السلطان على حلب

وفي سنة ثلاث وستين أيضاً سار السلطان إلى حلب، وجعل طريقه على ديار بكر، فخرج
إليه صاحبها نصر بن مروان، وخدمه بمائة ألف دينار، وحمل إليه إقامة بلغ السلطان أنه
بسطها على البلاد فأمر بردّها، ووصل إلى آمد، فرآها ثغراً منيعاً، فتبرك به، وجعل يمر
بيده على السور، ويمسح بها صدره، وصار إلى الرُّها، فحصرها، فلم يظفر منها بطائل،
فسار إلى حلب، فسأل صاحبها محمود نقيب النقباء رسول الخليفة أن يخرج إليه، ويعلمه
أنه لبس بخلع الخليفة واستعفاه. من الحضور، فقال: لا بد من حضوره، وأن يبطل الأذان
بحيي على خير العمل، فامتنع محمود، واشتد الحصار على البلد، وغلت الأسعار، وزحف
السلطان يوماً، فوقع حجر منجنيق على فرسه، فلما عظم الأمر على محمود صاحب
حلب خرج ليلاً هو وأمه، ودخلا على السلطان، وقالت له: هذا ولدي تفعل به ما تحب،
فتلقاهما بالجميل، وأحسن إلى محمود، وخلع عليه، وأعاده.

خروج ملك الروم إلى خلاط وأسره

ولما عاد السلطان من حلب وصل إلى مدينة خُوىّ من أدربيجان، فبلغه خروج أرمانوس
ملك الروم في مئتين ألوف من الروم، والفرنج والعرب المتغره، والكرج، والروس، وغيرهم من
طوائف تلك البلاد، وأنه وصل إلى بلاد خلاط، فلم يتمكن السلطان من جمع العساكر
لبعدها، وقرب العدو، فسيّر أثقاله مع نظام الملك إلى همذان، وسار هو، فيمن معه من
العسكر، وهم خمسة عشر ألف فارس، وجد في السير، وجعل له مقدمة، فالتقت بمقدمة
العدو، وهم عشرة آلاف فارس من الروس، فقاتلوهم، فانهزم الروس، وأسر مقدمهم، وحمل

إلى السلطان، فجدع أنفه، وأرسل إلى ملك الروم يطلب منه المهادنة، فأجاب: لا هدنة إلا
بالري، فلما كان يوم الجمعة بعد الصلاة ركب السلطان، وقال لأصحابه: من أراد
الانصراف، فلينصرف، فما ها هنا سلطان يأمر وينهي، وبكى، وأبكى، ورمى القوس
والنشاب، وأخذ السيف والدبوس، وعقد ذنب فرسه بيده، وفعل عسكره مثله، ولبس
البياض، وتحنط، وقال: إن قتلت، فهذا كفني، وذلك لخمس بقين من ذي القعدة سنة ثلاث
وستين، وزحف إلى الروم، وزحفوا له، فلما قاربهم ترجّل، وعقر وجهه في التراب، وبكى،
وأكثر من الدعاء، ثم ركب وحمل، فأعطى الله النصر للمسلمين، فقتلوا من العدو ما لا
يحصى كثرة، وأسر ملك الروم، أسره بعض غلمان كوهراتين، ولم يعرفه، وأراد قتله، فقال له
خدم معه: هذا الملك لا تقتله، وكان هذا الغلام قد عرض على عضد الدولة، فلميجز
عرضه استحقاراً له، فشكره كوهراتين، فقال نظام الملك: عسى أن يأتينا بملك الروم أسيراً،
فكان كذلك، فلما أسره الغلام أحضره إلى مولاه كوهراتين، فأحضره إلى السلطان، فضربه
السلطان ثالث ضربات بالمقرعة، وقال: ألم أرسل إليك في الهدنة، فأبيت، فقال: دعني من
التوبيخ، وافعل ما تريد، فقال السلطان: ما عزمت أن تفعل بي إن أسرتني؟ فقال: كنت
أفعل كل قبيح، قال: فما تظن أني أفعل معك؟ فقال: إما أن تقتلني، وإما أن تشهرني في
البلاد، والأخرى بعيدة، وهي العفو، وقبول الأموال، واصطناعي باتباعك، وقال: ما عزمت
على غير هذا، ففدى نفسه بألف ألف وخمسمائة ألف دينار، وقطيعة في كل سنة ثلاثمائة
ألف وستين ألف دينار، وإطلاق كل أسير في بلاد الروم من المسلمين، وأن ينفذ إليه عساكر
الروم متى طلبها، واستقر الأمر على ذلك، وأنزله السلطان في خيمة، وأطلق له جماعة من
أسر من البطارقة، وخلع عليه من الغد، وأرسل إليه عشرة آلاف دينار يتجهز بها، وقام
ملك الروم إلى جهة الخليفة، وكشف رأسه، وأومأ إلى الأرض بالخدمة، ثم جهز السلطان
معه عسكراً يوصله إلى مأمنه، وشيّعه فرسخاً، وأما الروم فلما بلغهم خبر الوقعة وثب

ميخائيل على المملكة، وملك البلاد، فلما وصل أرمانوس الملك إلى قلعة دوفنه، بلغه الخبر،
فلبس الصوف، وأظهر الزهد، وأرسل إلى ميخائيل يعرفه ما تقرر بينه وبين السلطان،
فأجاب ميخائيل بإيثار ما استقر، وجمع أرمانوس ما عنده من المال، فكان مائة ألف دينار،
وطبق عليه جواهر بتسعين ألف دينار، فحمل ذلك إلى السلطان، وحلف أنه لا يقدر على
غيره، ومضى أرمانوس بمن معه إلى بلاد الأرمن، فملكها، وقتل ملكها، وأرسل رأسه إلى
بغداد، ودعا للسلطان بها.

ملك أتسز بيت المقدس ودمشق

وفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة قصد أتسز بن أوق الخوارزمي، وهو من أمراء السلطان
ملكشاه، فجمع الأتراك، وسار إلى فلسطين، ففتح الرملة، وسار منها إلى بيت المقدس،
وحصره، وفيه عساكر المصريين، ففتحه، وملك ما يجاورهما من البلاد ما عدا عسقلان،
وقصد دمشق، فحصرها، وتابع النهب لأعمالها حتى خربها، وقطع الميرة عنها، ولم يقدر
عليها، ثم فتحها في سنة ثمان وستين وأربعمائة في سلطنة ملكشاه في خلافة المقتدي، وذلك
أنه جعل يغير عليها في كل سنة، ويقصد أعمالها عند إدراك المُغل، فيقوى هو وعسكره،
ويضعف أهل دمشق وجندها، ثم حصر دمشق في شهر رمضان سنة سبع وستين،
وأميرها يوم ذاك المعلّى بن حيدره من قبل المستنصر صاحب مصر، فعجز عن فتحها،
فانصرف عنها في شوال، واتفق أن أميرها المعلى أساء المسيرة مع الجند والرعية، فثار به
العسكر، فهرب إلى بانياس، ثم منها إلى صور، ثم سار إلى مصر، فحبس بها حتى مات،
ملما هرب من دمشق اجتمعت المصامدة، وولوا عليهم انتصار بن يحيى المصمودي
المعروف: بزوين الدولة، واتفق وقوع غلاء شديد حتى أكل الناس بعضهم بعضاً، ووقع
الخلف بين المصامدة، وبين أحداث البلد، فعاد أتز إلى دمشق، ونازلها في شعبان سنة ثمان
وستين، وحصرها حتى عدمت الأقوات، فتسلمها عند ذلك بالأمان، ودخلها بعسكره في
ذي القعدة، وخطب بها للمقتدى لخمس بقين من الشهر، وعوض عنها انتصار بقلعة بانياس،

ومدينة يافا من الساحل.
تزويج ولي العهد بابنه السلطان.
وفي سنة أربع وستين وأربع مائة، أرسل الخليفة القائم بأمر الله عميد الدولة بن جهير إلى
السلطان بالخلع له، ولولده ملكشاه، وأمره أن يخطب سفري خاتون ابنة السلطان لولي العهد
المقتدى بأمر الله، ففعل ذلك، فأجيب إليه، وعقد النكاح بظاهر نيسابور، وكان عميد
الدولة الوكيل في قبول النكاح، ونظام الملك الوكيل من قبل السلطان وكان النثار من الجوهر.
ملك السلطان قلعة فضلون.
وفي هذه السنة سير السلطان الوزير نظام الملك في عسكر إلى بلاد فارس، وكان بها حصن
من أمتع حصونها، وفيه صاحبه فضلون، وهو لا يعطى الطاعة، فنازله، وحاصره، فامتنع،
وقاتل، فلم تطل المدة حتى نادى أهل الحصن بطلب الأمان بغير سبب ظاهر ولا قتال،
وظهر أن سبب ذلك أن جميع آبار الحصن غارت مياهها في ليلة واحدة، فأمنهم نظام
الملك، وتسلّم الحصن، وهرب فضلون إلى القلعة، ثم قبض عليه وجيء به إلى السلطان،
فأحسن إليه، وأمنه، وأطلقه.
مقتل ألب أرسلان
وشيء من سيرته.
وفي سنة خمس وستين وأربعمائة قصد السلطان ما وراء النهر، فعقد جسراً على
جيحون، وعبر عليه في نيف وعشرين يوماً، وكان عسكره يزيد على مائتي ألف فارس،
وكان ببعض القلاع رجل خوارزمي اسمه يوسف قد عصى، وتحصن بالقلعة، فبعث إليه
السلطان جماعة، فحاصروه، وأخذوه، وأتوا به إلى السلطان، فأمر أن تضرب له أربعة
أوتاد، وتشدّ أطرافه إليها، فقال يوسف: يا مخنث، مثلي يقتل هذه القتلة؟ فغضب لذلك،
وأخذ القوس والنشاب، ورماه ثلاث مرات، وهو يخطىء، وكان لا يخطىء في رميه، فوثب
يوسف، وضربه بسكين في خاصرته، وأدركه الجند، فقتلوه، وسدّ جرح السلطان، وعاد
إلى جيحون وقال: ما من وجه قصدته، وعدوّ أردته إلا استغنت بالله عليه، فلما كان
بالأمس صعدت على تل؛ فارتجت الأرض تحتي من عظم الجيش، فقلت في نفسي: أنا ملك

الدنيا، وما يقدر أحد على، فعجزني الله تعالى بأضعف خلقه، وأنا أستغفر الله، وأستقيله
من هذا الخطأ، وأحضر الوزير نظام الملك، والجند، وأوصاهم بولده ملكشاه، واستحلفهم
له.
وتوفي في عاشر شهر ربيع الأول، وحمل إلى مرو، فدفن بها عند أبية، وكان مولده في سنة
أربع وعشرين، فكان عمره أربعين سنة وشهوراً، وكانت مدة ملكه منذ خطب له بالسلطنة
تسع سنين، وستة أشهر، وأياماً.
وكان كريماً عادلاً عاقلاً لا يسمع السعايات، وكان رحيم القلب، رفيقاً بالفقراء، كثير
الصدقة، تصدّق في شهر رمضان بخمسة عشر ألف دينار، وكان في ديوانه أسماء خلق من
الفقراء في جميع مملكته عليهم الإدرارات، والصلات، ولم يسمع عنه بمصادرة بل قنع بالخراج
والغنائم، قيل: إن بعض السعاة كتب إليه سعاية في نظام الملك الوزير، وذكر ما له من الرسوم
والأموال، وترك الرقعة على مصلاه، فقرأها، ثم سلمها إلى نظام الملك، وقال له: إن كانوا
صدقوا في الذي ذكروا، فحسن أخلاقك، وإن كانوا كذبوا فاغفر لهم زلتهم، وأشغلهم بمهِّم
يشتغلون به عن السعاية بالناس، وناهيك بهذه مكرمة.
وكان له من الأولاد: ملكشاه، وتكش، وإيار، وتتش، وأرسلان أرغو، وتوزي برش،
وساده، وعائشة، وبنت أخرى.
وزيره: نظام الملك.
ولما وصل الخبر إلى بغداد بموته حبس الوزير فخر الدولة بن جهير للعزاء في صحن دار
السلام، وملك بعده ابنه.
جلال الدولة ملكشاه.
ابن السلطان عضد الدولة ألب أرسلان محمد بن جغري بك داود بن ميكائيل بن
سلجق.
وهو الثالث من ملوك الدولة السلجقية.
ملك بعد وفاة أبيه في عاشر ربيع الأول سنة خمس وستين وأربعمائة، وكان والده قد
حلّف له العساكر كما قدمناه، وكان ملكشاه قد صحب والده في هذه السفرة، ولم يصحبه
في سفرة غيرها، فأوصاه والده أن يعطي عمه قاورد بك بن داود أعمال فارس، وكِرمان،

وشيئاً عيّنه من المال، وأن يزوج زوجته، وكان قاورد بك بكرمان، وأوصى بأن يعطى ابنه
إياز ما كان لأبيه داود، وهو خمسمائة ألف دينار، وقال: من لم يرض بما أوصيت له به،
فقاتلوه، واستعينوا على حربه بما جعلت له، وعاد ملكشاه من بلاد ما وراء النهر، وقد
تولّى تدبير دولته الوزير نظام الملك وزير أبيه، فعبر النهر في ثلاثة أيام، وزاد الأجناد سبعمائة
ألف دينار، وعاد إلى خراسان، وقصد نيسابور، ومنها إلى الري، وكتب إلى ملوك الأطراف
بإقامة الخطبة له، فخطب له. والله أعلم.
الحرب بين السلطان ملكشاه وبين عمه قاورد بك.
قال: ولما بلغ قاورد بك وفاة أخيه، وكان بكرمان قصد الري ليستولي على المملكة،
فسبقه إليها ملكشاه ونظام الملك، وسارا منها، فالتقوا بالقرب من همذان في رابع شعبان،
واقتتلوا، فانهزم قاورد بك وعسكره، ثم أُسر، وجيء به إلى السلطان، فأمر بخنقه، وأقرّ
كرمان بيد أولاده، وسيّر لهم الخلع، فملك سلطان شاه بن قاورد بك كرمان، وفوض
السلطان جميع أمور دولته إلى نظام الملك الوزير، ولقبه ألقاباً من جملتها: أتابك، ومعناه:
الأمير الوالد، وأقطعه إقطاعاً وافراً زيادة على ما كان له، من جملته طوس، وأحسن السيرة،
وظهر من عدله ما لا مزيد عليه، وفي سنة ست وستين وأربعمائة. في ثالث صفر. ورد
كوهراتين إلى بغداد من قبل السلطان ملكشاه، فجلس الخليفة القائم بأمر الله له مجلساً
عاماً، وسلم إليه عهد السلطان ملكشاه بالسلطنة واللواء، وعقده الخليفة بيده، وفيها
استعاد السلطان ترمذ من خاقان تكين وكان قد غلب عليهما لما مات ألب أرسلان، فلما
استقامت الأمور لملكشاه حصرها، واستعادها، ففارقها صاحبها، فأرسل يطلب
المصالحة، واعتذر من تعرضه إلى ترمذ، فوقع الصلح بينهما، وعاد السلطان، وأقطعه بلخ،
وطخارستان لأخيه شهاب الدين تكش.
استيلاء تكش على بعض خراسان.
وفي شعبان سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة سار ملكشاه إلى الري، وعرض العسكر،
وأسقط منهم سبعة آلاف رجل، فقال له الوزير نظام الملك: هؤلاء الجند لم يكن منهم كاتب،

ولا تاجر، ولا خياط، وليس لهم صنعة غير الجندية، ولا نأمن أن يقدموا منهم رجلاً،
ويقولوا هذا السلطان، فيكون لنا منهم شغل، ويخرج عن أدينا أضعاف مالهم من الجاري
إلى أن تظفر بهم، فلم يقبل السلطان نصحه، وقطعهم، فمضوا إلى أخيه تكش، فقوى بهم،
وأظهر العصيان على أخيه، واستولى على مرو الروذ، ومرو الشاهجان، وترمذ، وغيرها،
وسار إلى نيسابور طمعاً في ملك خراسان، فسبقه السلطان إليها، فعاد تكش، وتحصن
بترمذ، وأسر جماعة من أصحاب السلطان، فقصده السلطان، فأطلقهم، واستقر الصلح
بينهما، ونزل تكش عن ترمذ، ثم عاد إلى العصيان في سنة سبع وسبعين، وأخذه السلطان
وسمله.
وفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة مات للسلطان ملكشاه ولد اسمه داود، فجزع عليه
جزعاً شديداً، ومنع دفنه حتى تغيرت رائحته، وأراد أن يقتل نفسه، فمنعه خواصه.
قتل أبي المحاسن بن أبي الرضا.
وفي سنة ست وسبعين وأربعمائة في شوال قتل سيد الرؤساء أبو المحاسن بن كمال الملك
أبي الرضا، وكان قد قرب من السلطان ملكشاه قرباً عظيماً، وكان أبوه يكتب الطغراء،
فقال أبو المحاسن للسلطان: سلم إليّ نظام الملك وأصحابه، وأنا أحمل إليك منهم ألف ألف
دينار، فإنهم يأكلون الأموال، ويقتطعونها، وعظم عنده ذخائرهم، وأموالهم، فبلغ ذلك نظام
الملك، فعمل سماطاً عظيماً، وأقام عليه مماليكه، وهم ألوف من الأتراك، وأقام خيلهم،
وجعل سلاحهم على جمالهم، فلما حضر السلطان، قال له: إني قد خدمتك، وخدمت
أباك وجدك، ولي حق خدمة، وقد بلغك أخذي لعشر أموالك، وقد صدق الناقل، هذا أنا
آخذه وأصرفه إلى هؤلاء الغلمان الذين جمعتهم لك، وإلى الصدقات، والصلات، والوقوف
التي عظم ذكرها،وشكرها، وأجرها لك، وأموالي وجميع ما أملكه بين يديك، وأنا أقنع
بمرقعة وزاوية، فأمر السلطان بالقبض على أبي المحاسن، وأن تسمل عيناه، وأنفذه إلى قلعة
نساوة، وسمع أبوه كمال الملك الخبر، فاستجار بدار نظام الملك، فسلم، وبذل مائتي ألف

دينار، وعزل عن الطغراء، ورتب مكانه مؤيد الملك بن نظام الملك المقدم ذكره.
ملك السلطان حلب وغيرها.
كان سبب ذلك أن سليمان بن قتلمش السلجقي صاحب الروم فتح انطاكية، وكان بينه
وبين شرف الدولة مسلم صاحب حلب وقعة قتل فيها شرف الدولة، ثم قتل سليمان، على
ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في أخبار ملوك الروم السلجقية، فلما وقع ذلك كتب ابن
الحبيبي مقدم حلب إلى السلطان ملكشاه يعلمه ذلك، ويستدعيه ليتسلمها خوفاً من تتش
صاحب دمشق، فسار من أصفهان في جمادى الآخرة سنة ست وسبعين وأربعمائة،
وجعل طريقه على الموصل، فوصل إليها في شهر رجب، وسار منها إلى حرّان، فسلمها إليه
ابن الشاطر، فأقطعها السلطان محمد بن شرف الدولة، وسار إلى الرّها، وهي بيد الروم،
فحصرها، وملكها وسار إلى قلعة جعبر، فحاصرها يوم وليلة، وملكها، وأخذ صاحبها
جعبر، وهو شيخ أعمى، وولديه، وكانت الأذية بهم عظيمة يقطعون الطريق، ويلجئون إليها،
ثم عبر الفرات إلى مدينة حلب، فملك في طريقه مدينة منبج، فلما قارب حلب ورحل عنها
أخوه تتش، وكان قد ملك المدينة، وسلك البرية، ومعه الأمير أرتق، فأشار عليه بكبس
عسكر السلطان، فامتنع، وقال لا أكسر جاه أخي الذي أنا مستظل بظله، فإنه يعود بالوهن
عليّ، وسار إلى دمشق، ولما وصل السلطان إلى حلب تسلم المدينة والقلعة بعد امتنع
مالك بن سالم بها، ثم سلمها على أن يعوضه غيرها، فعوضه قلعة جعبر، فبقيت في يده،
ويد أولاده إلى أن أخذها منهم نور الدين محمود بن زنكي على ما نذكره إن شاء الله تعالى،
أرسل الأمير نصر بن علي بن منقذ الكناني صاحب شيزر إلى السلطان، وبذل الطاعة،
وسلم إليه اللاذقية، وكفر طاب، وأقاميه، فأجابه السلطان إلى المسالمة، وترك قصده، وأقر
عليه شيزر، ولما ملك السلطان حلب سلمها إلى قسيم الدولة آق سنقر، وهو جد نور
الدين الشهيد، وقبل تسلمها في سنة ثمانين.
دخول ملكشاه بغداد

كان دخوله إلى بغداد في ذي الحجة سنة سبع وسبعين وأربعمائة بعد رجوعه من حلب،
وهو أوَّل دخوله إليها، ونزل بدار المملكة، وركب من الغد إلى الخليفة، ولعب بالأكرة،
ومضى إلى الصيد هو ونظام الملك في البرِّية، فاصطاد شيئا كثيرا من الوحوش والغزلان،
وغير ذلك، وأمر ببناء منارة بقرون الغزلان، وحوافر الحمر الوحشية التي صادها. قال ابن
خلكان في وفيات الأعيان: والمنارة باقية إلى الآن، وتعرف بمنارة القرون، وعاد إلى بغداد،
ودخل الخليفة المقتدي، فخلع عليه الخلع السلطانية، وفوض إليه أمر البلاد والعباد، وأمره
بالعدل، وطلب السلطان بأن يقبِّل يد الخليفة، فلم يجبه، فسأل أن يقبل خاتمه، فأعطاه،
فقبله، ووضعه على عينيه، وأمره الخليفة بالعود، فعاد، ولما خرج من عنده لم يزل الوزير
نظام الملك قائماً يقدم أميراً إلى الخليفة. وكلما قدم أمير يقول: هذا العبد فلان، وإقطاعه
كذا وكذا، وعدة عسكره كذا، إلى أن أتى على آخر الأمراء، فخلع الخليفة على نظام
املك، ودخل نظام املك إلى المدرسة النظامية، وسمع الناس عليه الحديث بالمدرسة، وأقام
ببغداد إلى صفر سنة ثمانين وسار إلى أصفهان.
وفي سنة ثمانين وأربعمائة جعل السلطان ولي عهده ولده أبا شجاع، ولقبه ملك الملوك
عضد الدولة تاج الملة عدة أمير المؤمنين، وأرسل إلى الخليفة أن يخطب له ببغداد، ويلقبه
بهذه الألقاب، فخطب له في شعبان، ونثر الذهب على الخطباء.
ملك شاه ما وراء النهر
وفي سنة اثنين وثمانين وأربعمائة ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر، وسبب ذلك أن
سمرقند كان قد ملكها أحمد بن خضر خان أخو شمس الملك الذي كان قبله، وهو ابن
أخي تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه، وكان ظالماً قبيح الصورة كثير المصادرات
للرعية، فنفروا منه، واستغاثوا بالسلطان، فسار من أصفهان، وكان قد حضر إليه رسول
صاحب الروم بالجزية المقررة عليه، فأخذه نظام الملك معه إلى ما وراء النهر، وحضر فتح
البلاد، وإنما فعل ذلك ليؤرخ عنهم أن ملك الروم حمل الجزية من بلاده إلى كاشغر، وليرى

عظم ملك السلطان، وكثرة جيوشه، وسعة ممالكه، فسار السلطان من أصفهان إلى
خراسان، وجمع من العساكر ما لا يحصرها ديوان، وقطع النهر، ووصل بخاري، وملكها،
وملك ما على طريقه إليها، وما جاورها، وقصد سمرقند، ونازلها، وحصرها، وملكها،
واختفى أحمد خان في بيت بعض العوامّ، فأخذ، وحمل إلى السلطان، وفي عنقه حبل،
فأكرمه السلطان، وبعثه إلى أصفهان، ورتب بسمرقند الأمير العميد أبا طاهر عميد
خوارزم، وسار السلطان، وقصد كاشغر، فبلغ بيوزكند وأرسل رسلاً إلى ملك كاشغر،
فأمره بإقامة الخطبة له، وضرب السكّة باسمه، فأكرمه، وتابع الإنعام عليه، وأعاده إلى بلده،
وعاد السلطان إلى خراسان.

عصيان سمرقند وفتحها

قال: ولما أبعد السلطان عن سمرقند لم يتفق أهلها وعسكرها المعروفون بالجكلية مع
العميد أبي طاهر نائب السلطان عندهم، فاحتال حتى خرج من عندهم، ومضى إلى
خوارزم، وكاتب مقدم الجكلية، واسمه عز الدولة يعقوب تكين، وهو أخو ملك كاشغر
يستدعيه، فحضر عنده بسمرقند، واتفقا، ثم إن يعقوب علم أن أمره لا يستقيم معه، فوضع
عليه من الرعية من ادعى عليه بدماء قوم كان قتلهم، فقتله يعقوب، واتصلت الأخبار
بالسلطان، فعاد إلى سمرقند، فلما وصل إلى بخاري هرب يعقوب المستولي على سمرقند
ورتب بها الأمير أتسز، وسار في أثر يعقوب حتى نزل بيوزكند وأرسل العساكر إلى ملك
كاشغر يطلبه منه، وأنه إذا لم يرسله قصد بلاده، واتفق أن عسكر يعقوب شغبوا عليه،
ونهبوا خزائن، فاضطر إلى أن هرب إلى أخيه بكاشغر، واستجار به، وكان بينهما عداوة
مستحكمة، فكاتبه السلطان في إرساله، وإنه إن لم يفعل كان هو العدو، فقبض عليه وسيره
مع ولده، وجماعة من أصحابه، وأمرهم أنهم إذا صاروا بالقرب من السلطان سلموه، فإن
رضي السلطان بذلك، وإلا سلموه إليه، فلما قصدوا سملهُ وأحموا الميل، جاءهم الخبر أن
طغرل بن ينال كبس ملك كاشغر وأسره، فأخروا يعقوب، وأطلقوه، ثم اتفق هو والسلطان،

وجعله السلطان يقابل طغرل، وعاد السلطان إلى خراسان.
وصول السلطان إلى بغداد.
وفي شهر رمضان سنة أربع وثمانين وأربعمائة وصل السلطان إلى بغداد، وهي المرة الثانية،
ونزل بدار المملكة، ووصل إليه أخوه تاج الدولة تتش صاحب دمشق، وقسيم الدولة آق
سنقر صاحب حلب وغيرهما من عمال الأطراف، وأمر السلطان بعمارة الجامع المعروف
بجامع السلطان، وابتدىء بعمارته في المحرم سنة خمس وثمانين.
ملك السلطان اليمن
قال: ولما وصل السلطان إلى بغداد كان ممن حضر معه جبق أمير التركمان، وكان صاحب
قرميسين، وغيرهما، فأمر السلطان أن يسير بجماعة من أمراء التركمان إلى الحجاز، واليمن،
ويكون أمرهم إلى سعد الدولة كوهراتين ليفتحوا البلاد، فاستعمل سعد الدولة أميراً اسمه
ترشك، فساروا واستولوا على ترشك الجدري، فتوفى في سابع يوم وصوله إليها، فعاد
أصحابه إلى بغداد.
مقتل الوزير نظام الملك
وفي ليلة السبت العاشر من شهر رمضان سنة خمس وثمانين وأربعمائة قتل الوزير خواجاً
بزرك قوام الدين نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن اسحاق بالقرب من نهاوند، وكان
هو والسلطان ملكشاه قد عادا من أصفهان إلى بغداد، فلنا كان بهذا المكان بعد أن فرغ
من إفطاره، وقام من خيمة حرمه، أتاه صبي ديلمي من الباطنية في صورة مستميح، أو
مستغيث، فوثب عليه، وضربه بسكين، فمات، وهرب الصبي، فعثر في أطناب الخيمة،
فأدركوه وقتلوه، ولما قتل ركب السلطان إلى خيمته، وسكن عسكره وأصحابه، وقيل في
سبب موته أنه كان قد ولي عثمان بن ابنه جمال الملك رئاسة مرو، فأرسل السلطان إليها
شحنة من أكبر مماليكه، وأعظم أمرائه يقال له: قودن، فجرى بينه، وبين عثمان منازعة،
فحملت عثمان حدة الشبيبة على قبضه، والإخراق به، ثم أطلقه، فجاء إلى السلطان
مستغيثاً، وأخبره بما صنع به عثمان، فغضب السلطان وأرسل إلى جده الوزير نظام الملك

يقول: إن كنت شريكي في الملك، ويدك مع يدي في السلطنة فلذلك حكم، وإن كنت نائبي،
فيجب أن نلتزم حد البيعة، والنيابة. هؤلاء أولادك قد استولى كل منهم على كورة عظيمة،
وولاية كبيرة، ولم يقنعهم ذلك حتى تجاوزوا أمر الساسة إلى أن فعلوا كيت وكيت ، وأطال
القول، وأرسل إليه بهذه الرسالة تاج الملك، ومجد الملك الباسلاني وغيرهما، من أرباب
دولته، وأرسل معهم الأمير باليرد، وكان من ثقاته، وقال له: تعرفني ما يقول، فربما كتم هؤلاء
شيئاً، فحضروا عند الوزير، وأدوا الرسالة، فقال: قولوا للسلطان إن كنت ما عمت أني
شريكك في الملك فاعلم، فإنك ما نلت هذا الأمر إلا بيدي، ورأيي، أما يذكر حين قتل أبوه،
فقمت بتدبير أمره، وقمعت الخوارج عليه من أهله وغيرهم، وهو في ذلك الوقت يتمسك بي
ويلازمني، ولا يخالفني، فلما رددت الأمور إليه، وجمعت الكلمة عليه، وجمعت له الأمصار
القريبة والبعيدة سمع في السعايات. قولوا له: إن ثبات هذه القلنسوة معذوق بهذه الدواة،
وأن انفاقهما رباط كل رعية، وسبب كل غنيمة، ومتى أطبقت هذه زالت تلك. في كلام
كثير قاله، فلما خرجوا من عنده اتفقوا على كتمان ما قاله عن السلطان، ومضى كل منهم
إلى خيمته وجاء الجماعة بكرة النهار إلى السلطان، فأخبروه عنه بالعبودية، فقال لهم: إنه
قال: كيت وكيت، فأشاروا عند ذلك بكتمانه رعاية لحق نظام الملك، ولعظم شأنه، فإن
مماليكه كانوا قد أنافوا على عشرين ألفاً غير الجند والأتباع، فوقع التدبير عليه حتى قتل،
وظن السلطان أن الدنيا قد صغت له بعد ذلك، فما عاش بعده إلا خمسة وثلاثين يوماً.

ابتداء حال نظام الملك وشيء من سيرته وأخباره.

كان نظام الملك من أبناء الدهاقين بطوس، فزال ما كان لأبيه من مال وملك، وتوفيت والدة
نظام الملك، وهو يرضع، فكان أبوه يطوف به على المراضع يرضعنه حسبة حتى شبّ
وقرأ، وتعلم العربية، وتفقه، وصار من الفضلاء، وسمع الحديث الكثير، وكان يطوق بلاد
خراسان، ووصل إلى غزنة في صحبة بعض المتصوفين، ثم لزم أبا علي بن شادان متولي

الأمور ببلخ لداود والد السلطان ألب أرسلان، فحسُنت حاله معه، وظهرت كفايته،
وأمانته، وصار معروفاً عندهم بذلك، فلما حضرت أبا على الوفاة أوصى ألب أرسلان به،
فولاه شغله، ثم صار وزيراً له إلى أن ولي السلطنة، وتنقل في الوزارة، فكانت وزارته ثلاثين
سنة. هذا أحد ما قيل في ابتداء أمره.
وأما سيرته: فإنه كان عالماً أديباً جواداً كثير الحلم والصفح عن المذنبين، وكان مجلسه
عامراً بالفقهاء، والفقراء، وأئمة المسلمين، وأهل الخير والصلاح. أمر ببناء المدارس في سائر
الأمصار والبلاد، وأجري لها الجرايات العظيمة، وأسقط المكوس والضرائب، وأزال لعن
الأشعرية من على المنابر، فإن الوزير عميد الملك الكندري كان قد حسّن للسلطان لعن
الرافضة، وأضاف إليهم الأشعرية، وكان نظام الملك رحمه الله تعالى إذا سمع الأذان لا يبدأ
بشيء قبل الصلاة، وله من حسن الآثار ما هو موجود باق إلى وقتنا هذا رحمه الله تعالى.
وفاة ملكشاه
وشيء من سيرته.
كانت وفاته ببغداد في يوم الجمعة منتصف شوال سنة خمس وثمانين وأربعمائة، وذلك أنه لما
قتل الوزير نظام الملك كما قدمناه، سار السلطان إلى بغداد، فدخلها في الرابع والعشرين من
شهر رمضان من السنة، وخرج في أوائل شوال إلى ناحية دجيل للصيد، فاصطاد وحشاً
وأكل من لحمه، فابتدأت به العلة، فعاد إلى بغداد، فتوفي ولم تشهد جنازته، ولا صلي عليه
في الصورة الظاهرة، ولا هلب عليه ذنب فرس كعادة أمثاله من الملوك، ولا لطم عليه وجه،
وحمل إلى أصفهان، ودفن بها في مدرسة له موقوفة على طائفة الشافعية، والحنفية.
قال: وكان مغرماً بالعمارة، فحفر الكثير من الأنهار، وعمر الأسوار على كثير من البلاد،
وصنع في طريقه مكة مصانع، وكان كثير الصيد، وكانت السبل في أيامه آمنة ساكنة تسير
القوافل مما وراء النهر إلى أقصى الشام، وليس معهما خفير، وحكى محمد ابن عبد الملك
الهمذاني، أن السلطان لما توجه لحرب أخيه تكش اجتاز بمحمد علي بن موسى الرضا

بطوس، فدخل ومعه نظام الملك الوزير فصلياً، وأطال الدعاء، ثم قال لنظام الملك: بأي
شيء دعوت قال: أن ينصرك الله، ويظفرك بأخيك، فقال: أما أنا ولم أدع بهذا، وإنما قلت
اللهم انصر نفعنا للمسلمين والرعية، وحكى عنه حكايات تدل على محاسنه، وجودته،
وخيره.
وكان قد قرر ملك البلاد لمماليكه، فجعل غلامه برسق يحارب الروم، فضايقهم حتى عليهم
ثلاثمائة ألف وثلاثين ألف دينار جالية، ثم توجه إلى القسطنطينية وحاصرها، وقرر عليهم
ألف ألف دينار، وبنى قونية، وقصراً، وسير أخاه تاج الدولة تتش إلى دمشق، وقسيم
الدولة آق سنقر بحلب، وغيرهم في كل جهة.
وكانت مدة ملكه عشرين سنة، وسبعة أشهر، وستة أيام، وكان له من الأولاد أبو المظفر
بركيا روق، ومحمد طبر، وأبو الحارث سنجر شاه، ومحمود، وهو أصغرهم.
وزيره: نظام الملك، وقد تقدم ذكره.
أخبار السلطان بركياروق
هو أبو المظفر بركيا روق بن السلطان جلال الدولة ملكشاه ابن السلطان عضد الدولة
ألب أرسلان محمد بن داود جغري بك بن ميكائيل بن سلجق، وهو الرابع من ملوك الدولة
السلجقية.
وبركيا روق بفتح الباء الموحدة، وسكون الراء والكاف، وفتح الياء المثناة من تحت، وبعد
الألف راء مضمومة، وبعد الواو الساكنة قاف.
قال المؤرخ: لما مات السلطان ملكشاه كتمت زوجته تركان خاتون موته، وأرسلت إلى
الأمراء، وفرقت الأموال، واستخلفت لولدها محمود، وعمره أربع سنين وشهوراً، وأرسلت
إلى الخليفة المقتدى بأمر الله في الخطبة له، فأجابها إلى ذلك على ان يكون الأمير أتسز
مدبر الجيش، وتاج الملك يتولى تدبير الأموال والدواوين، وخطب له، ولقب ناصر الدنيا
والدين، وكانت الخطبة له في يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال، وكان بركيا روق إذ ذاك
بأصفهان، فكتبت تركان خاتون بالقبض عليه، فقبض عليه، فلما ظهر موت السلطان
ملكشاه، ثارت المماليك النظامية، وأخرجوه من الحبس، وملكوه، فسارت تركان خاتون

من بغداد إلى أصفهان، فلما قاربها تحول بركيا روق إلى الري، ولقيهم أرعش النظامي في
عساكره، وإنما حمل النظامية على نصرة بركيا روق كراهتهم لتاج الملك، فإنه الذي دبر في
قتل مولاهم. قال: وأرسلت تركان خاتون العساكر لقتال بركيا روق، فلما التقى العسكران
انحاز جماعة من الأمراء الذين في عسكرها إلى خدمة بركيا روق منهم: الأمير باليرد،
وكمشتكين الجاندار، وغيرهما، فقوي بهم، وكانت الحرب بينهم في آخر ذي الحجة من
السنة، فانهزم عسكر تركان خاتون، وعاد إلى أصفهان، وسار بركياروق في أثرهم،
وحصرهم بها.

قتل تاج الملك

كان تاج الملك في عسكر تركان خاتون، فانهزم إلى نواحي بروجرد فأخذ، وجيء به إلى
عسكر بركياروق، وهو يحاصر أصفهان، وكان يعرف كفايته، فأراد أن يستوزره، فشرع في
إصلاح أكابر المماليك النظامية، وفرق فيهم مائتي ألف، فزال ما في نفوسهم منه، فوثب
عثمان الذي كان نائب نظام الملك، ووضع الغلمان الأصاغر النظامية، واستغاثوا ألا تقنعوا
إلا بقتل قاتل مولاهم، ففعلوا ذلك، وهجموا عليه، وقطعوه عضواً عضواً، وذلك في المحرم
سنة ست وثمانين وأربعمائة، فاستوزر بركياروق عز الملك بن نظام الملك، واستولى
بركياروق على الري، وهمذان، وما بينهما، وقدم بغداد في أواخر سنة ست وثمانين،
وخطب له بها في يوم الجمعة رابع المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة، وحملت إليه الخلع،
فلبسها، وعلم الخليفة على عهده، ومات فجأة، وتولى ابنه المستظهر بالله الخلافة، فأرسل
الخلع والعهد إلى السلطان بركياروق، فأقام ببغداد إلى شهر ربيع الأول من ، وسار إلى
الموصل، ثم إلى نصيبين، وكان بينه، وبين عمه تتش من الحرب ما نذكره إن شاء الله تعالى.

انهزام بركياروق من عمه تتش ودخوله إلى أصفهان ووفاة أخيه محمود

قال: ولما اتصل بتتش وفاة أخيه ملكشاه من الشام، وملك حلب، وحران، والرها،
والجزيرة جميعها، وديار بكر، وخلاط وآزربيجان، وهمذان على ما نذكره في أخباره إن

شاء الله تعالى، فلما قار البلاد سار السلطان بركيا روق لدفعه عنها، ووصل إلى أربل،
وقرب من جيش عمه، ولم يكن معه غير ألف فارس، وكان عمه في خمسين ألفاً، فجهز عمه
من أمرائه من كبس عسكره، فهرب بركيا روق، ونهب سواد عسكره، ولم يق معه غلا
برسق، وكمشتكين الجاندار، وبركيا روق، وهم الأمراء الأكابر، وخطب لعمه عند هذه
الحادثة ببغداد على ما نذكره، وسار هو إلى أصفهان، وكانت تركان خاتون والدة أخيه
محمود قد ماتت، فخرج إليه أخوه الملك محمود، وتلقاه، وأدخله البلد، وكان ذلك خديعة
ليقبض عليه، فلما دخل بركيا روق قبض عليه محمود، وقصد سمله، فاتفق أن محموداً حم
وجدر، فقال لهم أمين الدولة بن التلميذ الطبيب إن الملك قد جدر، وما أراه يسلم،
والمصلحة إبقاء بركيا روق، فإن مات صاحبكم ملكوه، ولا تعاجلوه بالإتلاف، فتركوه،
فمات محمود في سلخ شوال سنة سبع وثمانين وأربعمائة فكان هذا من الفرج بعد الشدة كما
قيل:
مصائب قوم عند قوم فوائد
قال: ولما مات محمود حبس بركيا روق للعزاء بع، واستوزر مؤيد الملك بن نظام الملك في
ذي الحجة، فكاتب الوزير الأمراء العراقيين والخراسانيين، واستمالهم، فعادوا كلهم إلى
بركياروق، فعظم شأنه وكثرت عساكره، والتقى هو وعمه تتش في سنة ثمان وثمانين، واقتتلوا
بالقرب من الريّ، فانهزم عسكر تتش، وقتل على ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخباره،
واستقامت السلطنة لبركياروق، وفي ستة ثمان وثمانين، عزل بركياروق وزيره مؤيد الملك بن
نظام الملك واستوزر أخاه فخر الملك.
مقتل أرسلان أرغو
وفي المحرم سنة تسعين وأربعمائة قتل أرسلان أرغو بن الب أرسلان أخو ملكشاه بمرو،
وكان ملك خراسان، وسبب قتله أنه كان شديداً على غلمانه كثير الإهانة لهم والعقوبة،
فطلب غلاماً منهم، فاعتذر، فلم يقبل عذره، وضربه، فأخرج الغلام سكينا، فقتله بها،
وأخذ الغلام، فقيل له: لم فعلت هذا، فقال لأريح الناس منه.
والله أعلم.

ملك بركياروق خراسان
وتسليمها لأخيه سنجر
قال: كان السلطان بركيا روق قد جهز العساكر مع أخيه الملك إلى خراسان لقتال عنه
أرسلان أرغو، وجعل الأمير قماج أتابكا لسنجر، ورتب في وزارته أبا الفتح أرغو، وجعل
الأمير قماج أتابكاً لسنجر، ورتب في وزارته أبا الفتح علي بن الحسين الطوسي فلما وصلوا
إلى الدامغان، بلغهم خبر قتله، فأقاموا هناك حتى لحقهم السلطان، وساروا إلى نيسابور،
فوصلوها في خامس جمادى الأولى من السنة، وملكها السلطان وسائر البلاد الخراسانية
بغير قتال، وسار إلى بلخ، وكان عسكر أرسلان أرغو قد ملكوا ابنا صغيراً عمره سبع
سنين، فلما بلغهم قدوم السلطان أبعدوا إلى جبال طخارستان، وطلبوا الأمان، فأمنهم
السلطان، وحضروا إليه في خمسة عشر ألف فارس، فأخذ ابن عمه، وأحسن إليه،
وتسلمته والدة بركياروق تربية، وتفرق جيشه في خدمة الأمراء، وسار السلطان إلى ترمذ،
فسلمت إليه، وأقام ببلخ سبعة أشهر، وأرسل إلى ما وراء النهر، فأقيمت لخ الخطبة
بسمرقند، ودانت له البلاد.
ذكر خروج أمير أميران
وفي سنة تسعين وأربعمائة خالف أمير اسمه محمد بن سليمان، ويعرف بأمير أميران، وهو
ابن عم ملكشاه، على السلطان بخراسان، وتوج إلى بلخ، واستمد صاحب غزنة، فأمده
بجيش كثير، وشرط عليه أن يخطب له في جميع ما يفتحه من البلاد الخراسانية، فقويت
شوكته، فسار إليه الملك سنجر بن ملكشاه صاحب خراسان أخو السلطان جريدة،
وكبسه، وأسره، وكحله.
ظهور السلطان محمد طبر ملكشاه والملك سنجر وخروجهما على أخيهما السلطان
بركياروق والخطبة لمحمد
إنما ذكرنا أخبار السلطان محمد، وأخيه سنجر في دولة السلطان بركياروق لأنه في هذا
التاريخ كان هو الملك المشار إليه، وهما كالخوارج عليه، وإن كان محمد في هذه المدة ملك
البلاد، وخطب له ببغداد، وغيرها إلا أنه لم يستقل بغير منازع ، فلهذا أوردناه الآن في دولة

بركياروق، وسنذكر سلطنته بعد وفاة السلطان بركياروق،ثم نذكر بعده سلطنة السلطان
سنجر إن شاء الله تعالى. كان السلطان محمد طبر، وسنجر أخوين لأب وأم، وأمهما أم
ولد، ولما مات والدهما السلطان ملكشاه كان محمد معه ببغداد، فسار مع أخيه محمود،
ووالدته تركان خاتون إلى أصفهان، فلما حصر بركياروق أصفهان خرج إليه محمد، وسار
معه إلى بغداد سنة ست وثمانين، وأقطعه بركياروق كنجه، وأعمالها، وجعل معه الأمير،
فيلغ تكين أتابكاً له، فلما قوي محمد قتله، واستولى على جميع أعمالأران إلى كنجه من
جملتها، وظهرت شهامته واتفق أن السلطان عزل المؤيد الملك بن نظام الملك من وزارته،
فسار الأمير إلى الأمير أتسز، وحسن له العصيان على السلطان، فلما قتل أتسز سار مؤيد
الملك إلى السلطان محمد، فأشار عليه بمخالفة أخيه، والسعي في طلب السلطنة، ففعل
ذلك، وقطع خطبة السلطان بركياروق من بلاده، وخطب لنفسه بالسلطنة، واستوزر مؤيد
الملك، وذلك في سنة اثنين وتسعين وأربعمائة، واتفق أن السلطان قتل وزيره مجد الملك
الباسلاني في هذه السنة، وكان قد تمكن منه، فنفرت خواطر الأمراء من السلطان، ففارقه
مع جماعة منهم، والتحقوا بمحمد، فقوي بهم، وسار نحو الري، فسبقه إليها السلطان
بركياروق، وجمع العساكر، وسار إلى أصفهان فأغلق أهلها الأبواب دونه، فسار إلى
خوزستان، وورد السلطان محمد إلى الري، واستولى عليها في ثاني ذي القعدة من السنة،
ووجد بها زبيدة خاتون، والدة أخيه بركياروق، فسجنها مؤيد الملك بالقلعة ثم خنقها.

إقامة الخطبة لمحمد ببغداد

قال:ولما قوي أمر السلطان محمد سار إليه سعد الدولة كوهراتين من بغداد، وكان قد
استوحش من السلطان بركياروق، فاجتمع هو وكريوقا صاحب الموصل، وجكرمش
صاحب الجزيرة، وسرجاب ابن صاحب كنكور، وغيرها، وساروا إلى السلطان محمد،
ولقوه بقم، فخلع عليه سعد الدولة، ورده إلى بغداد، وسار بقيتهم في خدمته إلى أصفهان،

فلما وصل سعد الدولة إلى بغداد خاطب الخليفة في الخطبة إلى محمد، فأجاب إلى ذلك،
وخطب له في يوم الجمعة سابع عشر في ذي الحجة سنة اثنين وتسعين وأربعمائة، ولقب
غياث الدنيا والدين.
إعادة الخطبة ببغداد للسلطان بركياروق.
قال: لما سار بركياروق إلى خوزستان عندما منع من دخول أصفهان كما ذكرناه جمع
العساكر، وكان أمير جيشه حينئذ ينال ابن أنوشتكين الحسامي، فتجهز، وسار إلى واسط،
ثم منها إلى بغداد، فدخلها في سابع عشر صفر سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة، وخطب له
بها في يوم الجمعة نصف صفر قبل وصوله إليها بيومين، وكان سعد الدولة كوهراتين
بالشفيعي، ومعه إيلغازي بن أرتق، وغيره من الأمراء، فأرسل إلى مؤيد الملك، وإلى
السلطان محمد يستحثهما على الوصول إليه، فأرسلا كريوقا صاحب الموصل، وجكرمش،
فأما جكرمش، فاستأذن سعد الدولة في العودة إلى بلده، فأذن له، فعاد إلى جزيرة ابن عمر،
وبقي سعد الدولة في جماعة من الأمراء، فكتب أعيانهم إلى السلطان بركياروق أن يخرج
إليهم، وأنهم لا يقاتلونه، فخرج إليهم، فلما عاينوه ترجلوا، وقبلوا الأرض بين يديه، وعادوا في
خدمته إلى بغداد، واستوزر السلطان الأعز أبا المحاسن بن عبد الجليل بن علي الدهشاني،
وقبض على عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة، وطالبه بالأموال، فاستقر الأمر بينهما على
مائة ألف وستين ألف دينار يحملها، وخلع الخليفة على بركياروق، والله أعلم بالصواب.
الحرب بين السلطانين بركياروق ومحمد والخطبة لمحمد ببغداد.
وفي سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة سار السلطان بركياروق من بغداد، وجعل طريقه على
شهرزور، وأقام بها ثلاثة أيام، والتحق به عالم كثير من التركمان، وغيرهم، وسار نحو أخيه
محمد، فوقعت الحرب بينهم في رابع شهر رجب بإسبيدروز، ومعناه: النهر الأبيض، وهو
على عدة فراسخ من همذان وكان مع نحو عشرين ألف مقاتل، فحمل كوهراتين من ميمنة
بركياروق على ميسرة محمد، وبها مؤيد الملك والنظامية، فانهزموا، ودخل عسكر

بركياروق في خيامهم، ونهبوا ما فيها، وعاد سعد الدولة، فكبا به فرسه، فقتله خراساني،
وأخذ رأسه، وكان سعد الدولة خادماً من خدام الملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة من
بويه، ثم انتقل بعده إلى السلطان طغرلبك، وتنقل في خدمة الملوك السلجقية، فلما قتل
تفرقت عساكر بركياروق، وبقي في خمسين فارساً، وأسر وزيره الأعز، فأكرمه مؤيد الملك،
وأحسن إليه، وأعاده إلى بغداد، وأمره بالمخاطبة في إعادة الخطبة للسلطان محمد، ففعل،
وأجيب إلى ذلك، وخطب له في يوم الجمعة رابع عشر رجب من السنة.
حال السلطان بعد الهزيمة وانهزامه أيضاً من أخيه سنجر.
قال: ولنهزم السلطان بركياروق في خمسين فارساً، فقصد الري، فاجتمع معه جمع صالح،
فسار إلى أسفرايين، ثم إلى نيسابور، واستدعى الأمير ذاد حبشي بن التوتيان، وكان بيده
حينئذ أكثر خراسان، وطبرستان، وجرجان، فاعتذر أن الملك سنجر قصد بلاده في هذا
الوقت بعساكر بلخ، وسأل السلطان أن يحضر إليه ليعينه على حرب الملك سنجر، فسار
إليه في ألفي فارس، فعلم بقدومه الأمراء والأكابر من أصحاب سنجر دون الأصاغر، وكان
مع الأمير ذاد عشرون ألف مقاتل منهم رجالة الباطنية خمسة آلاف ووقع المصاف بين
بركياروق، وسنجر خارج البوسنجان، فانهزم أصحاب سنجر أولاً، واشتغل أصحاب
بركياروق بالنهب، وكانت الدائرة عليهم، فانهزموا، وأسر أكثر أعيان بركياروق وقتل أمير
ذاد، وسار بركياروق إلى جرجان، ثم إلى دامغان، وسار في البرية، فرأى في بعض المواضع،
ومعه سبعة عشر فارساً، وجمّازة واحدة، ثم كثر جمعه، فصار في ثلاثين ألف فارس، وسار
إلى أصفهان، فسبقه السلطان محمد إليها.
الحرب بين السلطانين بركياروق ومحمد ثانياً، وقتل مؤيد الملك.
وفي سنة أربع وتسعين وأربعمائة في ثالث جمادى الآخرة كان المصاف الثاني بينهما، وكان
مع كل واحد منهما خمسة عشر ألف فارس، فاستأمن كثير من أصحاب محمد إلى
بركياروق، ودام القتال بين الفريقين إلى آخر النهار، فانهزم السلطان محمد، ومن معه، وأسر

وزيره مؤيد الملك، فأمر السلطان بقتله، وأخذ ما كان له من الأموال والجواهر لبغداد، والله
أعلم بالصواب.
حال محمد بعد الهزيمة واجتماعه بأخيه سنجر.
ولما انهزم السلطان محمد سار طالباً خراسان إلى أخيه سنجر، فأقام بجرجان، وأرسل
إلى أخيه يطلب منه مالاً وكسوة وغير ذلك، فسير إليه ما طلب، وترددت الرسائل بينهما،
وتحالفا، واتفقا، ولم يكن قد بقي مع السلطان محمد غير أميرين في نحو ثلاثمائة فارس، فلما
استقرت بينهما القواعد سار سنجر في عساكره إلى أخيه، فاجتمعا بجرجان، وسارا منها
إلى دامغان، وسارا إلى الري، وانضم إليهما النظامية، فكثر جمعهم، وعظمت شوكتهم،
والله أعلم.
ما فعله بركياروق، ودخوله إلى بغداد.
قال: ولما انهزم السلطان محمد أقام بركياروق بالري، واجتمعت عليه العساكر، فسار معه
نحو من مائة ألف فارس، فضاقت عليهم الميرة، فتفرقت العساكر عنه، فعاد دبيس بن
صدقة إلى أبيه، وتوجه الأمير إياز إلى همذان، وتفرقت العساكر إلى أن بقي في قلّة من
العسكر، فبلغه اجتماع أخويه، وأنهما حشدا، وكثرت جموعهما، فتوجه إلى بغداد،
وضاقت عليه النفقات، فراسل الخليفة عدة مراسلات، فتقرر أن يحمل إليه خمسين ألف
دينار، فحملهما الخليفة إليه، فلم تغن شيئاً، فأفضى الحال إلى أن مد يده إلى أموال الناس،
وانتهبها، فركب من ذلك خطة شنيعة، وخالفه الأمير صدقة بن منصور بن دبيس صاحب
الحلة، وقطع خطبته من بلاده، وخطب للسلطان محمد، وسبب ذلك أن الوزير أبا المحاسن
وزير بركياروق سير يطالبه بألف ألف دينار وكسور، وقال: إنها قد تخيرت عليك، فإما أن
ترسلها وأما أن تتجهز الجيوش إليك، فقطع الخطبة، وعصى عليه، والله أعلم بالصواب.
وصول السلطان محمد، وسنجر إلى بغداد، ورحيل بركياروق عنها.
وفي السابع والعشرين من ذي الحجة سنة أربع وتسعين وأربعمائة وصل السلطان محمد
وسنجر الملك إلى بغداد، ولما وصلا حلوان سار إيلغازي بن أرنق في عسكره إلى السلطان

محمد، وخدمه، وكان عسكر السلطان محمد يزيد على عشرة آلاف فارس سوى الأتباع،
فلما وصلت الأخبار بذلك كان السلطان بركياروق على شدة من المرض، فخاف
أصحابه، واضطربوا، وعبروا به في محفة إلى الجانب، وتيقن أصحابه موته، ثم تراجعت إليه
روحه، ووصل السلطان محمد، والملك سنجر إلى بغداد، فخرج توقيع الخليفة المستظهر
بأمر الله يتضمن سوء سيرة بركياروق، والأستبشار بقدومهما، وخطب للسلطان محمد
بالديوان العزيز، ونزل الملك سنجر دار كوهراتين، ثم كانت الحرب بين السلطانين في صفر
سنة خمس وتسعين، وهو المصاف الثالث، ووقع بينهما الصلح على أن يكون بركياروق
السلطان، ومحمد الملك، وتضرب له ثلاث نوب، ويكون له من البلاد جنزة وأعمالها،
وأذربيجان، وديار بكر، والجزيرة، والموصل، وأن يمده السلطان بالعساكر يفتح بها ما تمنع
عليه، وحلف كل واحد منهما للآخر، وانصرف الفريقان من المصاف في رابع شهر ربيع
الأول، وتفرقت العساكر ثم انتقض ذلك، والتقوا في جمادى الأولى من السنة، وكانت بينهما
واقعة، وهو المصاف الرابع غير رجل واحد قتل صبرا، وسار محمد في نفر يسير إلى
أصفهان، وحمل عليه بيده ليتبعه أصحابه، وأخذ السلطان بركياروق خزانته، ووصل محمد
إلى أصفهان، فأصلح سورها، وحفر خندقها، واعتد للحصار، وجاء بركياروق، وحاصره
بها حصاراً شديداً حتى ضاقت الميرة، واستمر الحصار إلى عاشر ذي الحجة، واقترض
محمد أموال الأعيان، ثم فارق البلد في مائة وخمسين فارساً، ومعه الأمير ينال، فاستخلف
على البلد جماعة من الأمراء الأكابر، وبعث السلطان في طلبه، فلم يدرك، وسار محمد،
ووصل إلى ساوة، واجتمع عليه عسكره الذي كان بكنجه، وأعمالها، ورحل إلى همذان،
وبلغ جمعه ستة آلاف فارس، وأقاموا إلى آخر المحرم سنة ست وتسعين وأربعمائة، وأتاهم
الخبر بقصد بركياروق لهم، فاجتمع على محمد جماعة أخرى، والتقوا على باب خوى، وهو
الصاف الخامس، وكان الظفر فيه لمحمد، وانهزم بركياروق وأصحابه، وسار محمد إلى

خلاط، ثم إلى تبريز، وأذربيجان.
الصلح بين السلطان بركياروق وأخيه محمد.
وفي سنة سبع وتسعين وأربع مائة تم الصلح بين السلطان بركياروق، وبين أخيه محمد،
وحلف كل منهما لصاحبه، واستقرت القواعد، ووضعت الحرب أوزارها، وتقرر بينهما أن
السلطان بركياروق لا يعترض على أخيه محمد، ولا يذكر معه على منبر من مثابر البلاد
التي استقرت له، ولا يكاتب أحدهما الآخر بل تكون المكاتبة من الوزير، ولا يعارض أحد
منهما العسكر في قصد أيهما شاء، وأن يكون للسلطان محمد من النهر المعروف
بأسبيدروز، وباب الأبواب، وديار بكر، والجزيرة، والموصل، والشام، وبلاد سيف الدولة
صدقة، وانتظم الأمر على ذلك، ولما انتظم أمر بركياروق عاجلته المنية فلم تطل مدته بغير
منازع، وشغله حرب عمه وإخوته عن حروب أعدائه، ولم يفعل شيئاً غير قتله للباطنية
على ما نذكره في هذا الموضع، وإنما أخرناه عن موضعه حتى لا ينقطع خبره مع أخيه
محمد.
أخبار الباطنية
وابتداء أمرهم وما استولوا عليه من القلاع وسبب قتلهم.
والباطنية هم الإسماعيلية، وهم طائفة من القرامطة الذين قدمنا ذكرهم. قال ابن الأثير
الجزري في تاريخه الكامل: أول ما عرف من أحوال هؤلاء في هذه الدعوة الأخيرة التي
اشتهرت بالباطنية والإسماعيلية أنه اجتمع منهم في أيام السلطان ملكشاه ثمانية عشر
رجلاً، وصلوا صلاة العيد في ساوة، فظفر بهم الشحنة، فسجنهم، ثم سئل فيهم، فأطلقهم،
فهذا أول اجتماعهم، ثم دعوا مؤذنا من أهل ساوة كان مقيماً بأصفهان، فلم يجب دعوتهم،
فخافوه أن ينّم عليهم، فقتلوه، وهو أول قتيل لهم، وأول دم أراقوه، فاتصل خبر مقتله بالوزير
نظام الملك، فأمر من يتّهم بقتله، فوقعت التهمة على نجار اسمه طاهر، فقتل، ومثّل به،
وجرّوا برجله في الأسواق، وهو أول قتيل منهم، ثم إن الباطنية قتلوا الوزير نظام الملك،
وهي أول قتلة مشهورة كانت لهم،وناهيك بها قتلة، وقالوا: قتل منا نجاراً، فقتلناه به، وأول

موضع غلبوا عليه وتحصنوا به عند قاين كان قائده على مذهبهم، فاجتمعوا عنده، وقووا
به، فاجتازت لهم قافلة عظيمة من كرمان بقصد قاين، فخرجوا عليها هم، وقائد البلد
وأصحابه، فقتل أهل القفل عن آخرهم لم ينج منهم غير رجل تركماني، فوصل إلى قاين،
وأخبره بالقصة، فسار أهلها مع القاضي الكرماني إلى جهادهم، فلم يقدروا عليهم، ثم مات
السلطان ملكشاه، فعظم أمرهم، واشتدت شوكتهم، واشتغل السلطان بركياروق بحرب
إخوته وأهله، فاجتمعوا، وصاروا يسرقون من قدروا عليه من مخالفيهم، ويقتلونه، ففعلوا
ذلك بخلق كثير، وزاد الأمر حتى إن الإنسان كان إذا تأخر عن بيته عن الوقت المعتاد
تيقنوا قتله، وقعدوا للعزاء به، فحذر الناس، وصار لا ينفرد أحد، وأخذوا في بعض الأيام
مؤذناً أخذه جار له باطني، فقام أهله للنياحة، فأصعده الباطنية إلى سطح داره، وأروه
أهله كيف يلطمون عليه، ويبكون، وهو لا يقدر يتكلم خوفاً منهم، وذلك بأصفهان.
ما استولوا عليه ببلاد العجم
قال: واستولوا على عدّة حصون منها قلعة أصفهان، وهي التي بناها السلطان ملكشاه،
وسبب بنائها أنه ركب للصيد، ومعه مقدّم من مقدمي الروم كان قد لجأ إليه، وأسلم،
وصار معه، فهرب من ملكشاه كلب من كلاب الصيد، فأتبعه، فوجده في موضع القلعة،
فقال الرومي: لو أن عندنا مثل هذا الجبل لجعلناه عليه حصناً يشفع به، فأمر ملكشاه
ببنائه، فلما انقضت أيام ملكشاه، وصارت أصفهان بيد تركان خاتون والدة السلطان محمود
استولى الباطنية عليه، فكانوا يقولون: إن قلعة يدل عليها كلب، ويشير بها كافر لا تكون
خاتمتها إلا بهذا الشر. ومنها ألموت وهي من نواحي قزوين.
قيل: إن ملكاً من ملوك الديلم
كان كثير الصيد، فأرسل عُقاباً، وتبعه، فرآه قد سقط على موضع القلعة، فوجده حصيناً،
فأمر ببنائه وسماها قلعة الألموت، ومعناها بالديلم: تعليم العقاب، ويقال لهذا الوضع وما
جاوره: طالقان وفيها قلاع حصينة أشهرها: الألموت. ومنها قلعة طبس، وقهستان، ومن

جملتها جور، وجوسف، وزوزن، وقاين، وتون وتلك الأطراف المجاورة لها، ومنها قلعة
وسنملوه وهي بقرب أبهر. ملكوها في سنة أربع وثمانين وأربعمائة، وقتل من كان بها عن
آخرهم، ومنها قلعة خالنجان وهي على خمسة فراسخ من أصفهان، ومنها كردكوه، وهي
مشهورة، ومنها قلعة الباطن بخوزستان، وقلعة الطنبور، وبينهما وبين أرجان فرسخان،
وقلعة الأوجان، وهي بين فارس وخوزستان، فهذا ما ملكوه من القلاع في هذه المدة
القريبة.

قتل الباطنية وسببه

كان قتلهم في سنة أربع وتسعين وأربعمائة، وسبب ذلك أنه لما اشتد أمرهم، وقويت
شوكتهم، وكثر عددهم شرعوا في قتل الأمراء، والفتك بهم، وكان أكثر من قتلوا من هو في
طاعة السلطان بركياروق بأخيه محمد انبسط جماعة منهم في العسكر، واستغووا جماعة
منهم، وأدخلوهم في مذهبهم، وزاد أمرهم حتى كادوا يظهرون بالكثرة والقوة، فصاروا
يتهدودن من لم يوافقهم بالفتك، وانتهى الحال إلى أن الأمراء ما بقي منهم من يجسر أن يمشي
حاسراً. إلا بدرع تحت ثيابه، حتى الوزير الأعز كان يلبس ذردية تحت ثيابهن فأشير على
السلطان بالفتك بهم قبل أن يعجز عنهم، وأعلموه ميل الناس إلى مذهبهم، ودخولهم فيه
حتى إن عسكر السلطان محمد كانوا يشنّعون ذلك عليه، ويكبرون في المصاف على
أصحابه، ويقولون لهم: يا باطنية، فاجتمعت هذه البواعث كلها، فأذن السلطان في قتلهم،
وركب هو والعسكر، وطلبوهم، وأخذوا جماعة ممن كان وافقهم، فلم يفلت منهم إلا من لم
يعرف، ومن جملة من اتهم: مقدّمهم الأمير محمد بن علاء الدولة صاحب مدينة يزد،
فهرب، وسار يومه وليلته، فلما كان في اليوم الثاني وجد في العسكر، وقد ضل عن الطريق،
فقتل، ونهب خيامه، وممن قتل ولد كيقباد مستحفظ تكريت، وقتل منهم جاو لي سقاوة في
هذه ثلاثمائة رجل.

وفاة لسلطان بركياروق ووصيته لولده ملكشاه بالملك

كانت وفاته في ثاني عشر بيع الآخر سنة ثمان وتسعين وأربعمائة بأصفهان بمرض السل،

والبواسير، وسار منها في محفة يطلب بغداد، فلما وصل إلى بروجرد ضعف عن الحركة،
فأقام بها أربعين يوما، فاشتد مرضه، فلما أيس من نفسه خلع على ولده ملكشاه، وعمره
أربع سنين وثمانية أشهر، وجعل الأمير إياز أتابكة، وخلع على الأمراء، واستحلفهم له،
وأمرهم بالطاعة لهما، فحلفوا على الوفاء، وأمرهم بالسير إلى بغداد، فساروا، فلما كانوا
على اثني عشر فرسخا من برجرود، وصل إليهم خبر وفاته، وحمل إلى أصفهان ودفن بها،
وكان له من العمر خمسة وعشرون سنة، ومدّة ملكه اثنتا عشرة سنة، وأربعة اشهر،
وقاسى من الحرب والاختلاف ما قدمناه، وكان حليما كريما صبورا عاقلا كثير المداراة
حسن العفو لا يبالغ في العقوبة، عفوه أكثر من عقوبته.

الخطبة لملكشاه بن السلطان بركياروق ببغداد

قد ذكرنا وصيّة والده بالملك، واستخلاف الأمراء، وتقرير قواعده، وإنفاذه إلى بغداد.
قال: ولما جاء الخبر بوفاة أبيه، سار به أتابكه الأمير إياز، وإيلغازي شحنة بغداد، ودخلا
به إلى بغداد، وخطب له بجوامعها في شهر بيع الآخر سنة ثمان وتسعين وأربعمائة، ولقب
بألقاب جدِّه جلال الدولة، ونشرت الدنانير على الخطباء، ثم قدم عمه السلطان محمد على
ما نذكره.

أخبار السلطان محمد

هو غياث الدين أبو شجاع محمد طير يمين أمير المؤمنين ابن السلطان جلال الدولة ملكشاه
ابن السلطان عضد الدولة ألب أرسلان محمد بن داود جغري بك بن ميكائيل بن سلجق،
وهو الخامس من ملوك الدولة السلجقية.
قد قدمنا من أخبار السلطان، ووقائعه مع أخيه السلطان بركياروق وحروبه، والخطبة له
ببغداد مرة بعد أخرى ما يستغني عن إعادته، ونحن الآن نذكر أخباره في سلطنته بعد وفاة
أخيه. قال: لما مات السلطان بركياروق، وخطب لولده ملكشاه ببغداد كما ذكرناه، كان
السلطان محمد إذ ذاك يحاصر جكرمش، وسكمان القطبي، وغيرهما من الأمراء، وكان
سيف الدلو صدفة صاحب الحلة قد جمع خلقاً كثيرا من العساكر بلغت عدتهم خمسة

عشر ألف فارس، وعشرة آلاف راجل، وأرسل ولديه بدران، ودبيس إلى السلطان محمد
يستحثه على الحضور إلى بغداد، فاستصحبهما معه، فلما سمع الأمير إياز بمسيره إليه خرج
هو والعسكر الذي معه من الدور، ونصبوا الخيام بالزهراء خارج بغداد، وجمع الأمراء،
واستشارهم فيما يفعله، فبذلوا الطاعة واليمين على قتال السلطان، ودفعه عن السلطنة،
والاتفاق على طاعة ملكشاه بن بركياروق، وكان أشدهم ينال وصبارو، فلما تفرقوا، قال
له وزيره الصفيّ أبو المحاسن: اعلم أن حياتي مقرونة بثبات نعمتك ودولتك، وأنا أكثر التزاما
بك من هؤلاء، وليس الرأي ما أشاروا به، فإن كل واحد منهم يقصد أن يسلك طريقا،
ويقيم سوقا لنفسه، وأكثرهم يناوئك في المنزلة، وإنما يقعد بهم عن منازعتك قلة العدد
والمال، والصواب مصالحة السلطان محمد، والدخول في طاعته، وهو يقرك ما بيدك من
الإقطاع، ويزيدك عليه ما أردت، فتردّد رأي الأمير إياز في الصلح إلا أنه يظهر المباينة، وجمع
السفن التي ببغداد، وضبط المشارع من متطرق إلى عسكره، أو إلى البلد، ووصل
السلطان محمد إلى بغداد في يوم الجمعة لثمان بقين من جمادى الأولى، سنة ثمان وتسعين
وأربعمائة، ونزل بالجامع العربي، وخطب بالجامع، وأما جامع المنصور، فإن الخطيب قال:
اللهم أصلح سلطان العالم، ولم يزد على ذلك، وركب إياز في عسكره، وهم عازمون على
الحرب، وسار حتى أشرف على عسكر السلطان محمد، وعاد إلى مخيَّمه، فدعا الأمراء
إلى اليمين مرة ثانية على المخالصة لملكشاه، فأجاب بعضهم، وتوقف البعض، وقالوا: قد
حلفنا مرة، ولا فائدة في إعادة اليمين لأنا إن وفينا بالأولى، وفينا بالثانية، فأمر إياز حينئذ
وزيره الصفي أبا المحاسن بالعبور إلى السلطان محمد، والمشي في الصلح، وتسليم السلطنة
إليه، فعبر يوم السبت لسبع بقين من الشهر إلى عسكر محمد، واجتمع بوزيره سعد الملك
أبي المحاسن سعد بن محمد، وعرّفه ما جاء فيه، فأحضره إلى السلطان، فأدى الرسالة،
واعتذر عن صاحبه، فأجابه السلطان جوابا لطيفا، وطيب نفسه، وأجاب إلى اليمين، فلما

كان الغد حضر قاضي القضاة، والنقيبان، والصفي وزير إياز عند السلطان، فقال له وزيره
سعد الملك: إن إياز يخاف لما تقدم منه، وهو يطلب العهد لنفسه، وللأمراء الذين معه، فقال
السلطان: أما ملكشاه فلا فرق بينه وبين أخي، وأما إياز والأمراء الذين معه، فأحلف لهم
أن لا ينال الحسامي وصبارو، وحلف لهم، فلما كان الغد حضر الأمير إياز إلى السلطان،
فلقيه الوزير، وكافة الناس، ووصل سيف الدولة صدقة في ذلك الوقت، ودخلا جميعا إلى
السلطان، فأكرمهما، وأحسن غليهما، وقيل: بل ركب السلطان، ولقيهما، وأقام السلطان
ببغداد إلى شعبان، وسار إلى أصفهان على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

قتل الأمير أياز

كان سبب ذلك أنه لما سلَّم السلطنة لمحمد، وصار في جملة أصحابه، عمل وليمة عظيمة
في ثامن جماد الآخرة في داره، ودعا السلطان غليها، فجاء وقدم له إياز شيئا كثيرا، من
جملته حمل بلخش، كان إياز قد أخذه من تركة مؤيد الملك بن نظام الملك، وحضر الوليمة
سيف الدولة صدقة بن مزيد، فاتفق أن إياز تقدم إلى غلمانه بلبس السلاح، ليعرضهم على
السلطان، فدخل إليهم رجل من أبهر كانوا يضحكون منه، فألبسوه ذرعا تحت قميصه،
وتناولوه بأيديهم، وهو يسألهم أن يكفوا عنه، فلم يفعلوا، فلشدَّة ما ناله هرب منه، ودخل
بين خواص السلطان، فرآه السلطان مذعورا، فاستراب منه، وقال لغلام له أن يمسكه من
غير أن يعلمه أحد ففعل، فرأى الدرع تحت ثيابه، فأعلم السلطان بذلك، فاستشعر السوء
وقال: إذا كان أصحاب العمائم قد لبسوا الدروع، فما ظنك بغيرهم من الجند، ونهض
وعاد إلى داره، فلما كان في ثالث عشر. استدعى الأمير صدقة وإياز، وجكرمش،
وغيرهم من الأمراء، فلما حضروا أرسل إليهم: أنا بلغنا أن قلج أرسلان بن سليمان بن
قتلمش، قصد ديار بكر ليملكها، ويسير منها إلى الجزيرة، وينبغي أن تجتمع أراؤكم على من
يسير إليه ليمنعه، ويقاتله، فقال الجماعة: ليس هذا الأمير إلا الأمير إياز.فقال إياز: ينبغي

أن أجتمع أنا وسيف الدولة صدقة على هذا الأمر، فقبل ذلك استدعى السلطان،
فاستدعى إياز وصدقة والوزير سعد الملك، فقاموا ليدخلوا عليه، وكان قد أعدّ جماعة من
خواصّه لقتل إياز إذا دخل عليه، فلما دخل ضرب أحدهم رأسه فأبانه، فغطى صدقة
وجه بكمِّه، وأما الوزير فغشي عليه، وتفرق أصحاب إياز، وكان زوال نعمته العظيمة
ودولته في مزحة مزحها غلمانه، ولما كان الغد كفنَّه قوم من المتطوعة ودفنوه.
وكان من جملة مماليك السلطان ملكشاه، وكان غزير المروءة، شجاعا حسن الرأي في
الحرب، ولما قتل اختفى وزيره الصفي، ثم أخذ وحمل إلى الوزير سعد الملك، ثم قتل في شهر
رمضان، وسار السلطان إلى أصفهان، فوصل إليها في شهر رمضان وأمن أهلها.
خروج منكبرس على السلطان محمد والقبض عليه
وفي المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة أظهر منكبرس ابن الملك بوزي برس بن الب
أرسلان، وهو ابن عم السلطان محمد العصيان، والخلاف على السلطان، وسبب ذلك أنه
كان بأصبهان، فلحقته ضائقة شديدة، وانقطعت عنه المواد، فسار إلى نهاوند، واجتمع
عليه بها جماعة من العسكر، وظاهره عل أمره جماعة من الأمراء، فتغلب على نهاوند،
وخطب لنفسه بها، وكاتب الأمراء بني برسق يدعوهم إلى طاعته ونصرته، وكان السلطان
محمد قد قبض على أخيهم زنكن بن برسق، فكاتب زنكي إخوته، وحذرهم من طاعته،
وأمرهم بالتدبير في القبض عليه، فلما أتاهم كتاب أخيهم بذلك أرسلوا إلى منكبرس يبذلون
له الطاعة والموافقة، فسار إليهم وساروا غليه، واجتمعوا به، وقبضوا عليه بالقرب من
أعمالهم، وهي بلد خوزستان، وتفرق أصحابه وأتوابه إلى أصفهان، فاعتقله السلطان مع
بني عمه تكش، وأخرج زنكي بن برسق، وأعاده إلى مرتبته، واستنزله و عمه تكش،
وأخرج زنكي بن برسق، وأعاده إلى مرتبته، واستنزله وإخوته عن إقطاعهم وهي الأسر،
ونيسابور، وغيرهما ما بين الأهواز وهمذان، وأقطعهم عوض ذلك الدور وغيرها وفيها ظهر

بنهاوند أيضا رجل من أهل السواد، ادعى النبوة، فأطاعه خلق كثير، واتبعوه، وباعوا
أملاكهم، ودفعوا أثمانها إليه، وهو يخرج جميع ذلك، وسمي أربعة من أصحابه آبا بكر،
وعمر، وعثمان، وعليا، ثم قتل بنهاوند، فكان أهلها يقولون: ظهر عندنا في مدة شهرين
اثنان: أحدهما يدعى النبوة، والآخر المملكة، فلم يتم لأحد منها أمر، والله أعلم.
ملك السلطان محمد قلعة شاه دز من الباطنية وقتل ابن عطاش
وفي سنة خمسمائة ملك السلطان القلعة التي كانت الباطنية ملكوها بالقرب من اصفهان،
واسمها شاه دز، وقتل صاحبها أحمد ابن عبد الملك بن عطاش وولده، وكانت القلعة قد
بناها السلطان لملكشاه، واستولى عليها بعده أحمد بن عبد الملك وكان قد أتصل بدز دار
القلعة، فلما مات استولى عليها، وكان الباطنية بأصفهان قد ألبسوه تاجا، وجمعوا له أموالا
عظيمة، فاشتد بأسه، وكثر جمعه، واستفحل أمره بالقلعة، فكان يرسل أصحابه لقطع
الطريق، وأخذ الأموال، وقتل من قدروا عليه، فقتلوا خلقا كثيرا، وجعلوا لهم على القرى
السلطانية، وأموال الناس، ضرائب يأخذونها؛ ليكفوا عنها الأذى، فتعذر انتفاع السلطان
بقراه، والناس بأملاكهم، ومشى لهم الأمر بما كان بين السلطان وأخيه من الاختلاف، فلما
صفت السلطنة لمحمد، فخرج بنفسه، وحاصرهم، في سادس شعبان، وأحاط بجبل
القلعة، فلما شاتد الحصار عليهم طلبوا أن ينزل بعضهم من القلعة، ويرسل السلطان معهم
من يحيمهم، إلى أن يصلوا إلى قلعة الناظر بأرجان، وكانت لهم، وينزل بعضهم، ويرسل معهم
من يوصلهم إلى طبس، وأن يقيم منهم في ضرس من القلعة، إلى أن يصل إليهم من يخبرهم
بوصول أصحابهم، وينزلون حينئذن ويرسل السلطان معهم من يوصلهم، إلى ابن الصباح
بقلعة ألموت، فأجيبوا إلى ذلك، وتوجه معهم إلى قلعتي الناظر، وطبس، وعاد منهم من
أخبر ابن غطاس بوصولهم، فلم يسلم السن الذي بيده، ورأى السلطان منه العذر، فملكه،
وقتل من فيه من الباطنية، واختلط بعضهم بمن دخل، فسلموا، وأسر ابن عطاش، فتركه

السلطان أسبوعا، ثم أمر به، فشهر في جميع البلاد، وسلخ جلده فمات، وحشى تبنا، وقتل
ولده، وحملت رأساهما إلى بغداد، وألقت زوجته نفسها من القلعة، فهلكت. كانت مدة
البلوي بابن عطاش ثنتا عشرة سنة.
القبض على الوزير وقتله، ووزارة أحمد بن نظام الملك
وفي سنة خمسمائة قبض السلطان محمد على وزيره سعد الملك أبي المحاسن، وأخذ ماله،
وصلبه على باب أصفهان، وصلب معه أربعة نفر من أعيان أصحابه، فأما الوزير، فنسب
إلى خيانة السلطان، وأما الأربعة، فنسبوا إلى اعتقاد مذهب الباطنية، ثم استشار
السلطان فيمن يجعله وزيراً، فذكر له جماعة، فقال: أن آبائي رأوا على نظام الملك البركة،
وله عليهم الحق الكبير، وأولاده أعذياء بنعمتنا، ولا معدل عنهم، فاستوزر أبا نصر أحمد،
ولقب ألقاب أبيه قوام الدين نظام الملك صدر الإسلام، وحكَّمه، ومكَّنه، وقوى أمره.
قتل الأمير صدقة بن مزيد
كان مقتله في سنة إحدى وخمسمائة، وكان سبب ذلك أنه قد عظم أمره، واشتهر ذكره،
واستجار به الأكابر من الخلفاء، فمن دونهم، وأجار على الخلفاء والملوك، وكان ممن أكد
أسباب دولة السلطان محمد، وأقام في حقه، وعضده، وجاهر السلطان بركياروق بسببه،
فلما استوثق الأمر للسلطان محمد، زاده على ما بيده من الإقطاع زيادة عظيمة، منها مدينة
واسط، وأذن له في أخذ البصرة، ثم أفسد ما بينهما العميد أبو جعفر محمد بن الحسن
البلخي، وقال للسلطان: إن صدقة عظم أمره، وكثر ادلاله، وهو يحمي كلَّ من يفر من
السلطان، والتحق به، ونسبه إلى مذهب الباطنية، ولم يكن كذلك، وإنما تشيع، واتفق أن
السلطان محمد سخط على أبي دلف سرخاب بن كيخسرو صاحب ساوه، فهرب منه،
وقصد صدقة، واستجار به فأجاره، فأرسل السلطان يطلبه من صدقة، وأمره بتسليمه إلى
نوابه، فلم يفعل، وأجاب، إنني لأمكن منه بل أحامي عنه، أقول ما قاله أبو طالب لقريش لما
طلبوا النبي صلى الله عليه وسلم.

ونسلمه حتى تصرَّع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وظهر منه أمور أنكرها السلطان، فتوجه السلطان إلى العراق، ليتلافى هذا الأمر، فلما
سمع صدقة به، استشار أصحابه فيما يفعله، فأشار عليه ابنه دبيس أن ينفذه إلى
السلطان، ومعه الأموال والخيل والتحف ليستعطفه، وأشار سعيد بن حميد صاحب
جيش صدقة بحربه، وجمع الجند، وتفريق المال فيهم، واستطال في القول، فمال صدقة إلى
قوله ووافقه، وجمع العساكر، فاجتمع له عشرون ألف فارس، وثلاثون ألف راجل، وأرسل
الخليفة المستظهر بالله إلى الأمير صدقة، يحذره عاقبة أمره، وينهاه عن الخروج عن طاعة
السلطان، فأجاب: إنني على الطاعة، لكن لا آمن على نفسي في الاجتماع به، ثم أرسل
السلطان إلى صدقة يطيب قلبه، ويبسط ويزيل خوفه، ويأمره بالانبساط على عادته،
فأجاب: إن أصحاب السلطان قد أفسدوا قلبه عليّ، وغيروا حالي عنده، وزال ما كان
عليه في حقي من الإنعام، وذكر سالف خدمته ومناصحته، وقال سعيد بن حميد صاحب
جيشه: لم يبق لنا في صلح السلطان مطمع، وليرين خيولنا ببغداد، وامتنع صدقة من
الاجتماع بالسلطان، وكان السلطان وصل إلى بغداد جريدة في خيل، لا تبلغ ألفي فارس،
فأرسل إلى جيوشه، فأتته من كل جهة، وكررت الرسائل من الخليفة إلى صدقة، وهو
يجيب: إنني ما خالفت الطاعة، ولا قطعت الخطبة، وجهز ابنه دبيسا، ليسير إلى السلطان،
فبينما هو في ذلك إذ ورد الخبر أن طائفة من عسكر السلطان، قد وقعت الحرب بينهم
وبين أصحاب صدقة، وأن عسكر السلطان انهزم، وأسر جماعة من أعيانهم، فأخر صدقة
ابنه، ثم ترددت الرسائل من الخليفة إلى صدقة، يقول: إن إصلاح قلب السلطان موقوف
على إطلاق الأسرى، ورد جميع ما اخذ من العسكر المنهزم، فأجاب أولاً بالخضوع
والطاعة، ثم قال: لو قدرت على الرحيب من بين يدي السلطان لفعلت، ولكن ورائي من
يثقل ظهري: ثلثمائة امرأة لا يحملهن مكان، ولو علمت أنني إذا جئت للسلطان مستسلما
قبلني، واستخدمني، لفعلت، ولكنني أخاف ألا يقبل عذري، ولا يعفو، وأما ما نهب فإن

الخلق كثير، وعندي من لا اعرفه، وقد نهبوا ودخلوا البر، ولا طاقة لي بهم، لكن إن كان
السلطان لا يعارضني فيما في يدي، ولا فيمن أجرته ويقر سرخاب على إقطاعه بساوة،
ويتقدم بإعادة ما نهب من بلدي، ويحلفه وزير الخليفة بما أثق به من الإيمان، على المحافظة
فيما بيني وبينه، فحينئذ أخدم بالمال، وأدوس بساطه بعد ذلك، فعادت الرسائل بذلك مع
أبي منصور بن معروف، وأصر صدقة على قوله، فعند ذلك سار السلطان في ثامن شهر
رجب إلى الزعفرانية، وسار صدقة في عسكره إلى قرية مطر، وأمر جنده بلبس السلاح،
واستأمن نائبه سلطان بن دبيس وهو ابن عم صدقة إلى السلطان، فأكرمه، وعبر السلطان
إلى دجلة، ولم يعبر هو، فصاروا هو وصدقة في ارض واحدة، بينهما نهر، ولم يعبر هو،
فصاروا هم وصدقة في أرض واحدة، بينهما نهر، والتقوا في تاسع عشر شهر رجب،
وكانت الريح في وجه أصحاب السلطان، فلما التقوا صارت في وجوه أصحاب صدقة،
ورمى الأتراك بالنشاب فكان يخرج في كل رشقة سبعة عشر ألف فردة، لا تقع إلا في فارس
أو فرس، فكان أصحاب صدقة إذا حملوا منعهم النهر، والنشاب يصل إليهم، وحمل صدقة
على الأتراك وجعل يقول: أنا صدقة، أنا ملك العرب فأصابه سهم في ظهره، وأدركه غلام
اسمه برغش، فتعلق في صدقة وهو لا يعرفه، فسقطا جميعا إلى الأرض، فعرفه صدقة،
وقال: يا برغش أرفق، فضربه بالسيف، فقتله، وأخذ رأسه وحمله إلى البرسقي، فحمله إلى
السلطان، فلما رآه عانقه، وأمر لبرغش بصلة، وبقي صدقة طريحا، إلى أن سار السلطان،
فدفنه إنسان من المدائن، وكان عمر صدقة تسعا وخمسين سنة، وكانت إمرته إحدى
وعشرين سنة، وحمل رأسه إلى بغداد، وقتل من أصحابه ما يزيد على ثلاثة آلاف فارس،
وأسر ابنه دبيس، وسرخاب بن كيخسرو الديلمي، فأحضر بين يدي السلطان، فطلب
الأمان، فقال السلطان: أنا عاهدت الله أني لا أقتل أسيرا، فإن ثبت عليك أنك باطني
قتلتك. قال: ونهب من أموال صدقة ما لا يحد ولا يوصف.

وكان له من الكتب المنسوبة الخطوط ألوف مجلدات، وكان يقرأ ولا يكتب، وكان جوادا
حليما، صدوقا، كثير البشر والخير والإحسان، يلقي لمن يقصده بالبشاشة والفضل،
ويبسط آمال قاصديه، ويزورهم، وكان عاقلا، عفيفا، دينا، حاز الأوصاف الجميلة، رحمه
الله تعالى.
قال: ولما قتل صدقة عاد السلطان إلى بغداد، ولم يصل الحلة، وأرسل أماناً لزوجة صدقة،
فأصعدت إلى بغداد، فأطلق السلطان ابنها دبيسا، وأنفذ معه جماعة من الأمراء لتلقيها،
فلما جاءت اعتذر السلطان إليها من قتل صدقة، وقال: وددت لو أنه حمل إلي حتى كنت
أفعل معه ما يعجب الناس منه، لكن الأقدار غلبتني عليه، واستحلف ابنها دبيسا أنه لا
يسعى بفساد.
وفي سنة إحدى وخمسمائة في شعبان أطلق السلطان الضرائب والمكوس، ودار البيع،
والاجتيازات، وغير ذلك، مما يناسبه بالعراق، وفيها خرج السلطان إلى أصفهان، وكان
مقامه ببغداد، في هذه الدفعة خمسة أشهر وأربعة عشر يوما.
وفي سنة اثنتين وخمسمائة استولى مورود، وعسكر السلطان على الموصل، وكان جاولي
سقاوة قد تغلب عليها، فأخذت منه، بعد حرب وحصار، ثم عاد جاولي إلى خدمة
السلطان.
وفي سنة ثلاث وخمسمائة سيَّر السلطان وزيره نظام الملك أحمد ابن نظام الملك إلى قلعة
ألموت، لقتال الحسن بن الصباح، ومن معه من الإسماعيلية، فحصرهم، وهجم الشتاء
عليهم، فعادوا، وفيها في شهر ربيع الآخر توجه الوزير نظام الملك إلى الجامع، فوثب عليه
الباطنية، وضربوه بالسكاكين، فجرح في رقبته، فمرض مدة وبرأ، وأخذ الباطني، فسقي
الخمر حتى سكر، وسئل عن أصحابه، فأقر على جماعة بمسجد المأمونية، فقتلوا، وفيها
عزل الوزير نظام الملك، واستوزر بعده الخطير محمد بن الحسين.
وفي سنة خمس وخمسمائة بعث السلطان الجيوش لقتال الفرنج، وكانوا قد استولوا على
البلاد، ففتحوا عدة حصون للفرنج، وقتلوا من بها منهم، وحصروا مدينة الرُّها، ثم رحلوا

عنها.
وفي سنة تسع وخمسمائة أقطع السلطان محمد الموصل، وما كان بيد آق سنقر البرسقي
للأمير جيوش بك، وسير معه ولده الملك مسعود بن محمد.
وفاة السلطان محمد
وشيء من أخباره وسيرته
كانت وفاته في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة إحدى عشرة وخمسمائة، وكان ابتداء
مرضه في شعبان، فانقطع عن الركوب، وتزايد مرضه ودام، وأرجف بموته، فلما كان يوم
عيد النحر، حضر الناس إلى دار السلطان، فأذن لهم في الدخول، وجلس السلطان وقد
تلكلف ذلك، حتى أكل الناس وانصرفوا، فلما انتصف الشهر أيس من نفسه، فأحضر ولده
السلطان محموداً وقبله وبكيا، وأمره أن يخرج، ويجلس على تخت السلطنة، وينظر في أمور
الناس، وكان عمره إذ ذاك قد زاد على أربع عشرة سنة، فقال لوالده: إنه يوم غير مبارك،
يعني من طريق النجوم، فقال السلطان: صدقت يا بني ولكن على أبيك وأما عليك فمبارك
بالسلطنة، فخرج وجلس على تخت السلطنة وبالتاج والسوارين، وفي يوم الخميس الرابع
والعشرين من الشهر أحضر الأمراء، وأعلموا بوفاة السلطان، وخطب لمحمود بالسلطنة.
وكان مولد السلطان محمد في ثامن عشر من شعبان سنة أربع وسبعين ودعي له بالسلطنة
ببغداد، في الدفعة الأولى، في يوم الخميس سابع عشر ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين
وأربعمائة، وقطعت، وأعيدت عدة دفعات كما قدمناه في أخبار بركياروق. وكانت مدة
اجتماع الناس عليه بغير منازع، منذ تسلم السلطنة من الأمير إياز أتابك ملكشاه بن
بركياروق، ثنتا عشرة سنة وسبعة أشهر.
وأما سيرته فكان ملكا عادلا شجاعا، حسن السيرة، فمن جملة ذلك أنه اشترى مماليك
من بعض التجار، وأحالهم بالثمن على عامل خوزستان، فأعطاهم البعض، ومطلهم بما
بقي، فحضروا مجلس الحكم، وأخذوا معهم الغلمان القاضي إلى السلطان، ليحضر معهم
إلى مجلس الحكم، فلما رآهم، قال لحاجبه: انظر حاجة هؤلاء فسألهم، فقالوا: لنا خصم

يحضر معنا إلى مجلس الحكم، فقال: ما هو؟ فقالوا: السلطان؛ وذكروا قصتهم. فأعلمه
الحاجب ذلك، فأمر بإحضار العامل إليهم، وغرمه غرما ثقيلا، ونكل به، ثم كان يقول بعد
ذلك: ندمت ندامة عظيمة، حيث لم أحضر معهم إلى مجلس الحكم، فيقتدي بي غيري، ولا
يمتنع أحد عن الحضور إليه، وأداء الحق، ومن عدله أنه كان له خازن يعرف بأبي أحمد
القزويني، فقتله الباطنية، فلما قتل أمر بعرض الخزانة عليه، فعرضت، فإذا درج فيه جوهر
نفيس، فقال: إن هذا الجوهر عرض عليَّ من أيام، وهو في ملك أصحابه، وسلمه إلى خادم
له، وأمر بتسليمه إليهم، فسأل عنهم وكانوا غرباء وقد تيقنوا ذهاب مالهم، وأيسوا منه،
فلم يطلبوه، فأحضرهم وسلمه إليهم، وأطلق المكوس والضرائب في جميع البلاد، ولم يعلم
منه فعل قبيح، ولا عرف عنه، وعلم الأمراء سيرته، فلم يتجاسروا على الظلم، وكفوا
عنه.
وكان له من الأولاد: محمود، وطغرل، ومسعود، وسليمان شاه، وسلجق، تولوا كلهم
السلطنة إلا سلجق.
وزراؤه: مؤيد الملك بن نظام الملك. ثم سعد الملك أبو المحاسن، إلى أن قتله، ثم أحمد بن
نظام الملك، ثم خطير الملك، وكان في نهاية الجهل، فعزله بعد مدة، وصادره، وولي فيرهم،
وممن استوزره: ربيب الدولة أبو منصور بن أبي شجاع.
ولما توفي السلطان محمد انتقلت السلطنة من العراق إلى خراسان، وذلك أن سنجر لم يبق
في البيت أكبر منه، فكان هو السلطان المشار إليه، ولنذكر الآن أخباره، لأنه كان ملكا في
حياة أخيه، وعظم شأنه، واستولى على عدة ممالك، فإذا انفضت دولته، عدنا إلى ذكر
أولاد محمد، وغيرهم إن شاء الله تعالى.
السلطان سنجر
هو معز الدين عماد آل سلجوق أبو الحارث سنجر شاه برهان أمير المؤمنين ابن السلطان
جلال الدولة ملكشاه، وقد تقدم ذكر نسبه، وكان والده سماه أحمد،وإنما قيل له: سنجر؛
لأنه ولد بسنجار، فقيل له: سنجر باسم المدينة التي ولد بها، ونعت أيضا بالسلطان

الأعظم، قال المؤرخ: ولما مات السلطان محمد كان سنجرشاه مستقر الأمر بخراسان، وقد
ذكرنا ذلك في أيام أخيه السلطان بركياروق، وكان قد سلمها له لما فتحها، في خامس
جمادى الأولى سنة تسعين وأربعمائة، وقد قدمنا من أخباره في أيام أخيه السلطان
بركياروق، وحروبه معه، ما يستغني الآن عن إعادته، فلما مات بركياروق استغل
سنجرشاه بملك خراسان، وبقي العراق وما معه بيد أخيه السلطان محمد، على ما قدمتا،
قال: واتفق وقعتان لسنجرشاه عظيمتان، في أيام أخويه بركياروق ومحمد نحن الآن
نذكرهما.
فأما الأولى: فهي واقعته مع قدر خان صاحب سمرقند وما وراء النهر، وكانت سنة
خمس وتسعين وأربعمائة، وذلك أن قدر خان قصد خراسان، وطمع في ملكها لصغر سن
سنجر، وجمع من العساكر ما طبق الأرض، قيل: كانوا مائة ألف مقاتل، وقيل: مائتي ألف
عنان، مسلمون وكفار، وكان من أمراء سنجر أمير اسمه: كندغدي، قد كاتب قدر خان
بالأخبار، وأعلمه بحال سنجر وضعفه، واختلاف الملوك السلجقية، وأشار عليه
سنجرشاه إلى المسير إلى غزنة، ومعه بهرام شاه، فلما بلغ بست اتصل به نصر بن خلف،
صاحب سجستان، وسمع أرسلان شاه الخبر، فسير جيشا كثيفا، فهزمه سنجر، وعاد
من سلم إلى غزنة بأسوأ حال، فخضع حينئذ أرسلان شاه، وأرسل إلى الأمير أتسز، وكان
على مقدمة سنجر يضمن له الأموال الكثيرة، ليعود عنه،ويحسِّن إلى سنجر، يضمن له
الأموال الكثيرة، ليعود عنه، ويحسِّن إلى سنجز العود، فلم يفعل فأرسل أرسلان شاه امرأة
عمه نصر، وهي أخت السلطان سنجر من والده بركياروق، وكان علاء الدولة قتل زوجها،
ومنعها من الخروج عن غزنة، وسألها سؤال سنجر في الصفح، وأرسل معها الأموال والهدايا
والتحف، وكان معها مائتا ألف دينار، وطلب من السلطان أن يسلم غليه أخاه بهرام شاه،
فوصلت إليه، وكانت موغرة الصدر من أرسلان شاه، فهونت أمره عند السلطان سنجر،

وأطمعته في البلاد، وهونت عليه الأمر، وذكرت له ما فعل بإخوته، وأنه قتل بعضهم، من
غير أن يخرجوا عن الطاعة، فسار الملك سنجر، وأرسل خادما من خواصه برسالة إلى
أرسلان شاه، فقبض عليه واعتقله، واستمر سنجر على سيره لقصد غزنة، فلما سمع بقربه
أطلق الرسول، ووصل سنجر إلى غزنة، فلما سمع بقربه أطلق الرسول، ووصل سنجر إلى
غزنة، ووقع المصاف على فرسخ منها بصحراء شهراباذ، وكان أرسلان شاه في ثلاثين الف
فارس، وخلق كثير من الرجالة، ومعه مائة وستون فيلا عليهم المقاتلة، فاقتتلوا قتالا شديدا،
كان الظفر لسنجر شاه ومن معه، ودخل غزنة، وملك قلعتها، ورتب بهرام شاه في الملك،
وقرر أن يكون الدعاء بغزنة للخليفة، ثم للسلطان محمد، ثم للمك سنجر، وبعدهم لبهرام
شاه، وحصل لأصحاب سنجر من الأموال ما لا يحد، وكان من دور ملوكها عدو دور،
على حيطانها ألواح الفضة وسواقي البساتين من الفضة، فقلع أكثر ونهب، فمنع سنجر
أصحابه، وصلب جماعة، حتى كف الناس، وكان من جملة ما حمل لسنجر خمسة تيجان
قيمة، أحدها يزيد على ألفي دينار وألف وثملثمائة قطعة مصاغة مرصعة، وسبعة عشر
سريرا من الذهب والفضة، وأقام بغزنة أربعين يوما، حتى استقر بهرام شاه، وعاد إلى
خراسان، ولم يخطب بغزنة لسلجقي قبله.

القبض على الوزير محمد

قال: ولما عاد السلطان سنجر من غزنة قبض على وزيره أبي جعفر محمد بن فخر الملك
أبي المظفر، بن الوزير نظام الملك، وكان سبب ذلك أنه أوحش الأمراء، واستخف بهم،
فغضبوا من ذلك، وشكوا إلى السلطان وهو بغزنة، فاستمهلهم إلى أن يخرج من غزنة،
ووافق ذلك تغير السلطان عليه، لأشياء نقمها منه، منها أنه أشار على السلطان بقصد
غزنة، فلما قصدها، ووصل إلى بست، أرسل صاحبها أرسلان شاه إلى الوزير محمد،
وضمن له خمسمائة ألف دينار إن هو أثنى على السلطان سنجر عن قصدها، ورده، فلما
أتته الرسالة أشار على السلطان بمصالحة أرسلان شاه، والرجوع إلى خراسان، فلم يوافقه

على ذلك، وفعل بمثل ذلك بم وراء النهر، ومنها أنه نقل إليه أنه أخذ من غزنة أموالا عظيمة
المقدار، وغير ذلكن فلما عاد إلى بلخ قبض عليه، وأخذ ماله وقتله، وكان له من الجواهر
والأموال شيء كثير، ووجد له من العين ألف ألف دينار، ولما قتله استوزر بعده شهاب
الإسلام عبد الرزاق بن أخي نظام الملك، ويعرف هذا الوزير بابن الفقيه، فلم يبلغ منزلة أبي
جعفر في علة الهمة، ونفاذ الكلمة، ثم ندم السلطان سنجر على قتل أبي جعفر، رحمه الله
تعالى.
الحرب بين السلطان سنجر وبين ابن أخيه محمود بن محمد
كانت الحرب بينهما في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، وسبب ذلك أنه لما بلغ
السلطان سنجر شاه وفاة أخيه السلطان محمد، وجلوس ابنه السلطان محمود، وهو زوج
ابنة السلطان سنجر، حزن لوفاة أخيه حزنا عظيما، وجزع، وتألم ألما شديدا، وجلس
للعزاء على الرماد وأغلق البلد سبعة أيام، وتقدم إلى الخطباء يذكر أخيه السلطان محمد
على المنابر بمحاسن أعماله، من قتال الباطنية، وإطلاق المكوس، وغير ذلك، وكان يلقب
بناصر الدين، فتلقب بعد وفاة أخيه بمعز الدين، وهو لقب أخيه ملكشاه، وعزم على قصد
بلد الجبال والعراق، وما هو بيد محمود بن أخيه، وندم عند ذلك على قتل وزيره أبي
جعفر؛ لأنه كان يبلغ به من الأغراض ما لا يبلغه بكثرة العساكر، لميل الناس إليه ومحله
عندهم. قال: ثم أرسل السلطان إلى عمه سنجر شرف الدين أنوشروان بن خالد، وفخر
الدين طغابرك، ومعهما الهدايا والتحف، وبذل له النزول عن مازندران، وحمل إليه مائتي ألف
دينار في كل سنة، فوصلا إليه وأبلغاه الرسالة، فقال: لا بد من القتال، وسار نحو الريّ
والأمير أتسز في مقدمته، فلما بلغ السلطان محمود مسير عمه إليه، ووصول الأمير أتسز إلى
جرجان، تقدم إلى الأمير علي بن عمر، وهو أمير حاجب أبيه بالمسير، وضم غليه جمعا
كثيراً من الأمراء والعساكر، فاجتمعوا في عشرة آلاف فارس، وساروا إلى أن قاربوا مقدمة
السلطان سنجر، وعليها الأمير أتسز، راسله الأمير على بن عمر يعرفه وصية السلطان

محمد، بتعظيم السلطان سنجر، والرجوع إلى رأيه وأمره، والقبول منه، وأنه ظن أن السلطان
سنجر يحفظ السلطنة على ولده محمد، وأنه أخذ علينا العهود بذلك، وليس لنا أن نخالفه،
وأما حيث جئتم إلى بلادنا، فلا نحتمل ذلك ولا نعصي عليه، وقد علمت أن معك خمسة
آلاف فارس، وأنا أرسل إليك أقل منهم لتعلم أنكم لا تقاومونا ولا تقومون بنا، فلما سمع
الأمير أتسز ذلك عاد عن جرجان، ولحقه بعض عسكر محمود، وأخذوا قطعة سواده،
وأسروا عدو من أصحابه، وعاد الأمير علي إلى السلطان محمود، وقد بلغ الري، وأقام بها،
فشكره على ما كان منه، وأشير على محمود بالمقام بالري، وقيل له إن عساكر خراسان إذ
علموا بمقامك لا يفارقون حدودهم، ولا يتعدون ولا يتهم، فلم يقبل ذلك، وضجر من مقامه،
وسار ووصل إليه الأمير منكبرش من العراق، في عشرة آلاف فارس، والأمير منصور بن
صدقة أخو دبيس، والأمراء البلخية، وغيرهم، وسار إلى همذان، فبلغه وصول عمه
سنجر إلى الري، فسار نحوه، وقصد قتاله فالتقيا بالقرب من ساده، وكان السلطان سنجر
في عشرين ألفا، ومعه ثمانية عشر فيلا، ومحمود في ثلاثين ألفا، وهم أكابر الأمراء، ومعه
تسعمائة حمل من السلاح، فلما التقوا ضعفت نفوس الخراسانة، لما رأوا من عسكر محمود
من الكثرة والقوة، فانهزمت ميمنة سنجر، واختلط أصحابه، وصاروا منهزمين لا يلوون
على شيء، ونهب من أثقالهم شيء كثير، وقتل من أهل السواد خلق كثير، ووقف
السلطان سنجر بين الفيلة في جمع من أصحابه، وبإذائه السلطان محمود، ومعه أتابكه عز
علي، فلما تعاظم الأمر على سنجر ألجأته الضرورة أن يقدم الفيلة للحرب، وكان من بقي
معه أشاروا عليه بالهزيمة، فقال، إما النصر وإما القتل، وأما الهزيمة فلا، فلما تقدمت الفيلة
نفرت منها خيل أصحاب محمود، وقال لصحابه: لا تفزعوا الصبي بحملات الفيلة، فكفوها
عنهم، وانهزم السلطان محمود ومن معه، وأسر أتابكه عز علي، وكان يكاتب السلطان،
ويعده أنه يحمل إليه السلطان محمود، فعاتبه على تأخيره عن ذلك، فاعتذر بالعجز، فقتله،

قال: وتم الظفر للسلطان وأرسل من أعاد المنهزمين من أصحابه، ونزل في خيام السلطان
محمود، وتراجع أصحابه إليه، ووصل الخبر إلى بغداد في عشرة أيام، وأرسل الأمير دبيس
بن صدقة في الخطبة للسلطان سنجر، فخطب له في السادس والعشرين من جمادى الأولى
من السنة، وقطعت خطبة محمود، وأما محمود فإنه سار من موضع الكسرة إلى أصفهان،
وسار السلطان سنجر إلى همذان، فرأى قلة عسكره واجتماع العساكر على ابن أخيه
محمود، فراسله في الصلح وكانت والدة السلطان سنجر تشير عليه بذلك، وتقول له: إنك قد
استوليت على غزنة وأعمالها، وما وراء النهر، وملكت البلاد، فتركت الجميع لأصحابه،
فاجعل ولد أخيك كأحدهم، فأجاب إلى قولها، وراسل محمودا في الصلح، وتحالفا، وسار
السلطان محمود إلى عمه السلطان سنجر، فبالغ في إكرامه، وحمل إليه محمود هدية عظيمة
فقبلها ظاهراً، وردها باطناً، ولم يقبل منه سوى خمسة أفراس عربية، وكتب السلطان
سنجر إلى سائر الأعمال التي بيده، خراسان، وغيرها، وغزنة، وما وراء النهر، بالخطبة
للسلطان محمود بعده، وكتب إلى بغداد بمثل ذلك، وأعاد عليه جميع ما أخذ منه، سوى
الري، وقصد بأخذها أن يكون له في هذه البلاد، لئلا يحدث محمود نفسه بالخروج عن
طاعته.

قدوم السلطان سنجر إلى الري

وفي سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة خرج السلطان سنجر من خرسان إلى الري في جيش
كثير، وكان سبب ذلك أن دبيس بن صدقة، والملك طغرل، كانا قد التحقا به، على ما
نذكره في أخبار السلطان محمود، فلم يزل دبيس يطمع السلطان سنجر في العراق، ويسهل
عليه الأمر، ويلقي إليه أن الخليفة المسترشد بالله، والسلطان محمود، قد اتفقا على الامتناع
منه، حتى أجاب إلى المسير إلى العراق، فلما وصل الريّ كان السلطان محمود بهمذان،
فأرسل السلطان سنجر يستدعيه، لينظر هل هو على الطاعة، أو تغير على ما وعم دبيس
بن صدقة؟، فبادر إلى المسير إليه، فلما وصل العسكر بتلقّيه، وأجلسه معه على التخت،

وبالغ في إكرامه، وأقام عنده إلى منتصف ذي الحجة من السنة، وعاد السلطان سنجر إلى
خراسان.
ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند من محمد خان وملك محمود بن محمد
وفي شهر ربيع الأول سنة أربع وعشرين وخمسمائة، ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند،
وسبب ذلك أنه لما ملكها رتب فيها محمد خان ابن أرسلان بن سليمان بد داود بغراجان،
كما ذكرتاه، فأصابه فالج، فاستناب ابناً له يعرف بنصرخان، وكان شجاعا، وكان بسمرقند
إنسان علوي فقيه مدرس، إليه الحل والعقد، والحكم في البلد، فاتفق هو ورئيس البلد على
قتل نصرخان، فقتلاه ليلا، وكان أبوه محمد خان غائبا، فعظم ذلك عليه، وكان له أخ آخر
ببلاد تركستان، فاستدعاه، فلما قرب من سمرقند خرج العلوي، والرئيس لاستقباله فقتل
العلوي في الحال، وقبض على الرئيس، وكان والده أرسلان خان قد أرسل إلى السلطان
سنجر يستدعيه، ظنا منه أن ابنه لا يتم أمره مع الرئيس العلوي ، فتجهز سنجر، وسار
يريد سمرقند، فلما ظفر ابنه بهما ندم على طلب السلطان، فأرسل غليه يعرفه أنه قد ظفر
بهما، وأنه على الطاعة، ويسأله العود إلى خراسان، فغضب من ذلك، وبينما هو في الصيد
إذ رأى أثنى عشر رجلاً في السلاح التام، فقبض عليهم وعاقبهم، فاقروا أن محمداً خان
أرسلهم ليقتلوه، فقتلهم، ثم سار إلى سمرقند، فملكها عنوة، ونهب بعضها، ومنع من
الباقي، وتحصن منه محمد خان ببعض الحصون، فاستنزله بأمان بعد مدة، فلما نزل إليه
أكرمه وأرسله إلى ابنته، وهي زوجة السلطان سنجر، فبقي عندها إلى أن توفي، وأقام
سنجر بسمرقند حتى أخذ الأموال، والأسلحة، والخزائن، وسلم البلد إلى الأمير حسن
تكين، وعاد إلى خراسان، فمات حسن تكين بعد مسير السلطان، فملك بعده عليها محمود
بن محمد خان.
وفي سنة خمس وعشرين مات السلطان محمود بن محمد، أخي السلطان سنجر، فسار
السلطان إلى العراق، والتقى هو وابن أخيه السلطان مسعود بن محمد، فانهزمت جيوش

مسعود، وحضر هو إليه، فأرساه إلى كنجة، بعد أن كان مسعود استقر في السلطنة، وأقام
السلطان سنجر في السلطنة السلطان طغرل أخيه محمد، وكان من أمره أمر أخيه مسعود،
ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخبارهم.

مسير السلطان إلى غزنة وعوده

وفي ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة، سار السلطان سنجر من خراسان إلى
غزنة، وسبب ذلك أنه نقل إليه عن صاحبها بهرام شاه أنه تغير عن طاعته، ومد يده إلى
ظلم الرعية، واغتصاب أموالهم، وكان سنجر هو الذي ملكه غزنة، كما ذكرناه، فلما قارب
السلطان غزنة أرسل إليه بهرام شاه رسلا يبذل الطاعة، والتضرع، وسأل العفو عن ذنبه
والصفح، فأرسل إليه سنجر المقرب جوهر الخادم، وهو أكبر أمير عنده، ومن جملة إقطاعه
الري في جواب رسالته يجيبه إلى العفو، إن حضر عنده، وعاد إلى طاعته، فلما وصل
المقرب إلى بهرام شاه أجاب بالسمع والطاعة، وركب مع المقرب إلى بهرام شاه أجاب
بالسمع والطاعة، وركب مع المقرب، وسار لتلقي السلطان، فلما قاربا بالسلطان ونظر بهرام
شاه إلى عسكره، والخبر على رأسه، نكص على عقبيه فلم يرجع، وولى هاربا، ولم يعرج
على غزنة، فسار السلطان، ودخل غزنة، وملكها واحتوى ما فيها، وجبى أموالها، وكتب
إلى بهرام شاه يلومه على ما فعله، وحلف أنه ما أراد به سوءاً، ولا مطمع له في بلده، ولا
هو ممن يكدر صنيعه، ويعقب حسنته معه بسيئة، وإنما قصده لإصلاحه، فأعاد بهرام شاه
الجواب يعتذر، ويتنصل ويقول: إن الخوف منعه من الحضور، ولا لوم على من خاف
السلطان، فأجابه سنجر على إعادة بلده، وفارق غزنة، وعاد إلى خراسان ورجع بهرام
شاه إلى غزنة.

الحرب بين السلطان سنجر وخوارزم شاه

وفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، سار السلطان سنجر إلى خوارزم شاه أتسز بن محمد؛
وذلك أنه بلغه أنه يحدث نفسه بالامتناع عليه، وترك خدمته، وجمع خوارزم شاه عسكره،
والتقوا فانهزم أصحاب خوارزم شاه، ولم يثبتوا، وقتل ولد خوارزم شاه، وملك السلطان

خوارزم، واقطعها غياث الدين سليمان شاه، ولد أخيه محمد، وعاد إلى مرو، في جمادى
الآخرة منها، وهذه الحرب هي التي أوجبت الفتن العظيمة، التي نذكرها إن شاء الله تعالى.
انهزام السلطان سنجر من الأتراك الخطا، وملكهم ما وراء النهر
وفي سنة ست وثلاثين وخمسمائة، كانت الحرب بين السلطان سنجر وبين الخطا؛ وسبب
ذلك أن خوارزم شاه لما قتل ابنه في حرب السلطان، كما ذكرناه، حمله الألم إلى أن راسل
ملك الخطا يستدعيه، لقصد سنجر وملك بلاده، ويهون عليه أمره، فصار في ثلثمائة ألف
عنان، وسار سنجر إليه بجميع عساكره، والتقوا بما وراء النهر، واقتتلوا قتالا شديدا،
وانجلت الحرب عن هزيمة سنجر، وقتل من أصحابه مائة ألف قتيل، فيهم اثنا عشر ألفا
كلهم أصحاب عمامة، وأربعة آلاف امرأة، وأسرت زوجة السلطان سنجر، وهي تركان
خاتون، ثم فديت بخمسمائة ألف دينار، وانهزم سنجر إلى ترمذ، ولم ينهزم قبلها، ولما تمت
هذه الهزيمة أرسل إلى ابن أخيه السلطان مسعود، وأذن له أن يتصرف في الري، وما معها،
على قاعدة أبيه السلطان محمد، وأمره أن يكون مقيماً بها بعساكره، بحيث إنه إذا احتاج
إليه استدعاه، ففعل ذلك، وملك الخطا ما وراء النهر، وتغلب خوارزم شاه على البلاد، في
هذا التاريخ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخباره، وفي سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة
حاصر السلطان سنجر خوارزم شاه بخورازم؛ فراسله، وبذل الطاعة والأموال، فقبل
السلطان ذلك منه، وعاد عنه.
انهزام السلطان سنجر من الغز، وأسره، وذكر أحوال الغز
ولنبدأ بذكر حال هؤلاء الغز، ومبدأ أمرهم، وما كان منهم إلى أن اسروا السلطان،
فنقول، إنهم طائفة من الترك المسلمون، كانوا بما وراء النهر، فلما ملك الخطا أخرجوهم من
بلاد ما وراء النهر، فقصدوا خراسان، وكانوا خلقا كثيرا، فأقاموا بنواحي بلخ، يرعون في
مراعيها، وكان لهم أمراء، وهم: دينار، وبختيار، وطوطى، وأرسلان، وجغر، ومحمود،
فأراد الأمير قماج، وهو مقطع بلخ إبعادهم، فصانعوه لشيء بذلوه له، فعاد منه، وأقاموا

على عادة حسنة، لا يؤذون أحداً، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة فعاودهم قماج، واجتمع
معهم غيرهم من طوائف الترك، فسار قماج إليهم، في عشرة آلاف فارس، فجاء إليه أمراء
الغز، وبذلوا له عن كل بيت مائتي درهم، فلم يجبهم، وشدد عليهم في الانشراح عن بلده،
فعادوا عنه، واجتمعوا، وقاتلوه، وانهزم، ونهبوا عسكره، وأكثروا القتل في العساكر
والرعايا، واسترقوا النساء والذراري، وعملوا كل عظيمة، وقتلوا الفقهاء، وخربوا المدارس،
وانتهت الهزيمة بقماج إلى مرو، وبها السلطان سنجر، فأعلمه الحال، فراسلهم وتهددهم،
وأمرهم بمفارقة البلاد، فاعتذروا وبذلوا مالا كثيرا؛ ليكف السلطان عنهم، ويتركهم في
مراعيهم، فلم يجبهم إلى ذلك، وجمع عساكره من أطراف البلاد، فاجتمع له ما يزيد على
مائة ألف فارس، وقصدهم، ووقع بينهم حرب شديدة، فانهزمت عساكر السلطان سنجر،
وانهزم هو في أصحابه، وتبعهم الغز يقتلون منهم، ويأسرون، حتى صارت القتلى كالتلال،
وقتل علاء الدين قماج، وأسر السلطان سنجر وجماعة من الأمراء، فضرب الغز أعناق
الأمراء، وأما السلطان سنجر فإن أمراء الغز اجتمعوا، وقبلوا الأرض بين يديه، وقالوا: نحن
عبيدك، لا نخرج عن طاعتك، ومضى على ذلك ثلاثة أشهر، ودخلوا معه إلى مرو، وهي
كرسي مملكة خراسان، فطلبها منه بختيار إقطاعا، فقال له السلطان سنجر: هذه دار
الملك، ولا يجوز أن تكون إقطاعا لأحد، فضحكوا منه، وحبق له بختيار بفمه، فلما رأى
ذلك من فعلهم نزل عن سرير الملك، ودخل خانقاه مرو، واستولى الغز على البلاد، وظهر
منهم من الجور ما لم يسمع بمثله، وولوا على نيسابور والياً فظلم الناس، وعسفهم وضربهم،
وعلق في الأسواق ثلاث غرائر، وقال أريد ملء هؤلاء ذهبا، فثار به العامة، فقتلوه، وقتلوا
من معه، فدخل الغز نيسابور، ونهبوها وجعلوها قاعاً صفصفا، وقتلوا من بها ببلاد، ولم
يرفعوا السيف عن كبير، ولا صغير، ولم يسلم من بلاد خراسان غير هراة ودهستان،
لحصانتهما.

هرب سنجر شاه من اسر الغز

قال: كان هربه من الأسر في شهر رمضان، سنة إحدى وخمسين وخمسمائة. ولما هرب
سار إلى قلعة ترمذ، هو وجماعة كانوا معه من الأمراء، فاستظهر بها على الغز، وكان
خوارزم شاه أتسز بن محمد،والخاقان محمود بن محمد، يقصدان الغز ويقاتلانهم، وكانت
الحرب بينهم سجالا، وغلب كل منهم على ناحية من خراسان ثم سار السلطان من ترمذ
إلى جيحون، يريد العبور إلى خراسان، واتفق أن علي بك مقدم القادغلية توفي، وكان اشد
على السلطان من كل أحد، فأقبلت القادغلية، وغيرهم، من أقاصي البلاد وأدانيها إلى
السلطان، وعاد إلى دار ملكه بمرو.
وفاة السلطان سنجر شاه
وشيء من أخباره وسيرته
كانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة اثنتين خمسين وخمسمائة، أصابه قولنج بعد ذرب
فمات منه، ودفن بقبة بناها لنفسه، وسماها دار الآخرة، وكان مولده بسنجار في الخامس
والعشرين من شهر رجب سنة سبع وسبعين وأربعمائة، فكان عمره أربعا وسبعين سنة
وثمانية اشهر، ومدة ملكه - منذ سلم له أخوه السلطان بركياروق خراسان، في خامس
جمادى الأولى سنة تسعين وأربعمائة، وإلى هذا التاريخ - إحدى وستين سنة وعشرة أشهر
وأياما، ومنذ استقل بالسلطنة، بعد وفاة أخيه محمد نحوا من أربعين سنة، ولم يزل أمره
عاليا إلى أن أسره الغز، كما ذكرناه، وكان من أكابر الملوك، وعظمت مملكته، ملك من
نهاوند، وغزنة، وسمرقند، إلى خراسان، وطبرستان، وكرمان، وسجستان، وأصفهان،
وهمذان، والري، وأذربيجان، وأرمينية، ودانية، والعراق، وبغداد، والموصل، وديار بكر،
وربيعة، ومضر، والجزيرة، والشام، والحرمين، وخطب له من منابرها، وضربت السكة
باسمه، في هذه الأقاليم وبلادها، ووطئت ملوكها بساطه، وكان من أعظم الملوك همة،
وأكثرها عطاء، ذكر عنه أنه اصطبح خمسة أيام متواليات، ذهب في الجود بها كل مذهب،
فبلغ ما أعطاه من العين سبعمائة ألف أحمر، غير ما وهب من الخيول، والخلع، وغيرها،

وفرق في يوم واحد ألف ثوب أطلس، واجتمع في خزانته ما لم يسمع أنه اجتمع في غيره من
الأكاسرة، قال الشيخ جمال الدين أبو الحسن علي بن أبي المنصور ابن ظافر بن حسين
الأزدي، صاحب كتاب الدول المنقطعة: صح عند جميع الناس أن الجوهر الذي اجتمع
عنده كان وزنه ألفا وثلاثين رجلا، قال: وكان لسنجر مماليك اختصهم بالمحبة، فكان يشتري
أحدهم بما قام في نفسه، ويهواه ويسعده حتى إذا بقل عذاره، سلاه وجفاه، وطرده، أو
قتله؛ فمنهم سنقر الخاص، كان لصيرفي اشتراه السلطان بألف ومائتي دولار ركنية،
وتشريف، فبلغ مبلغا عظيما؛ حكى عنه عبد العزيز صاحب خزائنه عن غرامه بسنقر
هذا، قال، استدعاني السلطان، وقال لي: أنت تعلم أن سنقر الخاص حدقتي، التي أنظر بها،
وقلبي الذي أفهم به، وهذه خزائني تحت يدك وحمول غزنة، وخوارزم قد وصلت، واريد أن
تصير له سرادقا كسرادقي، وخيلا مثل خيلي، وتشتري له ألف مملوك يمشون في ركابه،
وتحل إقطاع من تراه، وتضيفه إليه، وتعمل له خزانه كخزانتي، وأريده يكون صاحب عشرة
آلاف فارس، وحثني على ذلك، فشرعت في ترتيبه، وكلته ما نقلته من الخزائن ومن الجواهر
والثياب، وغير ذلك، وأخبرت السلطان به فسره، وشكرني عليه، وفوض إلي أمر خزانته،
مضافا إلى الخزانة، ولم يمض سنيات حتى احضر عذاره فسلاه السلطان، وتمادى هو في
بسطه، وأساءت على أكابر الأمراء، فتهدده، فلم يلتفت، فأمر الأمراء بقتاه إذا دخل عليه،
فقتلوه بالسيوف.
وممن بلغ عنده مبلغا لم يبلغه أحد قبله، الأمر المغترب اختيار الدين جوهر التاجي الخادم،
كان خادما لوالدة السلطان سنجر، فلما توفيت في شوال سنة عشر وخمسمائة انتقل إليه،
فشغف به، وغلب حبه عليه، وارتفع إلى حد لم يرتفع إليه غيره، وبلغت عدة عسكره
ثلاثين ألف فارس، وكان أمره لا يرد، وإذا ركب مشى الأمراء في ركابه، وإذا جلس وقفوا،
حتى يأذن لهم، وأعطاه الري، ثم مله بعد ذلك، وكرهه، ودس عليه بعض الباطنية، فقتله
غيلة.

قال: ولما مات السلطان سنجر انقطع استبداد السلجقية بمملكة خراسان واستولى عليها
خوارزم شاه أتسزبن محمد، على ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخباره.
وزراؤه: العميد أبو الفتح بن أبي الليث إلى أن قتل في يوم عاشوراء سنة خمسمائة،
واستوزر بعده ولده صدر الدين محمد إلى أن قتل ببلخ، في الثالث والعشرين من ذي الحجة
سنة إحدى عشرة وخمسمائة. قتله قليماز مملوك السلطان، الذي كان يهواه، فقتله به،
واستوزر أبا جعفر محمد بن فخر الملك أبي المظفر بن الوزير نظام الملك، ثم قتله كما
قدمناه، واستوزر بعده الوزير شهاب الإسلام عبد الدوام ابن إسحاق، أخي نظام الملك، إلى
أن توفي بسرخس، في يوم الخميس سابع المحرم سنة خمس عشرة وخمسمائة، واستوزر بعده
الوزير بغاي الكاشغري، فأحسن التدبير، وكان أعور، فصرفه في نصف صفر سنة ثمان
عشرة، واستوزر بعده معين الدين مختص القاشاني، فقتله الباطنية، في تاسع عشر صفر
سنة إحدى وعشرين، فاستوزر نصير الدين أبا القاسم محمود بن أبي توبة المروزي، وكان
من افضل الوزراء، وأجملهم سيرة، وأحسنهم طريقة، وأغزرهم أدبا وعلما، وكثر أيامه أهل
العلم والأدب، وصرف في سنة ست وعشرين، واستوزر الوزير القوام أبا القاسم الدزكزيني،
واستمر في وزارته إلى أن توفي، في ذي الحجة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة.
قال: ولما حضرت السلطان سنجر الوفاة استخلف على خراسان الملك محمود بن محمد
بغراجان، وهو ابن أخت السلطان، ولم يكن من السلجقية، وإنما هو من أولاد الملوك
الخانية، فأقام بها خائفا من الغز، وبقيت خراسان على هذا الاختلاف، إلى سنة أربع
وخمسين وخمسمائة، ثم راسله الغز، وسألوه أن يملكوه عليهم، فالتحق بهم، ثم خلع في
جمادى الآخرة سنة ست وخمسين، وسمل، وإنما أوردنا اسمه ها هنا، على سبيل
الاستطراد؛ ولأن سنجر عهد إليه بالملك بعده.
انتهت أخبار الدولة السلجقية بخراسان وما يليها، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع
والمآب.

السلطان مغيث الدين
هو أبو القاسم محمود بن محمد طبر بن ملكشاه، جلس على تخت السلطنة في النصف
من ذي الحجة، سنة إحدى عشرة وخمسمائة، كما قدمنا ذكر ذلك قي أخبار أبيه
السلطان محمد، ثم خطب له بالسلطنة ببغداد بعد وفاة أبيه على عادة الملوك السلجقية،
في يوم الجمعة ثالث عشر المحرم سنة اثنتي عشرة وخمسمائة، في خلافة المستظهر بالله، ودبر
دولته الوزير الربيب أبو منصور.
ولما ولى السلطان مغيث الدين عزل بهروز عن شحنكيه، بغداد، وولى أقسنقر البرسقي،
- وكان بالرحية - في إقطاعه، فسار إلى السلطان محمد قبل وفاته يسأله الزيادة في إقطاعه،
فبلغه وفاته قبل وصوله إلى بغداد، وأرسل مجاهد الدين بهروز يمنعه من دخول بغداد،
فسار إلى السلطان محمود فلقيه توقيع السلطان بولاية شحنكية بغداد وهو بحلوان، فلما
ولى هرب بهروز إلى تكريت وكانت له.
ثم ولى السلطان شنكحية بغداد للأمير منكبرس، وهو من أكابر الأمراء، فسير إليها ربيبه
الأمير حسين بن أرديل، أحمد أمراء الأتراك لينوب عنه. فلما فارق باب همذان اتصل به
جماعة من الأمراء البلخية، فلما بلغ البرسقي ذلك خاطب الخليفة المستظهر بالله أن يأمره
بالتوقف عن العبور إلى بغداد إلى أن يكاتب السلطان، فأرسل إليه الخليفة في ذلك، فأجابه:
إن رسم الخليفة بالعود عدت، وإلا فلابد من الدخول إلى بغداد.
فجمع البرسقي أصحابه
وسار إليه والتقوا واقتتلوا، فقتل أخ للأمير حسين وانهزم هو ومن معه، وعادوا إلى عسكر
السلطان، وذلك في شهر ربيع الأول من السنة.
قال: وكان الأمير دبيس بن صدقة عند السلطان محمد منذ قتل والده، فلما توفي السلطان
خاطب السلطان محمود في العودة إلى بلدة الحلة، فأذن له فعاد إليها، فاجتمع له خلق كثير
من العرب والأكراد وغيرهم.
مسير الملك مسعود ابن السلطان
محمد وجيوش بك وما كان بينهما وبين البرسقي والأمير دبيس بن صدقة
قال: وفي جمادى الأولى سنة اثنتى عشرة وخمسمائة برز اقسنقر البرسقي، ونزل بأسفل

الرقة في عسكره، ومن انضاف إليه، وأظهر أنه على قصد الحلة وإخراج الأمير دبيس بن
صدقة عنها، وجمع جموعاً كثيرة من العرب والأكراد وفرق الأموال الكثيرة والسلاح. وكان
الملك مسعود بن السلطان محمد بالموصل عند أتابكه الأمير جيوش بك كما ذكرناه في
أخبار السلطان محمد، فأشار عليهما جماعة بقصد العراق، وقالوا لامانع دونه، فسارا في
جيوش كثيرة، ومع الملك مسعود وزيره فخر الملك أبو علي بن عمار صاحب طرابلس،
وقسيم الدولة اقسنقر جد نور الدين الشهيد ومعهم صاحب سنجار، وصاحب أربل،
وكرباوى بن خراسان التركماني صاحب البوازيج.
فلما علم البرسقي بقربهم خافهم، وتجهز لقتالهم عندما قربوا من بغداد، فسار إليهم
ليقاتلهم، فأرسل إليه الأمير كرباوي في الصلح، وأعلمه أنهم إنما جاؤوا نجدة له على دبيس،
فاصطلحوا وتعاهدوا. ووصل الملك مسعود إلى بغداد، ونزل بدار الملكة، فأتاهم الخبر
بوصول الأميرعماد الدين منكبرس المقدم ذكره في جيش كبير، فسار البرسقي عن بغداد
ليحاربه ويمنعه من دخولها، فلما علم منكبرس بذلك قصد النعمانية واجتمع هو والأمير
دبيس ابن صدقة واتفقا على المعاضدة والتناصر وقوى كل منهما بصاحبه. فلما اجتمعا
سار الملك مسعود والبرسقي وجيوش بك ومن معهم إلى المدائن للقاء تدبيس ومنكبرس،
فأتتهم الأخبار بكثرة جمعهما، فعاد البرسقى والملك مسعود وعبرا نهر صرصر، وحفظا
المخائض عليه، ونهب الطائفتان السواد نهبا فاحشا، واستباحوا النساء، فأرسل الخليفة
المسترشد بالله - وكان قد بويع له بعد وفاة أبيه - إلى الملك مسعود وإلى البرسقي ينكر
ذلك، ويأمرهم بحقن الدماء، وترك الفساد، والموادعة والمصالحة. فأنكر البرسقي أن يكون
ذلك قد وقع، وأجاب إلى العود إلى بغداد، وعاد، ووقع الصلح والاتفاق بينهما. وكان
سبب الاتفاق أن جيوش بك كتب إلى السلطان محمود يطلب الزيادة للملك مسعود ولنفسه،
فوصل كتاب الرسول يذكر أنه لقي من السلطان إحسانا كثيرا، وأنه أقطعها أذربيجان. فوقع

الكتاب إلى منكبرس، فأرسله إلى جيوش بك، وضمن له إصلاح السلطان محمود له وللملك
مسعود. وكان منكبرس متزوجا بأم الملك مسعود واسمها سرجهان، فعند ذلك تفرق عن
البر سقي من كان معه، وبطل ما كان يحدث به نفسه من التغلب على العراق بغير أمر
السلطان والتحق بخدمة الملك مسعود، واستقر منكبرس في شحنكية بغداد، وعاد الملك
مسعود وجيوش بك إلى الموصل وعاد دبيس إلى الحله.
واستقر منكبرس ببغداد، وأخذ في الظلم والعشق والمصادرات، فاختفى أرباب الأموال،
وانتقل جماعة إلى حريم الخلافة خوفا منه، وكثر فساد أصحابه، حتى أن بعض أهل بغداد
تزوج بامرأة فلما زفت إليه أتاه بعض أصحاب منكبرس وكسر بابه وجرح الزوج عدة
جراحات، وابتنى بالمرأة. فكثر الدعاء على منكبرس وأصحابه واستغاث الناس وأغلقوا
الأسواق. فبلغ السلطان ذلك فاستدعاه إليه وحثه على اللحاق به ، وسار إلى السلطان ،
وظهر من كان قد استتر من الناس.
عصيان الملك طغزل على أخيه السلطان محمود .
كان الملك طغرل لما توفى والده بقلعة من سرجهان. وكان والده قد أقطعه ساوه وآوه
وزنجان في سنة أربع وخمسمائة: وعمره إذ ذاك سنة، فإن مولده كان في سنة ثلاث
وخمسمائة.
وجعل السلطان أتابكة الأمير شيركير، ففتح عدة من قلاع الاسماعيلية في سنة خمس
وخمسمائة، منها قلعة كلام وقلعة بيرة وغيرهما. فازداد ملك طغرل بما فتحه أتابكه
شيركير، فأرسل السلطان محمود الأمير كندغدي ليكون أتابكا لأخيه الملك طغرل ومدبرا
لأمره، وأمره بحمله إليه.
فلما وصل إليه حسن له مخالفة أخيه ونزع يده من طاعته، فوافقه على ذلك، فسمع
السلطان الخبر، فأرسل شرف الدين أنو شروان بن خالد، ومعه خلع وتحف وثلاثين ألف
دينار، ووعد أخاه باقطاع كثير زيادة على ما بيده إن هو قصده واجتمع به، فلم يجب إلى
الاجتماع به، وقال كندغدي: نحن في طاعة السلطان، وأي جهة أراد قصدناها، ومعنا من

العساكر مانقاوم بهم من أمرنا بقصده. فبينما هم في ذلك إذ ركب السلطان محمود من باب
همذان في عشرة آلاف فارس جريدة، وذلك في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة،
وكتم مقصده، وعزم على أن يكبس أخاه طغرل والأمير كندغدى. فرأى أحد خواص
السلطان تركيا من أصحاب الملك طغرل، فأعلم السلطان به، فقبض عليه. وكان معه
رفيق سلم، وسار عشرين فرسخا في ليلة، ووصل إلى الأمير كندغدي وهو سكران،
فأيقظه بعد جهد، وأعلمه بالخبر، فقام كندغدي لوقته وأخذ الملك طغرل وسار به مختفيا،
وقصد قلعة سميران، فضلا عن الطريق إلى قلعة سرجاهان، وكان ضلالهما سبباً
لسلامتهما، فإن السلطان جعل طريقه على قلعة سميران، فسلما منه بما ظناه عطباً.
ووصل السلطان إلى عسكر أخيه فكبسه ونهب مافيه وأخذ من خزانة أخيه ثلثمائة ألف
دينار. وأقام السلطان بزنجان وتوجه منها إلى الري ونزل طغرل من قاعة سرجاهان، ولحق
هو وكندغدي، بكنجة، وقصده أصحابه فقويت شوكته وتمكنت الوحشية بينهما.
وفي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة كانت الحرب بين السلطان سنجر شاه عليه وقطعت
خطبته من بغداد وخطب لسنجر شاه وبين السلطان محمود، وكان الظفر لعمه سنجر شاه،
ثم اتفقا وحضر السلطان محمود إلى خدمة عمه فأكرمه وأحسن إليه وجعله ولي عهده كما
قدمناه في أخبار السلطان سنجر.
قال: وأقطعه عمه سنجر شاه من حد خراسان إلى الداروم بأقصى الشام، وهي من
الممالك: همذان، وأصفهان، وبلد الجبال جميعها، وديار مضر، وبلاد فارس، وكرمان
وخوزستان والعراق، وأذربيجان، وأرمينية، وديار بكر، وبلاد الموصل، والجزيرة، وديار
ربيعة، وما بين هذه من الممالك.
قال القاضي عماد الدين بن الأثير في تاريخه: ورأيت منشوره بذلك، وليس ابن الأثير هذا
هو الجزري صاحب التاريخ المترجم بالكامل بل هو صاحب ديوان الإنشاء بالديار المصرية
وهو الذي عاصرناه.
مقتل الأمير منكبرس

ومنكبرس هو الذي كان شحنة بغداد الذي قدمنا ذكره، وكان مقتله في سنة ثلاث عشرة
وخمسمائة، وكان سبب قتله أنه لما انهزم السلطان محمود من عمه، عاد إلى بغداد، فنهب
عدة مواضع من طريق خراسان، وقصد دخول بغداد، فسير دبيس بن صدقة من منعه،
فعاد وقد استقر الصلح بين السلطان وعمه، فدخل إلى السلطان سنجر ومعه سيف وكفن،
فقال له: أنا لاأؤاخذ أحداً وسلمه إلى السلطان محمود وقال له: هذا مملوكك، اصنع به ما
تريد فأخذه، وكان في نفسه منه أشياء: منها أنه لما توفي السلطان محمد أخذ سريته والدة
الملك مسعود قهراً قبل انقضاء عدتها، ومنها استبداده بالأمور دونه، ومسيره إلى شحنكية
العراق والسلطان كاره لذلك، ومافعله ببغداد. فقتله صبرا وأراح الناس من شره والله
أعلم.

مقتل الأمير علي بن عمر

وفيها أيضاً قتل الأمير علي بن عمر. حاجب السلطان محمد، وكان قد صار أكبر
الأمراء، وانقادت له العساكر، فحسده الأمراء وأفسدوا حاله مع السلطان محمود وحسنوا
له قتله. فعلم بذلك فهرب إلى قلعة برجين - وهي بين بروجرد وكرج - وكان بها أهله
وماله، وسار منها في مائتي فارس إلى خوزستان، وكانت بيد أقبوري بن برسق وابني أخويه
أرغلي بن يلبكي وهندو بن زنكي. فأرسل إليهم وأخذ عهودهم بأمانة وحمايته. فلما
سار إليهم أرسلوا عسكراً منعوه من قصدهم، ولقوه على ستة فراسخ من تستر فانهزم هو
وأصحابه ووقف به فرسه، فانتقل إلى غيره، فنشب ذيله بسرجه الأول فأزاله ثم عاود
التعلق فأبطأ فأدركوه وأسروه وكاتبوا السلطان محمود في أمره، فأمرهم بقتله فقتلوه.

ذكر عصيان الملك مسعود على أخيه السلطان محمود والحرب بينهما والصلح

وفي سنة أربعة عشرة وخمسماية في شهر ربيع الأول كان المصاف بين السلطان محمود
وأخيه مسعود. وكان لمسعود الموصل وأذربيجان. وكان سبب هذه الحرب أن دبيس بن
صدقة كان يكاتب جيوش بك أتابك الملك مسعود، ويحثه على طلب السلطنة. وكان

مقصد أن يقع الاختلاف بينهما، فينال من الجاه وعلو المنزلة ما ناله أبوه بإختلاف السلطان
محمد وبركباروق. وكان اقسنقر البرسقي مع الملك مسعود منذ فارق شحنكية بغداد،
وأقطعه الملك مسعود مراغذ مضافة إلى الر حبة. وكان بينه وبين دبيس عداوة
مستحكمة فكاتب دبيس جيوش بك يشير عليه بالقبض على البرسقي، فعلم البرسقي
بذلك، ففارقهم إلى السلطان محمود، فأكرمه وأعلا محله وزاده.
واتصل الأستاذ أبو اسماعيل الحسين بن علي الأصبهاني الطغراني بالملك مسعود.
باستوزره مسعود بعد أن عزل أبا علي بن عمار، فحسن له أيضاً مخالفة السلطان، والخروج
عن طاعته، فبلغ السلطان محمود الخبر فكتب إليهم يحذرهم من مخالفته، ويعدهم الإحسان
إن قاموا على الطاعة، فلم يصغوا إلى قوله وأظهروا ما كانوا أضمروه، وخطبوا للملك
مسعود بالسلطة، وضربوا له النوب الخمس، وكان ذلك على تفرق عساكر السلطان محمود،
فقوي طمعهم وأسرعوا إليه ليلقوه وهو في قلة من العسكر. واجتمع إليه نحو خمسة عشر
ألف فارس.
فسار السلطان إليهم فالتقوا عند عقبة استراباد نصف شهر ربيع الأول، واقتتلوا نهاراً
كاملاً والبرسقي في مقدمة عسكر السلطان محمود وأبلى يومئذ بلاء حسناً. فانهزم عسكر
الملك مسعود في آخر النهار، وأسر جماعة كبيرة من أعيان أصحابه وأسر الوزير، فأمر
السلطان بقتله وقال: ثبت عندي فساد نيته وكان حسن الكتابة والشعر، وله تصانيف في
صنعة الكيميا ضيعت للناس من الأموال مالا يحصى كثرة.
قال: ولما انهزم أصحاب الملك مسعود وتفرقوا، قصد جبلاً بينه وبين المصاف اثني عشر
فرسخاً، واختفى فيه بألفي فارس، وأرسل إلى أخيه يطلب منه الأمان، فرق له وأجابه إلى
ما طلب، وأمر أقسنقر البخاري بالمسير إليه وإعلامه بعفو السلطان وبسط أمله.
ولما كتب إلى أخيه في طلب الأمان وصل إليه بعد ذلك بعض الأمراء، وحسن له المسير
إلى الموصل، ومكاتبة تدبيس بن صدقة، والاتفاق معه، ومعاودة طلب السلطنة، فسار من

ذلك الموضع ووصل أقسنقر البخاري فلم يجده فسار في أثره وجد السير، فأدركه على
ثلاثين فرسخاً من مكانه ذلك، فاجتمع به وعرفه عفو أخيه عنه، وضمن له ما أراد،
وأعاده إلى العسكر، فأمر السلطان العساكر باستقباله وتعظيمه، ففعلوا ذلك. وأمر
السلطان بإنزاله عند والدته وجلس له وأحضره، واعتنقا وبكيا، وانعطف عليه السلطان
محمود، ووفى له، وخلطه بنفسه في جميع أحواله، فعد الناس ذلك من مكارم السلطان
محمود. وكانت الخطبة لمسعود بالسلطنة بأذربيجان والجزيرة والموصل ثمانية وعشرين يوماً.
وأما أتابكة جيوش بك فإنه سار إلى عقبة استر أباد، وانتظر الملك مسعود فلم يره، فلما
أيس منه سار إلى الموصل، ونزل يظاهرها وجمع الغلات من السواد إليها، واجتمع إليه
عسكره فلما بلغه ماكان من أمر الملك مسعود وأخيه، سار إلى السلطان وهو بهمذان
ودخل إليه فأمنه.
وأما الأمير دبيس بن صدقة، فإنه نهب البلاد وخربها وفعل الأفعال القبيحة، فأمنه
السلطان، والله أعلم.
ذكر طاعة الملك طغرل لأخيه السلطان محمود
قال: كان دخول الملك طغرل في طاعة أخيه السلطان محمود في المحرم سنة ست عشرة
وخمسماية، وكان قد قصد أذربيجان في سنة أربع عشرة. وكان أتابكه كندغدي يحسن له
ويقويه عليه، فاتفقت وفاته في شوال سنة خمس عشرة وكان الأمير اقسنقر صاحب مراغة
عند السلطان ببغداد، فاستأذن السلطان في المضي إلى إقطاعه فأذن له، فلما سار عن
السلطان ظن أنه يقوم مقام كندغدي عند الملك طغرل ويتنزل منزلته، فسار إليه واجتمع به،
وأشار عليه بمكاشفة أخيه، وقال له: إذا وصلت إلى مراغة، اتصل بك عشرة آلاف فارس
وراجل فسار طغرل معه، فلما وصلا إلى اردبيل، أغلقت أبوابها دونهما، فسارا عنها إلى
قرية تبريز، فأتاهما الخبر أن السلطان محمود سير الأمير جيوش بك إلى أذربيجان، وأقطعه
البلاد، وأنه نزل على مراغة في عسكر كثيف، فعدلا إلى خويه وانتقض عليهما مما كانا فيه،

وراسلا الأمير شيران - الذي كان أتابك طغرل - أيام أبيه يدعوانه إلى إنجادهما. وكان
باقطاعه أبهر وزنجان، فأجابهما واتصل بهما، وساروا إلى أبهر فلم يتم لهم ما أرادوه فعند
ذلك راسلوا السلطان بالطاعة وسألوا الأمان، فأجابهما إلى ذلك، واستقرت القاعدة، وتم
الصلح.
ذكر قتل الوزير السميرمي
وفي سلخ صفر سنة ست عشرة وخمسمائة قتل الوزير كمال الدين أبو طالب السميرمي
وزير السلطان محمود وكان قد برز مع السلطان ليسير إلى همذان، فدخل إلى الحمام وخرج
وبين يديه الرجالة والخيالة، وهو في موكب عظيم، فاجتاز بمنفذ ضيق فيه حظائر الشوك
فتقدم أصحابه لضيق المكان، فوثب عليه باطني، وضربه بسكين فوقعت في بغلته، وهرب
الضارب إلى دجلة، وتبعه الغلمان فخلا الموضع، فظهر رجل آخر فضربه بسكين في
خاصرته، وجذبه عن البغل إلى الأرض، وضربه عدة ضربات وعاد أصحاب الوزير فحمل
عليهم رجلان باطنيان، فانهزموا منهما ثم عادوا وقد ذبح الوزير مثل الشاة، وبه نيف
وثلاثون، جراحة فقتلوا قتلته.
قال: ولما كان في الحمام أخذ المنجمون له الطالع للخروج فقالوا: هذا وقت جيد، وإن
تأخرت يفوت طالع السعد فأسرع وركب وأراد أن يأكل طعاماً فمنعوه لأجل الطالع، فقتل ولم
ينفعه ذلك. وكانت وزارته ثلاث سنين وعشرة أشهر، وانتهب ماله، وأخذ السلطان
خزانته. وكانت زوجته قد خرجت في هذا اليوم في موكب كبير ومعها نحو مائة جارية
وجمع من الخدم، والجميع بمراكب الذهب..فلما سمعن بقتله عدن حافيات حاسرات، وقد
تبدلن عن العز هوانا، وعن المسرة أحزاناً.
وكان السميرمي ظالماً كثير المصادرات للناس، سيء السيرة، فلما قتل أطلق السلطان ما
كان جدده من المكوس، واستوزر بعده شمس الملك عثمان بن نظام الملك.
ذكر قتل الأمير جيوش بك
كان مقتله في شهر رمضان سنة ست عشرة وخمسمائة. وكان السلطان قدمه بعد عوده

إليه، وأحسن إليه، وأقطعه أذربيجان، وجعله مقدم عسكره، فجرى بينه وبين الأمراء
منافرة ومنازعة، فوشوا به عند السلطان فقتله. وكان عادلاً، حسن السيرة.
وفيها أقطع السلطان محمود الأمير اقسنقر البرسقي مدينة واسط وأعمالها، مضافة إلى
ولاية الموصل وشحنكية العراق، فسير البرسقي إلى واسط عماد الدين زنكي.
ذكر ظفر السلطان محمود بالكرج
وفي سنة سبع عشرة وخمسمائة اشتدت نكاية الكرج في بلاد الإسلام، ونظم الأمر على
الناس، لاسيما أهل دربند شروان. فسار منهم جماعة كثيرة من أعيانهم إلى السلطان،
وشكوا إليه ذلك، فسار إليهم وقد وصل الكرج إلى شماخى فنزل السلطان ببستان هناك،
وتقدم الكرج إليه، فخافهم العسكر خوفاً شديداً، وأشار الوزير على السلطان بالعود. فلما
سمع أهل شران بذلك، قصدوا السلطان وقالوا: نحن نقاتل مادمت عندنا وإن تأخرت
ضعفت نفوس المسلمين وهلكوا فأقام بمكانه، وبات العسكر على وجل عظيم، فأتاهم الله
بفرج من عنده، وألقى بين الكرج والقفجاق الاختلاف، فاقتتلوا تلك الليلة، ورحلوا شبه
المنهزمين، وكفى الله المؤمنين القتال. وأقام السلطان بشروان ثم عاد إلى همذان.
وفي سنة ثمان عشرة وخمسمائة عزل أق سنقر البر سقي عن شحنكية العراق ورسم له
بالعود إلى الموصل، وأرسل السلطان محمود إليه ولداً صغيراً له مع أمه ليكون عنده. فلما
وصل الصغير إلى العراق تلقته المواكب، وكان لدخوله يوماً مشهوداً. وتسلم البر سقي
الصغير وسار به وبأمه إلى الموصل. وولى شحنكية العراق سعد الدولة برنقش وملك البر
سقي في هذه السنة مدينة حلب وقلعتها.
ذكر وصول الملك ودبيس بن صدقة إلى العراق وعودهما
كان الخليفة المسترشد بالله خرج لقتال دبيس بن صدقة في سنة سبع عشرة وخمسمائة،
وقاتله، فانهزم دبيس كما ذكرناه في أخبار المسترشد، ثم التحق بعد هزيمته بالملك طغرل
أخي السلطان محمود. فلما وصل إليه أكرمه وأحسن إليه، وجعله من أعيان خواصه

وأمرائه. فحسن له دبيس قصد العراق، وهون الأمر عليه، وضمن له أن يملكه، فسار معه
إلى العراق في سنة تسع عشرة وخمسمائة فوصلوا إلى دقوقاء في عساكر كثيرة. فكتب
مجاهد الدين بهروز من تكريت يخبر الخليفة بذلك، فخرج الخليفة في العساكر والرجال ونزل
بصحراء الشماسية، وبرنقش أمامه.
فلما بلغ الملك طغرل الخبر، عدل إلى طريق خراسان، وتفرق أصحابه للنهب وتوجه هو
ودبيس إلى الهارونية، وسار الخليفة حتى أتى الدسكرة فاستقر الأمر بين طغرل ودبيس أن
يسيرا حتى يعبرا نهر ديالى ويطعا جسر النهروان ويقيم دبيس لحفظ المخايض، ويتقدم الملك
طغرل إلى بغداد فيملكها وينهبها.
فسارا على ذلك فحصل لطغرل حمى شديدة منعته من ذلك، وبلغ الخليفة الخبر، فعاد إلى
بغداد. وانتقض على طغرل ودبيس مادبراه، فقصدا السلطان سنجر واجتازا قي طريقهما
بهمذان، فبسط على أهلها مالا كثيراً وأخذاه، فبلغ خبرهما السلطان محمود فجد السير في
إثرهما، فانهزما منه إلى خرسان، واجتمعا بالسلطان سنجر، وشكيا من الخليفة، وبرنقش،
وأقاما عند السلطان سنجر؛ ثم كان من أمرهما مانذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر مقتل البرسقي وملك ابنه عز الدين مسعود

وفي سنة عشرين وخمسمائة قتل اقسنقر البرسقي صاحب الموصل بمدينة الموصل، قتله
الباطنية في يوم الجمعة بالجامع. وكان من عادته أنه يصلي الجمعة في الجامع مع العوام. وكان
قد رأى في منامه في تلك الليلة أن عدة من الكلاب ثاروا به، فقتل بعضهم ونال منه الباقي
ما أذاه، فقص ذلك على أصحابه فأشاروا عليه بترك الخروج من داره عدة أيام، فقال:
لاأترك الجمعة لشيء أبداً فغلبوه على رأيه ومنعوه من قصد الجمعة، فعزم على ذلك، وأخذ
المصحف ليقرأ فيه، فأول ما خرج له قوله تعالى: وكان أمر الله قدراً مقدوراً فركب إلى
الجامع على عادته. وكان يصلي في الصف الأول، فوثب عليه بضعة عشر نفساً، عدة
الكلاب التي رآها، فجرحوه بالسكاكين، فجرح هو، بيده ثلاثة منهم، وقتل رحمه الله تعالى.

وكان تركيا خيراً، يحب أهل العلم والدين، كثير العدل يحافظ على الصلوات لأوقاتها،
ويصلي بالليل تهجدا. ولما قتل كان ابنه مسعود بحلب يحفظها من الفرنج، فأرسل إليه
أصحاب والده بالخبر فسار إلى الموصل، ودخلها في أول ذي الحجة، ثم توجه إلى السلطان
محمود فأحسن إليه وأعاده. وفي هذه السنة وقع الاختلاف بين السلطان محمود والخليفة
المسترشد بالله.
وكان سببه برنقش، فسار السلطان إلى العراق، وكان بينه وبين الخليفة ما قدمناه في أخبار
المسترشد بالله، ثم اتفقا على مال حمله الخليفة إليه.
وفي سنة إحدى وعشرين وخمسمائة أسند السلطان شحنكية العراق إلى عماد الدين
زنكي على ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخباره.
وفيها في عاشر شهر ربيع الآخر سار السلطان محمود من بغداد وحمل إليه الخليفة الخلع
والدواب الكثيرة، فقبل جميع ذلك، ولما أبعد عن بغداد قبض على وزيره أبي القاسم علي
بن الناصر النسا بادي في شهر رجب لأنه اتهمه بممالأة المسترشد بالله، وأرسل إلى بغداد
وأحضر شرف الدين أنو شران بن خالد، فوصل إلى السلطان وهو بإصفهان، وعاد عليه
الوزارة واستوزره، فاستمر عشرة أشهر وعزل نفسه، وعاد إلى بغداد في شعبان سنة اثنتين
وعشرين، فأعيد الوزير أبو القاسم.
وفي سنة إحدى وعشرين توفي عز الدين مسعود بن البرسقي أمير الموصل فأقام السلطان
مقامه عماد الدين زنكي.
وفي سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة قدم السلطان سنجر عم السلطان محمود إلى الري،
واستدعى السلطان محمود فسار إليه فأكرمه وأجلسه معه على التخت، ولما عاد سنجر
إلى خرسان سلم دبيس بن صدفة إلى السلطان محمود إلى همذان، ودبيس في صحبته. ثم
سار إلى العراق، وقدم بغداد في المحرم سنة ثلاث وعشرين، ودبيس معه ليصلح حاله مع
الخليفة المسترشد بالله. فامتنع الخليفة ممن إجابة السلطان إلى ولاية دبيس ابن صدقة
البتة، فلم يمكن السلطان إجباره وأقام ببغداد إلى رابع جمادى الآخرة من السنة، وعاد إلى

همذان، وجعل بهروز على شحنكية بغداد، وسلم إليه الحلة واستصحب دبيس بن
صدقة معه.
ذكر ما فعله دبيس بن صدقة وما كان من أمره
قال: ولما سار السلطان محمود من بغداد إلى همذان ماتت زوجته ابنة عمه السلطان
سنجر، وكانت تعتني بأمر دبيس. فلما ماتت انحل نظامه. واتفق أن السلطان مرض مرضاً
شديداً، فأخذ دبيس ابناً له صغيراً وقصد العراق، فلما بلغ المسترشد خبره، جند
الأجناد وحشد وجمع. وكان بهروز بالحلة ففارقها ودخلها دبيس في شهر رمضان سنة
ثلاث وعشرين وخمسمائة. فلما بلغ السلطان الخبر أحضر الأميرين نيزك والأحمديلي وقال:
أنتما ضمنتما مني دبيس بن صدقة وأريده منكما.
فسارالاحمديلي إلى العراق فاتصل خبره
بدبيس، فكتب إلى الخليفة يستعطفه ويقول: إن رضيت عني فأنا أريد أضعاف مما أخذت،
وأكون العبد المملوك، وترددت الرسائل بينهما، ودبيس في خلال ذلك يجمع الرجال والأموال،
وكان معه ثلثمائة فارس فصار في عشرة آلاف فارس. ووصل الأحمديلي بغداد في شوال،
وسار إلى دبيس، وسار السلطان بعد ذلك إلى العراق، فأرسل إليه دبيس هدايا جليلة
وبذل ثلثمائة حصان منعولة بالذهب ومائتي ألف دينار إن رضي عنه السلطان والخليفة،
فلم يجبه إلى ذلك. فسار إلى البصرة وأخذ منها أموالاً كثيرة، فسير الخليفة في إثره عشرة
آلاف فارس ففارق البصرة ودخل البرية، ثم سار إلى الشام في سنة خمس وعشرين ليملك
صرخد، وكان صاحبها قد توفي، واستولت جاريته على القلعة وما فيها، فاستدعت دبيس
بن صدقة ليتزوج بها، ويملك القلعة. فسار إليها فضل عن الطريق، فنزل بناس من كلب
كانوا بنواحي الغوطة، فأخذوه وحملوه إلى تاج الملوك صاحب دمشق، فحبسه عنده،
فسمع أتابك زنكي خبره، فأرسل إليه يطلبه منه ويتهدده إن لم يرسله إليه، فأرسله إليه،
فأحسن إليه زنكي إحساناً لم يسمع بمثله، وكان قد ظن أنه يهلكه فأقام عنده وانحدر معه
إلى العراق والله أعلم.

وفي سنة أربع وعشرين وخمسمائة خرج الملك مسعود بن محمد من خراسان وكان عند
عمه السلطان سنجر ووصل إلى ساوة، فسار السلطان من بغداد إلى همذان، وفي ظنه أن
مسعود يخالفه على عادته. فلما وصل إلى كرمان وصل إليه أخوه الملك مسعود وخدمه،
فأقطعه كنجة وأعمالها.
ذكر وفاة السلطان محمود وشيء من أخباره وملك ابنه داود
كانت وفاته بهمذان في شوال سنة خمس وعشرين وخمسمائة وكان له من العمر نحو سبع
وعشرين سنة، وكنت مدة سلطنته ثلاث عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرين يوماً وكان
حليماً كريماً عاقلاً، يسمع ما يكره فلا يعاقب عليه مع القدرة، قليل الطمع في أموال الناس،
عفيفاً عنها، كافاً لأصحابه عن الظلم والتطرق إلى أموال رعيته.
ونقل بعض المؤرخين أن الأموال ضاقت في آخر أيامه حتى عجزوا في بعض الأيام عن إقامة
وظيفة الفقاعي،
فدفعوا له بعض صناديق الخزانة فباعها وصرف ثمنها في حاجته. ولما توفى والد السلطان
محمد خلف ثمانية آلاف ألف دينار، سوى المصوغات والجواهر وأصناف الثياب وغير
ذلك، فآل الأمر في أيام محمود إلى هذه الغاية. قال: وطلب يوماً من سأبور الخادم الخازن
غالية، فشكا إليه الإقلال واستمهله. ثم أحضر إليه بعد مدة ثلاثين مثقالاً، فقال له
السلطان وكان خازن أبيه: كم كان في خزانة السلطان والدي من الغالية؟ فقال: كان في
قلعة أصفهان منها في أواني الذهب والفضة والبلور المحكم والصيني ما يقارب مائة وثمانين
رطلاً، ومعنا في خزانة الصحبة ما يقارب ثلاثين رطلاً فجعل يتعجب من ذلك ويقول لمن
حضر: اعجبوا من التفاوت بين هذه الأيام وتلك.
وكان له من الأولاد. محمد شاه ولي السلطنة، وملكاه وليها أيضاً، وجفري شاه، وداود
ووزراؤه ربيب الدولة أبو منصور وزير والده. ثم نظام الدين كمال الملك أبو طالب علي بن
أحمد السميرمي، صفى أمير المؤمنين إلى أن قتل كما ذكرناه. واستوزره بعده شمس الدين
عثمان بن نظام الملك إلى أن قتله في سنة سبع عشرة وخمسمائة. واستوزر الوزير القوام أبا

القاسم علي بن الناصر النساباذي، وقبض عليه في شهر رجب سنة عشرين. واستوزر
شرف الدين أنو شروان بن خالد، ثم استعفى من الوزارة وأعيد الوزير أبو القاسم.
قال: ولما توفي السلطان محمود جلس ابنه داود في السلطنة باتفاق من الوزير أبي القاسم،
وأتابكه اقسنقر الأحمديلي، وخطب له في جميع بلاد الجبل وأذربيجان. ولما اطمأن الناس
وسكنوا سار الوزير بأمواله إلى الري ليأمن بها حيث هي للسلطان سنجر. وكان سبب
خوفه أنه قبل وفاة السلطان محمود خاف من جماعة من الأمراء وأعيان الدولة منهم: عين
الدولة أبو نصر أحمد بن حامد المستوفي، والأمير أنوشتكين المعروف بشير كير. وولده عمر
وهو أمير حاجب، فقبض عليهم. فأما عين الدولة فإنه أرسله إلى مجاهد الدين بهروز
فحبسه بتكريت، ثم قتل بها، وأما شيركير وولده فقتلهما في جمادى الآخرة.
ذكرأخبار السلطان غيا الدنيا والدين أبي الفتح مسعود بن ملكشاه وما كان من أمره،
وخروجه من السلطنة وسلطنة أخيه السلطان طغرل وعوده إليها.
وقد رأيت من قدم أخبار السلطان طغرل على أخبار أخيه السلطان مسعود ثم ذكر
سلطنة مسعود بعدها، وليس كذلك لأن السلطان طغرل ما تسلطن إلا بعد حرب السلطان
مسعود وعمه السلطان سنجر، ومسعود لم يحارب عمه سنجر بعد أن خطب له بالسلطنة
فتعين بهذا أن السلطان مسعود تقدمه في السلطنة وقد بدأت بأخبار السلطان مسعود
وجعلت أخبار السلطان تغزل مندمجة في أخبار السلطان مسعود وبينتها بالتراجم الدالة
عليها لأن السلطان مسعود تسلطن قبله وعاش بعده.
ذكر ما اتفق للسلطان مسعود مع أخيه الملك سلجق شاه وداود بن محمود واستقرار
السلطنة بالعراق لمسعود.
قال ابن الأثير الجزري في تاريخه المترجم بالكامل: لم توفى السلطان محمود بن محمد،
وخطب لولده الملك داود ببلاد الجبل أذربيجان سار الملك داود من همذان في ذي القعدة
سنة خمس وعشرين وخمسمائة إلى زنكان، فأتاه الخبر بمسير عمه. السلطان مسعود من

جرجان، وأنه وصل إلى تبرير واستولى عليها. فسار الملك داود إليه، وحصره بها وجرى
بينهما قتال إلى سلخ المحرم سنة ست وعشرين، ثم اصطلحا وتأخر الملك داود مرحلة،
وخرج السلطان مسعود من تبرير، واجتمعت عليه العساكر وسار إلى همذان وكانت رسل
الملك داود تقدمت إلى بغداد في طلب الخطبة، فأجاب المسترشد بالله إن الحكم في
الخطبة للسلطان سنجر، فمن أراد خطب له. وأرسل الخليفة إلى السلطان سنجر أن لا
يأذن في الخطبة لأحد، وأنه ينبغي أن تكون الخطبة له وحده دون أخيه، فوقع ذلك منه
موقعا حسنا. ثم إن السلطان مسعود كاتب عماد الدين أتابك زنكي صاحب الموصل
وغيرها يستنجده ويطلب مساعدته فوعده بالنصر، فقويت نفسه بذلك على طلب
السلطنة.
قال: ثم إن السلطان سلجق شاه بن محمد سار به أتابكة قراجاً الساقي صاحب بلاد
فارس وخوزستان في عسكر كثير إلى بغداد، فوصل إليها قبل وصول أخيه السلطان
مسعود، ونزل بدار السلطنة، فأكرمه الخليفة واستخلفه لنفسه. ثم وصل رسول السلطان
يطلب الخطبة لنفسه. ويتهدد إن منعها، فلم يجبه المسترشد إلى ما طلب، فسار حتى نزل
عباسية الخالص. فبرز عسكر الخليفة وعسكر سلجق شاه قراجاً الساقي نحو مسعود،
وقد عزموا على حربه، فأتاهم الخبر بوصول عماد الدين زنكي إلى المعشوق، فعبر قراجاً
الساقي في أكثر العساكر إلى الجانب الغربي وسار في يوم وليلة إلى المعشوق، والتقى هو
وزنكي فهزمه الساقي وأسر جماعة من أصحابه، وانهزم زنكي إلى تكريت، وسار إلى
الموصل.
قال: وسار السلطان مسعود من العباسية المالكية، وحصلت المناوشة بين عسكره
وعسكر أخيه سلجق شاه ودامت يومين، فأرسل سلجق شاه إلى قراجاً يستحثه في العود،
فعاد مسرعاً. فلما علم مسعود بهزيمة زنكي رجع إلى ورائه، وأرسل إلى الخليفة يعرفه
وصول السلطان سنجر إلى الري، وأنه عازم على قصد الخليفة وغيره، ويقول: إن رأيتم أن

نتفق على قتاله ودفعه عن العراق ويكون العراق لوكيل الخليفة فأنا موافق على ذلك.
زترددت الرسائل بينهم، فوقع الاتفاق على أن يكون العراق لوكيل الخليفة، والسلطنة لمسعود
وسلجق شاه ولي عهده، وتحالفوا على ذلك. ودخل السلطان مسعود بغداد ونزل بدار
السلطنة ونزل سلجق شاه بدلر الشحنكية، وذلك في جمادى الأول سنة ست وعشرين
وخمسمائة.
ذكر الحرب بين السلطان مسعود وعمه السلطان سنجر شاه وهزيمة مسعود وسلطنة
طغرل
قال: ولما وصل الخبر بوفاة السلطان محمود إلى عمه السلطان سنجر شاه، سار عن
خراسان إلى بلاد الجبال، ومعه الملك طغرل ابن السلطان محمد، وكان قد لازمه، فوصلا
إلى الري ثم إلى همذان، فاتصل الخبر المسترشد بالله والسلطان مسعود ومن معه، فاتفقوا
على قتاله وأن يكون الخليفة معهم. فتجهز الخليفة وتقدم السلطان مسعود وسلجق شاه
وقراجاً الساقي، وساروا لقتال السلطان سنجر شاه،وتأخر الخليفة فأرسل إليه قراجاً
وألزمه بالخروج، وقال: إن الذي تخافه من سنجر آجلاً أنا أفعله عاجلاً فبرز حينئذ وسار
حتى بلغ خانقين وأقام بها، وقطعت خطبة سنجر من العراق جميعه. ووصلت الأخبار
بوصول عماد الدين زنكي ودبيس بن صدقة إلى قرب بغداد. فأما دبيس فذكر أن
السلطان سنجر أقطعه الحلة وأرسل إلى الخليفة يستعطفه ويسأله الرضى عنه فامتنع من
إجابته. وأما زنكي فإنه ذبكر أن سنجر أعطاه شحنكسة العراق. فعاد المسترشد إلى
بغداد، وأمر أهلها بالاستعداد، وجند بها أجناداً وسار إلى السلطان مسعود، فلقيتهم
عساكر سنجر وهو في مائة ألف، منهم خوارزم شاه اتسز بن محمد والتقوا عند الدينور.
وكان مسعود يدافع الحرب وينتظر وصول الخليفة، فلما نازله السلطان سنجر لم يجد بداً من
المصاف، فوقعت الحرب،وقامت على ساق، فحمل قراجاً الساقي على القلب في عشرة
آلاف فارس من شجعان العسكر، فجاء خوارزم شاه والملك طغرل وصاروا من وراء ظهر

قراجاً الساقي وصار هو في الوسط، فقاتل إلى أن جرح عدة جراحات، وقتل كثير من
أصحابه وأسر هو فانهزم السلطان مسعود، وذلك في ثامن شهر رجب سنة ست وعشرين
وخمسمائة.
قال: ولما تمت الهزيمة على مسعود، نزل السلطان سنجر وأحضر قراجاً الساقي وسبه
ووبخه وقال له: يامفسد، أي شيء كنت ترجو بقتالي. قال: كنت أرجو أن أقتلك وأقيم
سلطاناً أحكم عليه. فقتله صبراً، وأرسل إلى السلطان مسعود يستدعيه، فحضر إليه
فأكرمه، وعاتبه على عصيانه ومخالفته وأعاده إلى كنجة.
وأجلس الملك طغرل ابن أخيه
محمد في السلطنة، وخطب له في جميع البلاد، واستوزر له الوزير: أبا القاسم النساباذي
وزير السلطان محمود، وعاد إلى خراسان.
ذكر الحرب بين السلطان طغرل بن محمد وبين أخيه الملك داود بن محمود
قال: لما توجه السلطان سنجر إلى خراسان عصى الملك داود بن محمود على عمه
السلطان طغرل، وجمع العساكر، وسار إلى همذان في مستهل شهر رمضان سنة ست
وعشرين وخمسمائة. فخرج إليه السلطان طغرل، وعبى كل منهما أصحابه، والتقوا فوقع
الخلف في عسكر داود، فهرب أتابكة أق سنقر الأحمديلي، وتبعه الناس، وبقي الملك داود
متحيراً إلى أوائل ذي الحجة منها فقدم بغداد هو وأتابكة الأحمديلي.
ذكر عود السلطان مسعود بن محمد إلى السلطنة وانهزام طغرل
قال: لما سمع السلطان مسعود انهزام داود، وأنه قصد بغداد، سار هو أيضاً إلى بغداد في
سنة سبع وعشرين وخمسمائة. فلما قاربها لقيه داود ودخل في خدمته إلى بغداد، ونزل
بدار السلطنة في صفر، وخاطب في الخطبة، فأجيب إلى ذلك، وخطب له ولداود بعده.
ودخلا إلى الخليفة فأكرمهما وخلع على مسعود في يوم الأحد لخمس خلون من شهر ربيع
الأول من السنة. وكانت الخلع سبع دراريع مختلفات الأجناس والألوان والسابعة سوداء،
وتاجاً مرصعاً بالجواهر والياقوت، وطوق ذهب وسراويل، وقلده بسيفين وعقد له لواءين

بيده، وسلم إليه داود بن أخيه وأوصاه به مشافهة. ووقع الاتفاق على مسير مسعود
وداود إلى أذربيجان، وأرسل الخليفة معهما عسكراً فساروا.
وملك مسعود سائر بلاد أذربيجان، وهرب من بها من الأمراء مثل قراسنقر وغيره،
وتحصن كثير منهم بمدينة أردبيل، فقصدهم مسعود وحصرهم بها وقتل منهم مقتلة
عظيمة، وانهزم الباقون. ثم سار بعد ذلك إلى همذان لمحاربة أخيه الملك طغرل فاستولى
عليها في شعبان. ولما استقر بها قتل اقسنقر الأحمديلي، قتله الباطنية.وسار طغرل حتى
بلغ قم، ثم عاد إلى أصفهان وأراد أن يتحصن بها، فسار إليه مسعود ليحاصره بها فرحل
طغرل إلى بلاد فارس. واستولى مسعود على أصفهان، وفرح أهلها به، ثم سار منها نحو
فارس، فوصل إلى موضع بقرب البيضا، فاستأُمن إليه أمير من أمراء أخيه طغرل معه
أربعماية فارس، فأمنه فخاف طغرل من عسكره أن يلتحقوا بأخيه، فانهزم وقصد الري.
قال: ولما تم على طغرل ماتم من الهزيمة، قال لوزيره أبي القاسم النساباذي: قد علمت أنه
ما تم علي هذا الخذلان إلا لظلمك للعباد فقال له: لاتقلق، قد أمرت أهل الموت بقتل اقسنقر
وسائر أعدائك وهم فاعلون فأمر به فضرب وصلب، فانقطع به الحبل، فقطع إرباً إرباً،
وطيف بأعضائه في كل بلد عضو، وكان قتله بأصفهان.
واستمر طغرل حتى أتى الري في ثلاثة آلاف فارس، وسار الملك مسعود في طلبه فلحقه
بموضع يقال له ذكراور، فوقع بينهما مصاف هناك، فانهزم طغرل ووقع عسكره في أرض قد
نضب عنها الماء، وهي وحل، فأسر منهم جماعة فأطلقهم مسعود، ولم يقتل في هذا
المصاف إلا نفر يسير. وكان هذا المصاف في ثامن عشر شهر رجب سنة سبع وعشرين
وخمسمائة، ورجع الملك مسعود إلى همذان.
ذكر عود الملك طغرل إلى الجبل وانهزام السلطان مسعود
وفي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة عاد الملك طغرل إلى بلاد الجبل فملكها؛ وسبب ذلك
أن السلطان مسعود لما عاد من حربه، بلغه عصيان داود ابن أخيه بأذربيجان، فسار إليه
وحصره بقلعة روندر. واشتغل بحصره، فجمع الملك طغرل العساكر، واستمال بعض أمراء

السلطان مسعود ، وتقدم لفتح البلاد وفتحها أولاً فأولاً، وكثرت عساكره، فقصد مسعود.
فلما قارب قزوين سار مسعود نحوه، ولما تدانا العسكران انهزم السلطان مسعود وذلك في
أواخر شعبان من السنة، فأرسل إلى الخليفة المسترشد بالله في القدرم إلى بغداد فأذن له.
وكان نائبه بأصفهان النفيس السلاحي ومعه الملك سلجق شاه، فلما سمعا بانهزام مسعود
قصدا بغداد فنزل سلجق شاه بدار السلطان فأكرمه الخليفة وأنفذ إليه عشرة آلاف دينار،
ثم قدم مسعود إلى بغداد، وأكثر أصحابه على الجمال لعدم الخيل، فأرسل إليه الخليفة
مايحتاج إليه من الخيل والخيام والسلاح والثياب وغير ذلك، ونزل بدار السلطنة، وذلك في
منتصف شوال من السنة. وأقام طغرل بهمذان فعاجلته المنية.
وفاة الملك طغرل
وملك أخيه السلطان مسعود بلد الجبل
كانت وفاته بهمذان في المحرم سنة تسع وعشرين وخمسمائة ومولده في المحرم سنة ثلاث
وخمسمائة. وكان عاقلاً خيراً عادلاً، محسناً إلى الرعية قريباً منهم. وكان قبل وفاته قد
خرج يريد السفر لقتال أخيه مسعود، فدعا له الناس فقال: ادعو لخيرنا للمسلمين، وكان له
من الأولاد أرسلان شاه، ولي السلطنة، ومحمد ألب أرسلان لم يلها. وزراؤه: الوزير قوام
الدين النساباذي وزير السطان محمود إلى أن قتله، ثم استوزر شرف الدين علي بن رجا.
قال: ولما توفي وصل الخبر بموته أخيه السلطان مسعود، فسار من وقته نحو همذان، وأقبلت
العساكر إليه ودخلت في طاعته، واستقل بالسلطنة بعده.
وفي هذه السنة وقع بين الخليفة المسترشد بالله والسلطان مسعود، والتقوا واقتتلوا،
فانهزمت عساكر الخليفة ثم قتل على ما قدمناه في أخبار الدولة العباسية.
قتل الأمير دبيس بن صدقة
وفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة قتل السلطان مسعود الأمير دبيس بن صدقة وهو على
باب سرادقة بظاهر مدينة خوى. أمر غلاماً أرمنياً بقتله، فقام على رأسه وهو ينكت
الأرض بإصبعه فضرب عنقه وهو لايشعر. وكان صدقة يعادي المسترشد كما ذكرناه، فلما

قتل المسترشد ظن صدقة أن الدنيا قد صفت له، فما لبث بعده، وهذه عادة الدنيا يتبع
صفاها كدرها، وجودها ضررها كما قيل.
إن الليالي لم تحسن إلى أحد إلا أساءت إليه بعد إحسان
قال: ولما قتل دبيس كان ابنه صدقة بالحلة، فاجتمع إليه مماليك أبيه وأصحابه وكثر جمعه،
وبقي بها إلى أن قدم السلطان بغداد في سنة إحدى وثلاثين، فقصده وأصلح حاله معه،
ولزم بابه
ذكر اجتماع الأطراف على حرب السلطان مسعود وخروجهم عن طاعته
وفي سنة ثلاثين وخمسمائة اجتمع كثيراً من أصحاب الأطراف على الخروج عن طاعة
السلطان مسعود. فسار الملك داود ابن أخي السلطان في عسكر أذربيجان إلى بغداد،
فوصل إليها في رابع صفر ونزل بدار السلطنة. ووصل بعده عماد الدين زنكي صاحب
الموصل، ووصل الأمير برنقش بازدا صاحب قزوين وغيرها؛ والنفيس الكبير صاحب
أصفهان وصدقة بن دبيس صاحب الحلة وغيرهم. فجعل الملك داود في شحنكية بغداد
برنقش بازدار، وقطعت خطبة السلطان مسعود وخطب لداود، فسار السلطان مسعود
إلى بغداد، فتفرقت تلك الجيوش وسار الخليفة وزنكي إلى الموصل وخلع الراشد، وبويع
المقتضي على ما قدمنا ذكره في أخبار الدولة العباسية.
وفي سنة ثلاثين وخمسمائة عزل السلطان وزيره شرف الدين أنو شروان بن خالد واستوزر
كمال الدين أبا البركات بن سلمة الدركزيني وهو من خراسان.
وفيها أرسل السلطان قراسنقر بعساكر كثيرة في طلب الملك داود، فسار وأدركه عند
مراغة، فالتقيا واقتتلا قتالاً شديداً، فانهزم داود إلى خوزستان، فاجتمع عليه هناك كثير
من التركمان وغيرهم، فبلغت عدتهم عشرة آلاف فارس، فقصد بهم تستر وحاصرها.
وكان عمه السلطان سلجق شاه ابن السلطان محمد بواسط، فأرسل إلى أخيه السلطان
مسعود يستنجده ويستمده، فأمد بالعساكر، فسار إلى داود وهو يحاصر تستر، فالتقوا
فانهزم سجلق شاه.
وفي سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة أذن السلطان مسعود للعساكر التي عنده ببغداد في

العود إلى بلادهم، وذلك في المحرم منها. وسبب ذلك أنه بلغه أن الراشد بالله المخلوع فارق
الموصل. قال: وزوج ابنته للأمير صدقة بن دبيس بن صدقة، وتزوج الخليفة المقتفى بفاطمة
أخت السلطان فاطمأن السلطان عند ذلك وفرق العساكر.
ذكر الحرب بين السلطان مسعود والملك داود ومن معه من الأمراء
وفي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة كانت الحرب بينهم، وسبب ذلك أن الراشد بالله المخلوع
فارق الموصل وسار نحو أذربيجان فوصل إلى مراغة. وكان الملك داود بن محمود والأمير
منكبرس صاحب فارس والأمير بوزابه نائبه بخوزستان، والأمير عبد الرحمن طغايرك على
خوف ووجل من السلطان. فتجمعوا كلهم ووافقوا الراشد على الاجتماع معه ليكونوا يداً
واحدة ويردوه إلى الخلافة فأجابهم إلى ذلك، إلا أنه لم يجتمع معهم. ووصل الخبر إلى
السلطان وهو ببغداد، فسارعنها في شعبان، والتقوا واقتتلوا، فانهزم الملك داود، وأسر
الأمير منكبرس فقتل صبرا بين يدي السلطان وتفرقت عساكر السلطان مسعود في النهب
واتباع من انهزم، وكان بوزابة وعبد الرحمن طغايرك على نشز من الأرض، فرأيا السلطان
وقد تفرقت عساكره، فحملا عليه، فلم يثبت لهما وانهزم، وقبض بوزابة على جماعة من
الأمراء منهم صدقة بن دبيس صاحب الحلة وأتابك قراسنقر صاحب أذربيجان وعنتر بن
أبي العساكر، وتركهم عنده. فلما بلغه قتل صاحبه منكبرس قتلهم جميعاً وصار
العسكران مهزومين، وهذا من عجيب الاتفاق.
وقصد السلطان مسعود أ ذربيجان وقصد الملك داود همذان، ووصل إليها الراشد بعد
الوقعة واختلفت آراء الجماعة، فمنهم من يقول: نقصد بغداد ونملكها، ومنهم من يقول: بل
نتبع مسعود، فإذا فرغنا منه هان ما بعده وكان بوزابة أكبر الجماعة فرأى أن يتوجه إلى
بلاد فارس ليملكها بعد صاحبها منكبرس، فسار إليها وملكها، وصارت بيده مع
خوزستان. وسار سلجق شاه إلى بغداد ليملكها فمنعه من بها، وقاتله شحنتها. قال:
ولما قتل الأمير صدقة أقر السلطان الحلة على أخيه محمد بن دبيس، جعل معه مهلهل ابن

أبي العشائر، وهو أخو عنتر المقتول، ليدبر أمره.
ذكر قتل الوزير الدركزيني ووزارة ابن الخازن وزير قراسنقر
وفي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة قبض السلطان مسعود على وزيره كمال الدين أبي
البركات بن سلمة الدركزيني، وكان شهماً شجاعاً عادلاً نافذ الحكم حسن السيرة، أزال
المكوس ورفع المظالم. وكان يقيم مؤنة السلطان ووظائفه وجمع له خزانة وكشف أشياء من
الخانات كانت مستورة، فثقل أمره على المتصرفين وأرباب الأعمال، فأوقعوا بينه وبين
الأمراء. وكان أشدهم عليه قرا سنقر صاحب أذربيجان، فإنه فارق السلطان وأرسل إليه
يقول: أما أن تنفذ برأس الوزير إلي وإلا خدمنا سلطاناً آخر فأشار الأمراء بقتله، فقتله على
كره منه، وأرسل برأسه إلى قرا سنقر، فرضى وكانت وزارته سبعة أشهر، واستوزر
السلطان مسعود بعده أبا العز طاهر بن محمد البروجردي وزير قراسنقر، ولقب عز الملك.
وضاقت الأمور على السلطان، فاستقطع البلاد على غير رضاه، ولم يبق له غير اسم
السلطنة.
وفيها توفيت زبيدة خاتون زوجة السلطان مسعود، وهي ابنة السلطان بركياروق، فتزوج
مسعود بعدها سفري ابنة دبيس بن صدقة في جمادى الأولى وتزوج أيضاً ابنة قاروت،
وهو من البيت السلجقي.
وفيها أيضاً قتل السلطان مسعود ابن البقش السلاحي شحنة بغداد لظلمه وعسفه للناس،
وجعل شحنة العراق مجاهد الدين بهروز، فأحسن السيرة.
وفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة قدم السلطان مسعود إلى بغداد في فصل الشتاء، وصار
يشتو بالعراق ويصيف بالجبال. ولما قدمها أزال المكوس وكتب الألواح بإزالتها، ووضعت
على أبواب الجوامع وفي الأسواق. وتقدم إلى الجند أن لا ينزل أحد منهم في دار عامي إلا
من أذن له، فكثر الدعاء له والثناء عليه.
وفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة قبض السلطان على وزيره البروجردي، واستوزر بعده
المرزبان أبا عبد الله بن بصر الأصفهاني وسلم إليه البروجردي، فاستخرج منه الأموال،
ومات مقبوضاً عليه.

ذكر اتفاق بوزابة وعباس على الخروج عن طاعة السلطان مسعود
وفي سنة أربعين وخمسمائة سار بوابة صاحب فارس وخوزستان في عساكره إلى قاشان،
ومعه الملك محمد ابن السلطان محمود، واتصل بهم الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد،
واجتمع بوزابة والأمير عباس صاحب الري، واتفقا على الخروج عن طاعة السلطان وملكاً
كثيراً من بلاده. فأتاه الخبر وهو ببغداد ومعه الأمير عبد الرحمن طغايرك - وهو الحاكم في
دولته - وكان ميله إليهما. فسار السلطان عن بغداد في شهر رمضان. فلما تقابل
أتعسكران ولم يبق إلا القتال، لحق سليمان شاه بأخيه السلطان مسعود، وشرع عبد
الرحمن في تقرير الصلح علة القاعدة التي أرادوها. وأضيف إلى عبد الرحمن ولاية
أذربيجان وارانية على ما بيده، وصار أبو الفتح بن دارست وزير السلطان مسعود، وهو
وزير بوزاية وصار السلطان معهم تحت الحجر.
ذكر قتل عبد الرحمن طغايرك وعباس صاحب الري
وفي سنة إحدى وأربعين وخمسمائة قتل السلطان مسعود الأمير عبد الرحمن طغايرك أمير
حاجب دولته والحاكم عليها، وكان لم يبق للسلطان معه غير الاسم، وكان سبب قتله أنه
لما ضيق على السلطان وحجز عليه واستبد بالأمر دونه وأبعد خواصه عنه، فكان ممن
أبعد عنه بك أرسلان المعروف بخاص بك، وكان السلطان قد رباه وقربه فأبعده عنه
وحجبه، وصار لايراه. وكان في خاص بك عقل وتدبير وجودة قريحة، فاستقر بينه وبين
السلطان قتل عبد الرحمن. فاستدعى خاص بك من يثق به وتحدث معهم، فكلهم خاف
الإقدام عليه إلا رجل اسمه زنكي - وكان جان دارا - فإنه بذل من نفسه أن يلقاه ويبدأه
بالقتل، ووافق خاص بك على ذلك جماعة من الأمراء فبينما عبد الرحمن في موكبه بظاهر
جنزه، إذ ضربه زنكي الجان دار على رأسه بمقرعة حديد كانت في يده، فسقط إلى الأرض
وأجهز عليه خاص بك، وأعانه جماعة ممن كان واطأه من الأمراء.
وبلغ السلطان الخبر وهو ببغداد، ومعه الأمير عباس صاحب الري وعسكره أكثر من

عسكر السلطان، فأنكر الأمير عباس ذلك وتألم له، فداراه السلطان ولطف به، ثم استدعاه
في بعض الأيام. فلما عبر إليه، منع أصحابه من الدخول وعدل به إلى حجرة، وقيل له:
اخلع الزردية، وكان لا يزال يلبسها، فقال: إن لي مع السلطان أيماناً وعهوداً، فلكموه وخرج
عليه غلمان أعدوا له، فتشاهد وخلع الكردية وألقاها فضربوه بالسيوف، واجتزوا رأسه،
وألقوه إلى أصحابه، ثم ألقوا جسده ونهبت خيامه. وكان مقتله في ذي القعدة. وكان من
غلمان السلطان محمود حسن السيرة ودفن بالجانب الغربي ثم أرسلت ابنته وحملته إلى
الري ودفنته هناك.
قال ابن الأثير اجزري في تاريخه الكامل: ومن الاتفاق العجيب أن العبادى كان يعظ يوماً
فحضره عباس فأسمع العباد بعض من حضر المجلس، ورمى بنفسه نحو الأمير عباس،
فضربه أصحابه خوفاً عليه، لأنه كان شديد الاحتراس من الباطنية، لأفارق لبس الزردية
ومعه الغلمان الأجلاد؛ فقال له العبادي: يا أمير كم ذا الاحتراز، والله لئن قضى عليك بأمر
لتحلن أنت بيدك أزرار الزردية، فينفذ القضاء فيك، فكان كما قال.
كان السلطان قد استوزر ابن دارست وزير بوزابة كارهاً، فلما كان الآن استعفى وسأل
العزل والعود إلى صاحبه فعزله وقرر معه أن يصلح له بوابة ويزيل ما عنده من الاستشعار
بسبب قتل عبد الرحمن وعباس.
وفيها حبس السلطان مسعود أخاه سليمان شاه بقلعة تكريت، والله أعلم.
ذكر قتل الأمير بوازية
اتصل بالأمير بوابة قتل عباس جمع عساكر فارس وخوزستان وسار إلى أصفهان فحصرها
وسير عسكرا آخر إلى همذان، وعسكراً ثالثاً إلى قلعة الباهلي ثم سار هو عن أصفهان
وراسل السلطان مسعود في الصلح فلم يجبه؛ وسار مجداً فالتقيا بمرج قراتكين واقتتل
العسكران، فانهزمت ميمنة السلطان وميسرته واقتتل القلبان أشد قتال وأعظمه، وصبر
الفريقان فسقط بوزابه عن فرسه بسهم أصابه. وقيل بل كبا به فرسه فأخذ أسيراً، وحمل

إلى السلطان فقتل بين يديه، وانهزم أصحابه، وبلغت هزيمة ميمنة السلطان وميسرته إلى
همذان. وقال من الفريقين خلق كثير. وكانت هذه الحرب من أعظم الحروب الكائنة بين
الأعاجم وكانت في سنة اثنتين وأربعين والله أعلم.
ذكر الخلف بين السلطان وجماعة من الأمراء ووصولهم إلى بغداد وماكان منهم
وفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة فارق السلطان مسعود جماعة من الأمراء الأكابر وهم:
أيلدكز المسعودي صاحب كنجية وأرانية، وتبر الحاجب، وطرنطاي المحمودي شحنة
واسط، وابن طغايرك وغيرهم. وكان سبب ذلك ميل السلطان إلى خاص بك، واطرحه
لهم فخافوا أن يفعل بهم كما فعل بعبد الرحمن وعباس وبوزابة، ففارقوه وساروا نحو
العراق. فلما بلغوا حلوان خاف الناس ببغداد وأعمال العراق، وغلت الأسعار وأرسل
الخليفة إليهم العبادي الواعظ فلم يرجعوا، ووصلوا إلى بغداد في شهر ربيع الآخر، ومعهم
الملك محمد ابن السلطان محمود، فنزلوا بالجانب الشرقي.
ووقع القتال بين الأمراء وعامة بغداد ومن بها من العسكر عدة توقعات، فانهزم الأمراء من
العامة في بعض الأيام خديعة ومكراً، فلما تبعوهم عطفوا عليهم وقتلوهم، فأصيب أهل
بغداد بما لم يصابوا بمثله وتفرق العسكر بالمحال الغربية، وأخذوا من أهلها الأموال الكثيرة
ونهبوا بلد دجيل وغيره، وأخذوا النساء والولدان ثم اجتمع الأمراء ونزلوا مقابل التاج
وقبلوا الأرض أمام الخليفة المقتفى، وترددت الرسائل بينهم وبين الخليفة إلى آخر النهار،
وعادوا إلى خيامهم ثم تفرقوا وفارقوا العراق.
هذا كله والسلطان ببلد الجبل، والرسل بينه وبين عمه سنجر تتردد، وكان سنجر يلومه
على تقدمه خاصبك خاص بك ويتهدده أن يزيله عن السلطنة إن لم يبعده، وهو يغالط ولا
يفعل، فسار السلطان سنجر إلى الري، وسار السلطان مسعود إلى خدمته واسترضاه
فسكن. وكان اجتماعهما في سنة أربع وأربعين وخمسمائة.
وفاة السلطان مسعود .
كانت وفاته بهمذان في شهر رجب سنة سبع وأربعين وخمسمائة ومرض بحمى حادة نحو

أسبوع ومات، ودفن بمدرسة جمال الدين إقبال الجمدار. وكان مولده في ذي القعدة سنة
اثنتين وخمسمائة فيكون عمره أربعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر، ومدة سلطنته منذ وقع
اسم السلطنة عليه إحدى وعشرين سنة وشهورا، بما في ذلك من أيام أخيه السلطان
طغرل. وكان رحمه الله حسن الأخلاق والسيرة كريماً عفيفا عن أموال الرعية من أصلح
الملوك سيرة، وألينهم عريكة. ولما مات زالت سعادة البيت السلجقى بموته، ولم يقم له بعده
قائمة، فكأنه المعنى بقول الشاعر:

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

سلطنة ملكشاه بن محمود
بن محمد طبز بن ملكشاه والقبض عليه

قال المؤرخ: كان السلطان مسعود قبل موته قد استدناه وقربه وأقره عنده وعهد إليه
بالسلطنة بعده. فلما توفى السلطان خطب الأمير خاصبك بن بلنكرى لملكشاه بلسلطنة
باتفاق الأمراء، ورتب الأمور وقررها بين يديه، وأذعنت له جميع العساكر بالطاعة. وكان
ملكشاه شريبا خميرا، لايصحوساعة واحدة، كثير الاشتغال باللهو، فاجتمعا الأمراء على
خلعه وتوليه السلطنة محمد بن
محمود فخلعوه وقبض عليه خاصبك بمرج همذان فتراخى مستحفظوه فهرب، ولم يطلب
ولاعلم له خبر فكانت مدة سلطنته شهرين أو ثلاثة. وقال ابن الأثير الجزري في تاريخه: إنه
توجه إلى أصفهان وكثرت جموعه، وكتب ألى بغداد في طلب الخطبة لنفسه، فوضع الوزير
عون الدين بن هبيرة خصاً كان خصيصاً به يقال له أغلبك الكوهزاتيني فمضى إلى بلاد
العجم واشترى جارية من قاضي همذان بألف دينار، وباعها من ملكشاه ووضعها لتسمه،
ووعدها بمواعيد كثيرة، فسمته في لحم مشوي. فمات في سنة خمس وخمسين وخمسمائة،
وجاء الطبيب فأعلم أصحابه أنه مات بسم، فقررت الجارية فأقرت. ولما مات خرج أهل
البلد أصحابه وخطبوا لسليمان شاه بن محمد والله أعلم.

سلطنة محمد بن محمود

هو أبو شجاع محمد بن محمود ابن السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان محمد جغرى بيك

داود بن ميكائيل بن سلجق. ومحمد هذا في طبقة محمود ومسعود ابني محمد طبري، وقيل
هو محمد بن محمود بن محمد طبر أخو ملكاه الذي ذكرناه آنفا.
قال: ولما قبض خاصك على ملكشاه أرسل إلى محمد وهو بخوزستان وكان عمه
السلطان سنجر قد ملكه إياها، واستدعاه ليسلطنه، وسير إليه الأمير مشيد الدين وكاتبه
الزنجاني، وكان قصد خاصبك أنه إذا حضر عنده قبض عليه وخطب لنفسه بالسلطنة.
فلما اجتمعا بمحمد حسنا له قتل خاصبك إذا استقر في السلطنة، وأخبراه أن محمداً قد
حلف له، وسار محمد من خوزستان إلى همذان في عدة يسيرة، فتلقاه خاصبك وخدمه
وأجلسه على تخت المملكة وذلك في أوائل صفر سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، وخطب له
بالسلطة، وبالغ في خدمته، وحمل إليه هدايا عظيمة جليلة المقدار.
ولما كان في اليوم الثاني أو الثالث من جلوسه، استدعى خاصبك ليشاوره فجاء إليه
ومعه زنكي الجاندار، وهما قتلة عبد الرحمن طغايرك فقتلهما جميعاً، وألقى رأسيهما إلى
أصحابهما، فتفرقوا ولم ينتطح فيها عنزان. ووجد في خزانة خاصبك ألف وسبعمائة ثوب
من الديباج لون العنابي خاصة، سوى أنواع الثياب الأطلس والمصور وغير ذلك. وطلب له
كفن فلم يقدر عليه، حتى جبى له من سوق العسكر.
قال وكان أيدغدي التركماني - المعروف بشمله - مع خاصبك لما استدعاه السلطان،
فنهاه عن الدخول إليه فلم يرجع إلى قوله، فلما قتل خاصبك مضى هو إلى خوزستان.
قال: وكان خاصبك صبياً تركمانياً، اتصل بالسلطان مسعود تقدم عنده على سائر
الأمراء.
قال: ولما قتل السلطان خاصبك أشار عليه وزيره جلال الدين ابن الوزير قوام الدين أن
يبعث برأي خاصبك إلى الأميرين صاحبي أذربيجان، ففعل. فلما وصل الرأس إليهما أكبرا
ذلك، وعزما على إخراج سليمان شاه عليه.

سلطنة سليمان شاه
بن محمد طبر بن ملكشاه

قال: لما أخرج سليمان شاه من محبسه بقزوين اتصل به الأمير مظفر الدين بن ألب أرغو أو

أخرجه معه إلى زنجان واتصل به الأمير شمس الدين ايلدكز والأمير آق سنقر بعيكريهما،
وأخذاه من زنجان ومضيا إلى همذان فأجفل منهما محمد إلى أصفهان. وجلس سليمان
شاه على سرير السلطنة بهمذان، وأخذ في الشرب واللهو فكان لا يصحو وكذلك وزيره
فخر الدين أبو طاهر القاشاني فلما رأى أيلدكز ذلك عزم على الرجوع فعاد إلى بلاده،
ورجع نصرة الدين آق سنقر يإلىٍ أعماله. ثم اجتمع الأمراء مع نصير الدين أرسلان وقرروا
أن ينتقلوا إلى مرج قراتكين ويتركوه بهمذان، ويقبضوا على وزيره. وكان مع سليمان شاه
تباتكين بن خوارزم شاه وأخوه يوسف وأختهما زوجته والغالبة على أمره، فجاءت إليه ليلاً
وهو معرس على ابنة ملك الكرج، وأخبرته باجتماع الأمراء بالمرج، واتفاقهم على القبض
عليه وعلى وزيره، فهرب بها وبأخويها ليلاً، وترك خاتون الكرجية؛ وأصبح الأمراء فما
علموا أين راح ولاكيف ذهب.
ذكر عود السلطان محمد من أصفهان إلى مقر ملكه
قال: لما فارق همذان وصل إلى أصفهان كاتب أمراء الأطراف فأتى إليه الأمير إينانج
صاحب الري فقويت به يده، واتفق رجوع أيلدكز فسار السلطان محمد إلى همذان، فدخلها
في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، واستقامت له المملكة.
وفي سنة تسع وأربعين عزم الخليفة المقتضي على قطع دعوة الترك من بغداد، وفعل
ماقدمنا ذكره في أخبار المقتفى من إخراج الشحنة مسعود البلالي الخادم منها؛ وتقوية
الخليفة لوزيره عون الدين بن هبيرة، وما أقطعه من الإقطاعات، وما حازه الخليفة من ملك
العراق من أقصى الكوفة إلى حلوان ومن تكريت إلى عبادان.
قال: ولما عاد السلطان بعد هرب سليمان شاه، راسل الخليفة في الخطبة فامتنع، واجتمع
عند السلطان الأمراء الذين انقطعت أرزاقهم من بغداد، وسألوه في الرحيل معهم إليها.
وكان يرجع إلى عقل ودين، فاستمهلهم حتى يكاتب الخليفة كرة ثانية، فامتنعوا وقالوا: نحن
نكفيك أمره فوافقهم فتأهبوا وخرجوا وعليهم مسعود البلالي الذي أخرجه الخليفة من
بغداد، وأخذوا معهم لفيفاً من التركمان، وساقوا مواشيهم وأغنامهم ليقاتلوا عليها. وكانت

تكريت قد بقيت بيد مسعود البلالي، وملكشاه بن سلجق معتقل بها وأرسلان شاه بن
طغرل، فلما احتاج هذا الجمع إلى ملك يضم شملهم اجتمعوا على إخراج أرسلان شاه بن
طغرل، فأخرجوه وركبوه ووصلوا به إلى نواحي العراق، وأرهبوا على الناس.
وخرج الخليفة بعسكره وجنوده متوشحا بالبردة، وبيده القضيب، وعلى مقدمته وزيره
عون الدين بن هبيرة. وخيم الخليفة على مرحلتين، من بغداد وتقابلا قريبا من شهر
والخليفة ينتظر البداية. فظن مسعود البلالى أنه إنما ترك البداية بالحرب خورا فبدأه، وركب
الجيشان والتقيا، وكانت وقعة عظيمة انهزم فيها الملك أرسلان بن طغرل ووصل إلى أرانية،
واستقر عند شمس الدين أيلد كز زوج أمة. وغنم الخليفة وعسكره معسكرهم وأغنام
التركمان وذراريهم والترك، وقتلوا في كل واد. وعاد الخليفة إلى بغداد في أواخر سنة تسع
وأربعين وخمسماية.
قال: ولما رجع العسكر إلى السلطان محمد عاتبهم، وقال: لقد أتيتم بعثرات لا تقال،
وأفسدتم هيبتنا عند الخليفة، وأخرجتم أرسلان بن طغرل وما حفظتموه، وقد صار عند
أيلدكز، وصار الخليفة لنا خصما. ولم يستقم للملوك السلجقية بعدها ببغداد سلطنة.
ذكر وصول سليمان شاه بن محمد طبري إلى بغداد وخروجه بالعساكر وحربه هو
والسلطان محمد وهزيمته وحصار السلطان محمد بغداد ورجوعه
وفي سنة خمسين وخمسماية وصل السلطان سليمان شاه إلى بغداد مستنجدا بالخليفة
المقتفى على السلطان محمد، فلم يلقه الوزير عون الدين بل لقيه ابنه عز الدين محمد. فلما
أخبره ابن الوزير سلام أمير المؤمنين عليه ترجل وقبل الأرض ودخل بغداد. فلما وصل إلى
باب النوبي من القصر، أنزلوه ليقبل العتبة، فقبلها وما قبلها قبله ملك سلجقي ولا ديلمي.
وأنزله الخليفة بدار السلطنة وخطب له على المنابر، ولم ينعته بالسلطان ولا بالمعظم وجهز
معه الخليفة جيشا كثيفا، واستوزر له شرف الدين الخرساني وسار سليمان شاه بالجيوش

إلى أذربيجان ثم إلى أرانية ثقة أن يخرج معه شمس الدين أيلدكز. وتحرك السلطان محمد
إليه من همذان، والتقوا، فانهزم سليمان وعاد إلى بغداد على طريق الدر بند، فقبض عليه
على كورجك، واعتقله بقلعة الموصل وذلك في شعبان سنة إحدى وخمسين وخمسمائة.
وتجهز السلطان محمد بقصد بغداد، فوصل إليها في ذي القعدة من السنة، وقد جمع الجيوش
العساكر وحاصرها، وكان الخليفة قد حصن بغداد بالمجانيق والرجال والسفن وغير ذلك،
واستمر الحصار والحرب إلى سنة اثنتين وخمسين وجرت في خلال هذه المدة وقائع كثيرة
يطول شرحها كان آخرها أنه وقع الاختلاف بين أصحاب السلطان فهزمتهم جيوش الخليفة
ونهبوا أثقالهم، ولم تفلح السلجقية بعدها مع الخلفاء.
وفاة السلطان محمد
بن محمود وما اتفق بعد وفاته
قال الشيخ جمال الدين أبو الحسن علي بن أبي المنصور ظافر ابن حسين الأزدي في أخبار
الدولة. أنه توفي في سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وقال: ولم أعرف له عقباً فأذكره وقرض
الدولة السلجقية بوفاته. وقال ابن الأثير الجزري في تاريخه الكامل أنه توفي سنة أربع
وخمسين بباب همذان، وكان مولده في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، وأنه
لما حضرته الوفاة أحضر أمواله وجواهره وخصاياه ومماليكه ونظر إليها من طيارة وبكى،
وقال: هذه العساكر والأموال والمماليك وغيرها لم تغن عني مقدار ذرة ولا يزيدون في أجلي
ذرة، وفرق من ذلك شيئاً كثيراً وكان كريماً عادلاً كثير التأني في أموره. وكان له ولد صغير
فسلمه إلى اقسنقر الأحمديلي وقال له: أنا أعلم أن العساكر لا بطيع هذا الطفل وهو وديعة
عندك فارحل به إلى بلادك، فرحل به إلى مراغة. فلما مات اختلف الأمراء فطائفة طلبوا
ملكشاه وأخاه وطائفة طلبوا سليمان شاه عمه وهم الأكثر، وطائفة طلبوا أرسلان الذي
مع ايلدكز فأما ملكشاه فإنه سار من خوزستان ومعه دكلا صاحب فارس وشملة التركماني
وغيرهما، فوصل إلى أصفهان فسلمها إليه ابن الخجندي وجمع له مالاً أنفقه عليه وأرسل

إلى العساكر بهمذان يدعوهم إلى طاعته فلم يجيبوه لعدم الاتفاق ولأن أكثرهم كان يريد
سليمان شاه.
ذكر مسير سليمان شاه بن محمد طبر إلى همذان
وفي سنة خمس وخمسين وخمسمائة سار سليمان شاه من الموصل إلى همذان وكان معتقلاً
بها كما قدمناه؛ فلما مات السلطان محمد بن محمود. أرسل أكابر الأمراء من همذان إلى
أتابك قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل في طلبه منه ليولوه السلطنة، فاستقرت
القاعدة بينهم أن سكون سليمان شاه هو السلطان وقطب الدين ودود أتابكه وجمال الدين
وزير قطب الدين وزيره؛ وتحالفوا على ذلك وجهزه قطب الدين بما يحتاج إليه من الأموال
والخيول وغير ذلك. فلما قارب بلاد الجبل أقبلت العساكر إليه أرسالا فاجتمع عسكر
عظيم فخافهم قطب الدين مودود على نفسه؛ وعاد إلى الموصل. فلما فارقه قطب الدين لم
ينتظم أمره وقبض العسكر على سليمان شاه بباب همذان في شوال سنة ست وخمسين
وخمسمائة.
سلطنة أرسلان شاه
ابن الملك طغرل ابن محمد طبر
قال: لما قبض الأمراء على سليمان شاه في شوال خطبوا لأرسلان شاه، وهو الذي كان
قد تزوج أيلدكز بأمه، ثم خطب له في سنة ثمان وخمسين بقومس وبسطام ودامغان. وذلك
أن المؤيد صاحب نيسابور فتح هذه الجهات وخطب بها لأرسلان شاه فأرسل إليه الخلع
فلبسها المؤيد؛ ودان ملك أرسلان شاه إلى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، فتوفى ولم أقف
من أخباره على شيء فأذكره. وذلك أن الدولة السلجقية كانت قد ضعفت وبقي ملوكها
يقتصرون على حفظ. ما بأيديهم دون التطلع إلى ما سواه.
ولما مات أرسلان شاه خطب
بعده لولده طغرل.
السلطان طغرل بن أرسلان
شاه ابن طغرل بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان
خطب له بالسلطنة ببلاد الجبل بعد وفاة أبيه أرسلان شاه في سنة ثلاث وسبعين
وخمسمائة، ونحن نذكر ما ظفرنا به من أخباره على سبيل التلخيص والاختصار.

ذكر الحرب بين طغرل وجيوش الخليفة الناصر لدين الله وظفره بهم

وفي سنة أربع وثمانين وخمسمائة جهز الخليفة الناصر لدين الله عسكراً كثيفاً؛ وجعل المقدم

على الجيش وزيره جلال الدين عبيد الله بن يونس، وسيرهم لمساعدة قزل على كف

السلطان طغرل عن البلاد.

فسار العسكر في ثالث صفر إلى أن قارب همذان، وخرج طغرل إليهم، والتقوا واقتتلوا في

ثامن شهر ربيع الأول عند همذان، فانهزمت عساكر بغداد ولم تثبت، وأخذ أصحابه ما

كان مع الوزير من خزانة وغيرها وعاد إلى همذان.

ذكر اعتقال طغرل وخلاصه وما كان من أمره إلى أن قتل، وانقراض الدولة السلجقية

قال واتفق أن قزل أرسلان بن أيلدكز ظفر بالسلطان طغرل واعتقله ولم اظفر بتاريخ

اعتقاله ولا كيفية فأذكره إلا أنه لم يزل في اععتقاله إلى أن مات قزل أرسلان في سنة ثمان

وثمانين وخمسمائة فخرج طغرل من حبسه بعد قزل واجتمع عليه جماعة والتقى هو

وقتلغ أينانج بن الهلوان بن أيلدكز فانهزم أينانج إلى الري وملك طغرل همذان وغيرها

فأرسل قتلغ أينابج إلى علاء الدين خوارزم شاه تكش يستنجده فسار إليه فلما تقاربا

ندم قتلغ إينانج على استدعائه خوارزم شاه وخاف على نفسه فمضى بين يديه وتحصن

في قلعة مات فوصل خوارزم شاه إلى الري وملكها وفتح قلعة طبرك فراسله فأصلحه.

مقتل السلطان طغرل

وانقراض الدولة السلجوقية

كان مقتله في الرابع والعشرين ن شهر ربيع الأول سنة تسعين وخمسمائة؛ وسبب ذلك أنه

قصد الري فأغار على من به من أصحال خوارزم شاه تكش وفر منه قتلغ اينانج بن

البهلوان، فراسل خوارزم شاه يسأله النصر مرة ثانية. واتفق وصول رسوله الخليفة إلى

خوارزم شاه يشكو تكش وفرضه قتلغ اينانج بن البهلوان فراسل خوارزم شاه يسأله

النصر مرة ثانية واتفق وصول رسول الخليفة إلى خوارزم شاه يشكو من طغرل ويطلب منه

قصد بلاده ومعه منشور بإقطاعه البلاد. فسار خوارزم شاه لقتاله. فلما سمع طغرل بذلك

كانت عساكره متفرقة فما أمهل حتى يجمعها، بل سار فيمن معه وكان يدل بشجاعته؛
فالتقى العسكران بالقرب من الري؛ فحمل طغرل بنفسه في وسط عسكر خوارزم شاه،
فأحاطوا به وألقوه عن فرسه، وقتلوه وحملوا رأسه إلى خوارزم شاه، فأنفذ الرأي إلى بغداد
فنصبها بباب النوبي. وملك خوارزم شاه جميع تلك البلاد وانقرضت الدولة السلجوقية من
العراق والجبال وخراسان، ولم يبق من البيت السلجقي إلا من هو ببلاد الروم، على ما
نذكره بعد ذكر الملوك السلجقية بالشام إن شاء الله.
وكانت مدة هذه الدولة منذ خطب لداود في شهر رجب سنة ثمان وعشرين وأربعماية؛
مائة سنة وإحدى وستين سنة وثمانية أشهر وأياماً. ومدتها بالعراق منذ خطب للسلطان
طغرل بك ببغداد في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة سبع وأربعين وأربعماية، وإلى
أن قطعت عند إخراج مسعود البلالي الشحنة من بغداد في شهور سنة تسع وأربعين
وخمسمائة؛ مائة سنة وستين. فلنذكر أخبار الملوك السلجقية بالشام.

الملوك السلجقية بالشام وحلب

وأول من ملك منهم السلطن تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان محمد بن جغربيك داود بن
ميكائيل بن سلجق وهو أخو ملكشاه وكان السلطان ملكشاه قد أقطعه الشام وما يفتحه
من تلك النواحي في سنة سبعين وأربعماية، فجاء إلى حلب وحصرها ولحق أهلها مجاعة
شديدة. وكان معه جماعة كثيرة من التركمان فأنفذ إليه الأقسيس صاحب دمشق
يستنجده على العساكر المصرية، لأنها كانت قد حاصرته بدمشق من قبل أمير الجيوش
بدار الجمالي، فسار إلى نصرة الأقسيس. فلما سمع العسكر المصري بقربه فارقوا البلد
وعادوا إلى مصر، وخرج الأقسيس يلتقيه عند سور دمشق، فاغتاظ منه تتش كونه لم
يتقدم في تلقيه، وعاتبه، فاعتذر بأمور لم يقبلها منه، فقبض عليه تتش في الوقت وقتله، وملك
دمشق وأحسن السيرة في أهلها، وعدل فيهم، وذلك في سنة إحدى وسبعين وأربعماية
وقيل في سنة اثنين وسبعين.

وفي سنة أربع وسبعين افتتح تاج الدولة تتش الطرطوس بعض الحصون الساحلية وعاد إلى
دمشق. وفي سنة تسع وسبعين وأربعماية كانت الحرب بينه وبين سليمان بن قتلمش
السلجقي صاحب الروم وإنطاكية، فهزم عسكره وقتله على ما نذكره إن شاء الله في أخبار
سليمان. وملك تتش مدينة حلب خلا القلعة، فكتب العقابي إلى السلطان ملكشاه
يستدعيه، فوصل إليها وفارقها تطش كما قدمنا ذكره.
ذكر استيلائه على حمص وغيرها من ساحل الشام
كان تاج الدولة تتش قد توجه إلى أخيه السلطان ملكشاه إلى بغداد في سنة أربع وثمانين،
وجاء إليه أيضاً زعماء الأطراف، فلما أذن لهم في العود أمر ملكشاه أقسنقر صاحب
حلب، وتوران صاحب الرها، أن يسيرا في خدمة أخيه تتش بعساكرهما إلى أن يستولي
على ما هو للمستنصر العلوي صاحب مصر بساحل الشام من البلاد؛ ويتوجها معه إلى
مصر ليملكها.
فساروا في سنة خمس وثمانين، ونزل تتش على حمص وحصرها وبها صاحبها ملاعب،
وكان الضرر به وبأولاده عظيماً على المسلمين، فحصروا البلد وضيقوا على من به وملكه
تتش، وأخذ ملاعب وولديه ثم سار قلعة عرقة، وهي بالقرب من طرابلس فملكها وملك
أفامية، ثم نازل طرابلس وبها جلال الملك بن عمار، فراسل ابن عمار اقسنقر وحمل إليه
ثلاثين ألف دينار وتحفاً بمثلها وعرض عليه المناشير التي بيده من السلطان بالبلد والتقدم إلى
النواب بتلك البلاد بمساعدته، والتحذير من محاربته فقال اقسنقر لتتش: أنا لا أقاتل من هذه
المناشير بيده ورحل من الغد، فرحل تاج الدولة وعاد بوزان إلى بلاده، والله أعلم.
ذكر ما تقوله في طلب السلطنة
قال: لما بلغ تاج الدولة تتش قدوم أخيه السلطان ملك شاه إلى بغداد توجه من دمشق إلى
خدمته، فلما وصل إلى هيت أتاه الخبر بموته، فاستولى على هيت وعاد إلى دمشق.
فتجهز لطلب السلطنة، وجمع العساكر وأخرج الأموال وسار إلى حلب وبها قسيم الدولة
اقسنقر، فصالحه قسيم الدولة وأتبعه لما علم من اختلاف أولاد صاحبه، وأرسل إلى ياغي

سيان صاحب أنطاكية وإلى بوزان صاحب الرها وحران يشير عليهما بطاعة تاج الدولة،
حتى يروا ما يكون من أولاد ملكشاه، ففعلوا ذلك وصاروا معه وخطبوا له في بلادهم.
وقصد تتش الرحبة فملكها في المحرم سنة ست وثمانين وأربعماية، ثم سار إلى نصيبين
ففتحها عنوة وقتل من أهلها خلقاً كثيراً ونهب الأموال وفعل الأفعال القبيحة، ثم سلمها إلى
الأمير محمد بن شرف الدولة العقيلي. وسار يريد الموصل، وأتاه الكافي بن فخر الدولة بن
جهير وكان بجزيرة ابن عمر فاستوزره، والتقى بإبراهيم ابن قريش بن بدران أمير بني عقيل
في شهر ربيع الأول.
وكان إبراهيم في ثلاثين ألفاً وتتش في عشرة آلاف، فاقتتلوا فانهزم ابراهيم والعرب، ثم أخذ
أسيراً وجماعة من العرب فقتلوا صبرا، ونهب أموالهم وما معهم من الخيل والإبل والأغنام
وغيرها وقتل كثير من نساء العرب أنفسهن خوفاً من السبي والفضيحة، وملك تتش بلادهم
الموصل وغيرها، واستناب بها علي بن شرف الدولة مسلم وهو ابن شرف الدولة مسلم
وهو ابن صفية عمة تتش.
ذكر ملكه ديار بكر وأذربيجان وعوده إلى الشام
قال: ثم سار تاج الدولة تتش في شهر ربيع الآخر فملك ميافارقين وسائر ديار بكر من ابن
مروان، وسار منها إلى أذربيجان. وانتهى خبره إلى ابن أخيه بركياروق وكان قد استولى
على كثير من البلاد، فسار في عسكره ليتبع عمه، فلما تقارب العسكران اجتمع قسيم
الدولة وبوزان وقالا: نحن إنما أطعنا هذا حتى ننظر ما يكون من ابن صاحبنا وقد ظهر
أمره، ففارقاه والتحقا ببركياروق فعاد تتش إلى الشام.
ذكر عود تتش إلى البلاد وملكه همذان وغيرها
قال: ولما عاد إلى الشام أخذ في جمع العساكر فكثرت جموعه وعظم جنده. فسار في
سنة سبع وثمانين وأربعماية عن دمشق نحو حلب لطلب السلطنة، فاجتمع قسيم الدولة
اقسنقر وبوزان وأمدهما السلطان ركن الدولة بركياروق بالأمير كربوقا. فالتقوا بالقرب من
تل السلطان قريب حلب واقتتلوا واشتد القتال فانهزموا، وثبت قسيم الدولة فأخذ أسيراً

وجيء به إلى تاج الدولة فقال له: ما كنت تصنع بي لو ظفرت، قال: كنت أقتلك، قال: فأنا
أحكم عليك بحكمك فقتله صبرا. وسار نحو حلب، ودخلها وأسر بوقا وبوزان وتسلم
الرها وحران. وسار إلى بلاد الجزيرة فملكها جميعها، وملك منها إلى همذان فملكها،
واستوزر فخر الملك بن نظام الملك .

ذكر انهزام بركياروق منه

قال: ولما سار تتش إلى أذربيجان كان بركياروق بنصيبين فبلغه الخبر، فسار إلى قتاله ولم
يكن معه غير ألف رجل، وعمه في خمسين ألفاً. فجهز إليه عمه بعض الأمراء فكسبه
وهزمه ونهب سواده، فسار إلى أصفهان على ما ذكرناه في أخباره وخطب للسلطان تاج
الدولة ببغداد.

ذكر قتل تاج الدولة تتش

قال: ولما هزم بركياروق سار من موضع الوقعة إلى همذان، ثم سار إلى الري وكاتب
الأمراء الذين بأصفهان يدعوهم إلى طاعته، ويبذل لهم الأموال الكثيرة. وكان بركياروق
مريضاً بالجدري، فأجابوه يعدونه أنهم ينحازون إليه، وهم ينتظرون ما يكون من صاحبهم.
فلما عوفي بركياروق أرسلوا إلى تتش أنه ليس لك عندنا إلا السيف، وخرجوا له والتقوا
بموضع قريب من الري، وقد كثرت جموع بركياروق، فانهزم أصحاب تتش وثبت هو في
القلب فقتله أصحاب قسيم الدولة بثأر صاحبهم، والله أعلم.

ذكر حال الملك رضوان وأخيه دقاق بعد قتل أبيهما تتش

قال: كان تاج الدولة تتش قد أوصى أصحابه بطاعة ابنه الملك رضوان. وكتب إليه من
بلد الجبل قبل المصاف الذي قتل فيه يأمره بالمسير إلى بغداد، وأن يقيم بدار المملكة.
فسار في عدد كثير منهم إيلغازي بن أرتق، والأمير وثاب بن محمود بن صالح ابن مرداس
وغيرهما. فلما قارب هيت جاءه الخبر بقتل أبيه، فعاد إلى حلب ومعه والدته فملكها،
وكان بها أبو القاسم بن علي الخوارزمي قد سلمها تتش إليه، وحكمه فيها وفي القلعة.
ولحق برضوان زوج أمه جناح الدولة الحسين بن إيتكين، وكان مع تتش فسلم من المعركة.
وكان مع رضوان أيضاً أخواه الصغيران أبو طالب وبهرام فكانوا كلهم مع أبي القاسم

كالأضياف لتحكمه في البلد؛ فاستمال جناح الدولة المغاربة، وكانوا أكثر أجناد القلعة.
فلما انتصف الليل نادوا بشعار الملك رضوان، واحتاطوا علي أبي القاسم، وأرسل إليه
الملك رضوان يطيب قلبه، فاعتذر فقبل عذره، وخطب لرضوان على منابر حلب
وأعمالها، وكانت الخطبة قد دامت باسم أبيه بعد قتله نحو شهرين.
وسار جناح الدولة في تدبير الدولة أحين سيرة، وخالف عليهم الأمير ياغي سيان بن محمد
بن ألب التركماني صاحب انطاكية ثم صالحهم، وأشار على الملك رضوان بقصد ديار بكر
لخلوها من وال يحفظها. فساروا جميعاً وقدم عليهم من بالأطراف الذين كان تتش قد
رتبهم فيها، وقصد واسروج، فسبقهم إليها الأمير سقمان بن أرتق فأخذها ومنعهم منها،
وأمر أهل البلد فخرجوا إلى رضوان وتظلموا من عساكره وما يفسده من غلاتهم، ويسألونه
الرحيل. فرحل عنهم إلى الرها، وكان بها رجل يقال له الفارقليط - كان يضمن البلد من
بوزان - فقاتل قتالاً شديداً ثم ملكها، وطلب ياغي سيان القلعة من رضوان فوهبها له،
فتسلمها وحصنها، فهرب رجالها وأرسل إليهم أهل حران يطلبونهم ليسلموا إليهم البلد،
فسمع ذلك قراجاً فصلب ابن الفتى وغيره ممن اتهمهم وجاء الخبر إلى رضوان وقد اختلف
جناح الدولة وياغي سيان وأضمر كل منهما لصاحبه الغدر، فهرب جناح الدولة إلى حلب
فدخلها، واجتمع بزوجته أم الملك رضوان. وسار رضوان وياغي إلى حلب، فسمع
بدخول جناح الدولة إليها، ففارق ياغي سيان الملك رضوان وسار إلى انطاكية ومعه أبو
القاسم الخوارزمي ودخل رضوان حلب.
هذا ما كان من أمر رضوان، وأما الملك دقاق بن تتش، فإنه كان قد حضر المصاف مع
أبيه، فلما قتل أبوه أخذه إيتكين الحلبي - وهو من غلمان أبيه - وسار به إلى حلب، فأقام
عند أخيه الملك رضوان. ثم راسله الأمير ساوتكين الخادم - متولي دمشق - سراً يدعوه
ليملكه دمشق؛ فهرب من حلب. فأرسل أخوه رضوان في طلبه عدة من الخدم فلم

يدركوه، وسار حتى وصل إلى دمشق ففرح به ساوتكين الخادم وأظهر البشر لوروده. فلما
صار بدمشق أرسل إليه ياغي سيان يشير عليه أن ينفرد بملك دمشق عن أخيه رضوان.
واتفق وصول معتمد الدولة طغتكين إلى دمشق ومعه جماعة من خواص تتش وعسكره
وقد سلموا من الوقعة وكان طغتكين قد أسر ثم خلص فلما وصل إلى دمشق لقيه المللك
دقاق وأرباب الدولة وبالغوا في تعظيمه وإكرامه. وكان طغتكين زوج والدة دقاق، فمال إليه
لذلك ووثق به وحكمه في بلاده. ثم اتفقا على قتل ساوتكين الخادم فقتلاه، وسار إليه ياغي
سيان من انطاكية ومعه أبو القاسم الخوارزمي فجعله وزيراً لدقاق، وحكمه في دولته،
فصارت دمشق لدقاق وحلب لرضوان.

ذكر الحرب بين الملكين رضوان وأخيه دقاق

وفي سنة تسعين وأربعماية سار الملك رضوان من حلب إلى دمشق يريد الاستيلاء عليها
وانتزاعها من أخيه دقاق. فلما قاربها رأى حصانتها وامتناعها، فعلم عجزه عنها. فسار
إلى نابلس وإلى القدس ليأخذه، فلم يمكنه ذلك وانقطعت العساكر عنه فعاد إلى حلب
ومعه ياغي سيان صاحب انطاكية وجناح الدولة وكانا قد التحقا به.
ثم فارقه ياغي سيان وقصد دقاق وحسن له محاصرة أخيه بحلب، فجمع دقاق عساكره
وسار ومعه ياغي سيان، فأرسل رضوان إلى سقمان بن ارتق وهو بسروج يستنجده، فأتاه
في خلق كثير من التركمان. فسار بهم رضوان نحو دقاق والتقيا بقنسرين، واقتتلا فانهزم
دقاق وعسكره ونهبت خيامهم وأموالهم وعاد رضوان إلى حلب.
ثم اتفقا على أن
يخطب لرضوان بدمشق وأنطاكية قبل أخيه دقاق، وقيل كان ذلك في سنة تسع وثمانين.

وفي سنة تسعين وأربعماية خطب الملك رضوان في أكثر ولايته للمستعلي بأمر الله صاحب
مصر. وسبب ذلك أن جناح الدولة كان قد فارق رضوان لتغير رآه منه، وجاء إلى حمص
وكانت له، فلما رأى ياغي سيان بعده عن رضوان صالحه، وجاء إلى حلب، ونزل
بظاهرها وكان لرضوان منجم يقال له الحكيم أبو سعد يميل إليه، فقدمه بعد مسير جناح

الدولة فحسن له مذهب العلويين. وأتته رسل المستعلى تدعوه إلى طاعته ويبذل له المال
وإنفاذ الجيوش لأخذ دمشق، فخطب له بشيزر وجميع أعمال ولايته سوى أنطاكية، وقلعة
حلب، والمعرة ، وكانت الخطبة أربع جمع. ثم حضر إليه سقمان بن أرتق وياغي سيان إلى
انطاكية فلم يقم بها غير ثلاثة أيام حتى وصل الفرنج إليها وحصروها وملكوها في سنة
إحدى وتسعين وأربعماية على مانذكره إن شاء الله تعالى في أخبار المستعلي صاحب
مصر.
ذكر ملك دقاق مدينة الرحبة.
وفي شعبان سنة ست وتسعين وأربعماية ملك الملك دقاق مدينة الرحبة، وكانت بيد
قايماز أحد مماليك السلطان ألب أرسلان، استولى عليها لما قتل كربوقا، فسار دقاق
وطغتكين أتابكه إليه وحصراه، ثم رحلا عنه. فاتفقت وفاته في صفر من هذه السنة، وقام
مقامه غلام تركى اسمه حسن، وخطب لنفسه وخاف من الملك دقاق، فاستظهر لنفسه
وأخذ جماعة من أعيان البلد وصادرهم وحبس آخرين، فسار دقاق إليه وحاصره، فسلم
العامة البلد واعتصم هو بالقلعة فأمنه دقاق وسلمها له فتسلمها وأقطعه إقطاعا كثيرا
بالشام، وقرر الرحبة وجعل فيها من يحفظها وعاد إلى دمشق.
وفاة الملك دقاق
وملك ولده ثم أخيه
كانت وفاته في شهر رمضان سبع وتسعين وأربعماية. ولما توفي خطب أتابكه طغرتكين
لولد له صغير عمره سنة واحدة، ثم قطع خطبته وخطب لبلتاش ابن تتش عم هذا الطفل
في ذي الحجة وله من العمر اثنتا عشرة سنة. ثم أشار عليه طغرتكين بقصد الرحبة فخرج
إليها وملكها، وعاد فمنعه من دخول البلد، فمضى إلى حصون له. وأعاد طغرتكين خطبة
الطفل ولد دقاق، وقيل إن والدة بلتاش خوفته من طغرتكين وقالت له: إنه زوج أم دقاق،
وهي لا تتركه حتى يقتلك ويستقيم الملك لولد ابنها، فخاف. ثم حسن له من كان يحسد
طغرتكين مفارقة دمشق وقصد بعلبك وجمع الرجال والاستنجاد بالفرنج، والعود إلى دمشق

وأخذها من طغرتكين. فخرج من دمشق سراً في سنة ثمان وتسعين وأربعماية مع صغر
سنة، ولحقه الأمير إيتكين الحلبي وهو صاحب بصرى، فعاثا في ناحية حوران ولحق بهما
من كان يريد الفساد، وراسلا بغدوين ملك الفرنج، يستنجدانه، فأجابهما إلى ذلك. فسار
إليه واجتمعا به، وقررا معه القواعد، وأقاما عنده، فلم يريا منه إلا التحريض على الإفساد
في أعمال دمشق وتخريبها. فلما يئسا من نصرته فارقاه وتوجها في البرية إلى الرحبة فملكها
بلتاش، وعاد عنها، واستقام أمر طغرتكين بدمشق، واستبد بالأمر وأحسن إلى الناس
ونشر فيهم العدل.
هذا ماكان من أمر ملوك دمشق ثم انتقل ملكها إلى طغرتكين وأولاده من بعده على ما
نذكره إن شاء الله تعالى بعد ذكرنا لملوك حلب السلجقية ومن ملكهات بعدهم إلى أن
ملكها أتابك زنكي بن اقسنقر.
ملوك حلب
قد قدمنا أن حلب ككانت بيد الملك رضوان بن تتش، فلم تزل بيده إلى أن توفي في سنة
سبع وخمسمائة. وكانت أموره غير مشكورة فإنه قتل أخويه أبا طالب وبهران وكان يستعين
في كثير من أموره بالباطنية لقلة تدبيره. فلما مات ملك بعده ابنه تاج الملوك ألب أرسلان
الأخرس، وعمره ست عشرة سنة. ولم يكن أخرس، وإنما كان في لسانه حبسه وتمتمة
وأمه بنت ياغي سيان الذي كان صاحب أنطاكية.
قال: ولما ملك باج الملوك سلك سنة أبيه في قتل إخوته فقتل أخوين له وهما شقيقة
ملكشاه، ومبارك لأبيه، واستولى على أمور دولته لؤلؤ الخادم، فلم يكن لتاج الملوك معه في
السلطنة غير اسمها، ومعناها للؤلؤ. ولم تطل مدته في الملك، فإن غلمانه قتلوه في سنة ثمان
وخمسماية، وأقاموا بعده أخاه سلطان شاه بن رضوان، فكان مع لؤلؤ كعادة أخيه.
فلماكان في سنة إحدى عشرة وخمسمائة - وقيل سنة عشر - قتل لؤلؤ المستولى على
الأمر. وكان سبب قاله أنه أراد قال سلطان شاه كمما فعل أخيه، ففطن غلمان سلطان
شاه لذلك، فبادروه بالقتل. وولى أبابكة سلطان شاه بعده شمس الخواص يارقتاش، فبقي

شهراً وعزلوه، وولى بعده أبو المعالي بن الملحي الدمشقي ثم عزلوه وصادروه. فخاف أهل
حلب من الفرنج فسلموا البلد إلى الأمير نجم الدين إيلغاري بن أرتق وانقرضت الدولة
السلجقية من حلب ، والله أعلم.
من ملك حلب بعد الدولة السلجتقية
ملكها الأمير نجم الدين ايلغازي بن أرتق باتفاق أهلها في سنة إحدى عشرة وخمسمائة،
فتسلمها. وكان له مع الفرنج وقائع كثيرة وحروب يطول شرحها. واستناب بحلب ولده
سليمان، فخالفه وعصى عليه. في سنة خمس عشرة وخمسمائة وكان عمره إذ ذاك عشر
سنين، فبلغ والده الخبر، فسار مجداً فلم يشعر إلا وقد هجم البلد وقبض على من كان
حسن لابنه العصيان، وقتلهم. وكان منهم إنسان من أهل حماة من بيت قرناص، كان
إيلغازي قد قدمه على أهل حلب وجعل إليه الرئاسة فجازاه بذلك، فقطع يديه ورجليه
وسمله فمات. وأراد قتل ولده فمنعه رقة الوالد، واستناب بحلب سليمان شاه ابن اخيه
عبد الجبار بن أرتق، ولقبه بدر الدولة، وعاد إلى ماردين؛ فلم تزل حلب بيده، إلى أن توفي
في سنة ست عشرة وخمسمائة بميافارقين. وبقي سليمان بحلب إلى أن استولى عليها، ابن
عمه بلك بن بهرام بن أرتق؛ وبقيت بيد بلك إلى أن قتل في سنة ثمان عشرة وخمسمائة وهو
يحاصر منبج، وكان قد قبض على صاحبها حسان البعلبكي، وملك المدينة وحاصر
القلعة، فأتاه سهم فقتله وكان حسام الدين تمرتاش ابن إيلغازي مع عمه بلك، فحمله مقتولاً
إلى ظاهر حلب، فتسلمها في العشرين من شهر ربييع الأول سنة ثماني عشرة، واستولى
عليها ، وجعل فيها نائباً يثق به، وعاد إلى ماردين. وكان يحب الدعة والرفاهية، فلما عاد
إلى ماردين ملك حلب اقسنقر البرسقي صاحب الموصل بمكاتبه من أهلها، لأن الفرنج
كانوا حلصروهم وضيقوا عليهم، فكتبوا إليه يستنجدونه، فحضر بعساكره، فرحل الفرنج
عنها، وملكها في ذي الحجة سنة ثماني عشرة، فكانت بيده إلى أن قتل في سنة عشرين
وخمسمائة على يد الباطنية.

وملك بعده ابنه عز الدين مسعود إلى أن توفي في سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، فبقيت
بيد نائبه قومان، ثم استناب بعده بها قتلغ، فوصل إليها بعد فاة مسعود، وتسلمها في الرابع
والعشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، فظهر منه بعد أيام جور
عظيم وظلم شديد، ومد يده إلى أموال الناس. وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد
الجبار بن أرتق - الذي كان صاحبها قديماً - فأطاعه أهلها، وقبضوا على أصحاب قتلغ
الذين بالمدينة في شوال من السنة، وحاصروه في القلعة. فسمع الفرنج بذلك فتقدموا إلى
المدينة، فصولحوا بمال حتى رحلوا عنها. وداموا على حصار قتلغ بالقلعة إلى منتصف ذي
الحجة، ثم ملكها عماد الدين زنكي بن اقسنقر، على ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخبار
الدولة الأتابكية. هذا ما كان من أمر حلب، فلنذكر أخبار دمشق.

من ملك دمشق بعد السلجقية
إلى أن ملكها نور الدين محمود بن زنكي

أول من ملكها معتمد الدولة ظهير الدين طغرتكين، وقيل فيه طعركين وطعدكين. استولى
على دمشق كما قدمناه في سنة سبع وتسعين وأربعماية، واستقل بالأمر منذ فارقها الملك
بلتاش بن تتش وكان لطعرتكين مع الفرنج وقائع كثيرة في سنين عديدة يطول شرحها، أضربنا
عن ذكرها لانها لم تسفر عن فتح بلد ولا أسر ملك وملك طغرتكين بصرى في سنة تسع
وتسعين وأربعماية، وكانت بيد إيتكين الحلبي، فلما صار مع السلطان الملط بلتاش كما ذكرنا
سلمها أهلها لطغرتكين، فتسلمها وأحسن إليهم؛ واستمر في ملك دمشق إلى سنة اثنتين
وعشرين وخمسمائة، فتوفي في ثامن عشر صفر منها، وكان عاقلاً خيراً، كثير الغزو والجهاد
للفرنج، حسن السيرة في رعيته، مؤثراً للعدل فيهم. ولما توفي ملك بعده ابنه والله أعلم.

تاج الملوك بورى بن أتابك
طغرتكين

ملك دمشق بعد وفاة أبيه في ثامن عشر صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة بوصية من
أبيه لله بالملك. وكان أكبر أولاده، فلما ملك أقر وزيره والده - وهو أبو علي طاهر بن
سعيد المزدغاني - على وزارته.

الاسماعيلية
وقتل الوزير المزدغاني
كان بهرام مقدم الاسماعيلية قد هرب قديماً من بغداد إلى الشام بعد قتل أخيه إبراهيم
الإسدابادي، وملك قلعة بانياس، وجعل خليفته بها يدعو الناس إلى مذهبه، فكثروا
وانتشروا؛ وملك عدة حصون منها القدموس وغيره، وهي الآن تعرف بقلاع الإسماعيلية،
من الأعمال المضافة إلى المملكة الطرابلسية.
وكان بوادي أتتيم من أعمال بعلبك أرباب مذاهب مختلفة منهم النصيرة الدرية والمجوس
وغيرهم، وأميرهم اسمه الضحاك، فسار إليهم بأهرام في سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة
وقاتلهم فخرج إليه الضحاك في ألف رجل، وكيس عسكر وقتل منهم مقتلة عظيمة، وقتل
بأهرام فيمن قتل، وانهزم من بقى وأنوا بأناس على أقبح صورة. وكان بهرام قد استخلف
على بانياس رجلاً من أعيان أصحابه اسمه إسمعيل، فقام مقامه، وجمع شمل من سلم من
أصحابه، وبث دعاته في البلاد، وساعده الوزير المزدغاني وعاضده وأقام المزدغاني بدمشق
عوض بهرام إنساناً اسمه أبو الوفا، فقوي أمره على شأنه، وكثر أتباعه حتى صار هو
المستولى على دمشق، وحكم أكثر من حكم صاحبها تاج الملوك.
ثم إن المزدغتني راسل
الفرنج ليسلم إليهم مدينة دمشق ويسلموا إليه مدينة صور، واستقر الأمر بينهم على ذلك،
وتقرر الميعاد في يوم جمعة عينوه، وقرر المزدغاني مع الإسماعيلية أن يحتاطوا على أبواب
الجامع في ذلك اليوم، فلا يمكنوا أحداً من الخروج منه، لتجيئ الفرنج ويملكوا البلد. فاتصل
الخبر بتاج الملوك. فاستدعى الوزير المزدغاني فحضر إليه فلما خلا به قتله وعلق رأسه
على باب القلعة، ونادى في الناس بقتل الباطنية، فقتل منهم ستة آلاف؛ وذلك في منتصف
شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة. فخاف إسماعيل متولي بانياس عند ذلك من
الناس أن يثوروا به وبأصحابه، فسلم بانياس إلى الفرنج، وانتقل إليهم هو ومن معه، فلقوا
شدة عظيمة وهوانا ومات إسمعيل في أوائل سنة أربع وعشرين وخمسمائة.
حصار الفرنج دمشق

وانهزامهم
قال: ولما بلغ الفرنج ما كان من قتل المزدغاني عظمت المصيبة عليهم، واجتمعوا بجملتهم،
صاحب القدس وصاحب انطاكية وصاحب طرابلس وغيرهم من ملوك الفرنج وقمامصتهم
ومن وصل إليهم في البحر فكانوا في ألفي فارس، وأما الراجل فلا يحصى كثرة، وساروا إلى
دمشق لمحاصرتها، فبلغ ذلك تاج الملوك، فجمع العرب والتركمان فاجتمع معه ثمانية آلاف
فارس، ووصل الفرنج إلى دمشق في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين فنازلوها، وأرسلوا
سراياهم إلى أعمالها لجمع الميرة والإغارة. فبلغ تاج الملوك أنهم ساروا إلى حوران، فسير
أميراً من أمرائه اسمه شمس الخواص في جمع من المسلمين، فلقوا الفرنج وقاتلوهم قتالاً
شديداً، كان الظفر للمسلمين وقتل الفرنج فلم يفلت منهم غير مقدمهم في أربعين رجلاً،
وأخذوا أخذ المسلمين ما معهم وكان عشرة آلاف دابة موقرة، وثلثمائة أسير، وعادوا إلى
دمشق بالظفر والغنيمة. فألقى الله الرعب في قلوب الفرنج فرحلوا شبه المنهزمين، وأحرقوا
ما تعذر عليهم حمله من سلاح وغيره، وتبعهم المسلمون يقتلون من بخلف منهم. وكان
نزولهم ورحيلهم في ذي الحجة. وفي سنة أربع وعشرين استوزر تاج الملوك الرئيس أبا
الدواد المفرج بن الحسن بن الصوفي.
وفي سنة خمس وعشرين وخمسمائة ثار الباطنية بتاج الملوك، فجرحوه جرحين فبرأ
أحدهما وبقي الآخر، فاشتد عليه في شهر رجب سنة ست وعشرين وخمسمائة فأضعفه
وأسقط قوته فمات، في الحادي والعشرين من الشهر. وكانت مدة إمارته أربع سنين وخمسة
أشهر وأياماً، وكان كثير الجهاد مقداماً فأقام في حروبه مقام أبيه وفاق عليه ولما مات قام
بعده ولده إسمعيل بوصية منه.
شمس الملوك اسماعيل
ابن تاج الملوك بورى بن طغرتكين
ملك دمشق بعد وفاة أبيه في الحادي والعشرين من شهر رجب سنة ست وعشرين
وخمسمائة. وكان والده قد أوصى له بالملك ولولده الآخر شمس الدولة محمد بمدينة بعلبك

وأعمالها، فنفذت وصيته وقام بتدبير الأمر بين يدي شمس الملوك الحاجب فيروز شحنة
دمشق - وهو صاحب أبيه - واعتمد عليه، وابتدأ أمره بالرفق بالرعية، والإحسان
إليهم.
قال: وبلغ شمس الملوك أن أخاه شمس الدولة صاحب بعلبك استولى على حصني اللبوة
والراس واستمال من بهما وتسلمهما، وجعل فيهما من الجند من يحفظهما. فراسله في ذلك
وتلطف معه وقبح عليه فعله، وطلب إعادتهما إليه، فامتنع. فتجهز بعساكره في آخر ذي
الحجة من السنة وقصد جهة الشمال، ثم عطف مغرباً، فلم يشعر من بحصن اللبوة إلا وقد
نزل عليهم، وزحف لوقته فلم يتمكنوا من نصب منجنيق ولا غيره، فراسلوا في طلب
الأمان، فأمنهم وتسلم الحصن من يومه. وسار إلى حصن الراس موفعل به كذلك، وتسلمه
وجعل فيهما من يحفظهما. ثم رحل إلى بعلبك وحصرها وبها شمس الدولة وقد استعد،
فوالى الزحف حتى ملك البلد بعد قتال شديد. وتحصن شمس الدولة فنازله فراسله في
طلب الأمان وأن يقره على ما أوصى له به والده، فأجابه إلى ذلك وعاد إلى دمشق.
ذكر ملكه قلعة بانياس
وفي سنة سبع وعشرين وخمسمائة ملك شمس الملوك قلعة بانياس من الفرنج. وسبب ذلك
أن الفرنج استضعفوه وطمعوا فيه. وكانت قد تقررت بينهم هدنة، فقصدوا نقضها، ومدوا
أيديهم إلى أموال جماعة من تجار دمشق بمدينة بيروت، فشكا التجار ذلك إلى شمس
الملوك، فراسل الفرنج في إعادة ما أخذوه، فلم يردوا شيئاً. فجمع العساكر وتأهب ولم يعلم
أحداً بمقصده. ثم سار في آخر المحرم من السنة ونزل على بانياس في صفر، وزحف زحفاً
متتابعاً. وقرب من سور المدينة وترجل بنفسه، وتبعه الناس فوصلوا إلى السور ونقبوه،
ودخلوا البلد عنوة، والتجأ من كان فيه من جند الفرنج إلى الحصن، فقتل كثير من الفرنج
بالبلد وقاتل من بالقلعة قتالاً شديداً، ثم ملك القلعة بالأمان في رابع صفر وعاد إلى دمشق.
ذكر ملكه مدينة حماة

وفي شوال سنة سبع وعشرين وخمسمائة ملك شمس الملوك مدينة حماة وهي لأتابك زنكي
بن اقسنقر، وذلك أنه لما ملك قلعة بانياس أقام بدمشق إلى شهر رمضان، وسار إلى حماة
في العشر الآخر منه. وكان قد بلغه أن الخليفة المسترشد بالله قد حضر إلى الموصل،
فطمع في البلاد لتغير الخليفة علي زنكي، فحصر حماة وقاتل من بها يوم العيد، وملك البلد
في اليوم الثاني قهراً، وطلب من به الأمان فأمنهم، وحصر القلعة، واستولى عليها وعلى ما
بها من الذخائر، وسار منها إلى قلعة شيزر، وبها صاحبها ابن منقذ، فحصرها ونهب
بلدها، فراسله صاحبها وسار معه بمال، فعاد إلى دمشق في ذي القعدة من السنة.
وفي تاسع شهر ربيع الآخر وثب على شمس الملوك بعض مماليك جدة طغرتكين، فضربه
بسيف فلم يصنع فيه شيئاً، وتكاثر عليه مماليك شمس الدولة فمسكوه، فقرره ما الذي
حمله على ما فعل، فقال: أردت راحة المسلمين من شرك وظلمك فلم يزل يضرب حتى أقر
على جماعة أنهم وضعوه على ذلك، فقتلهم من غير تحقيق، وقتل أخاه سونج، فعظم ذلك
على الناس، ونفروا عنه وأنفوه.
ذكر ملكه شقيف تيرون ونهبه بلد الفرنج
وفي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة سار إلى شقيف تيرون وهو في الجبل المطل على بيروت
وصيدا، وكان في يد الضحاك بن جندل رئيس وادي التيم قد تغلب عليه وامتنع به
واحتمى على المسلمين والفرنج. فسار إليه شمس الملوك وملكه في المحرم من هذه السنة؛
فمعظم أخذه على الفرنج، لأن الضحاك كان لا يتعرض إلى شيء من بلادهم المجاورة له،
فجمع الفرنج جموعهم فساروا إلى بلد حوران يخربون أمهات الضياع. فسار إليهم شمس
الملوك ونزل بإزائهم وجرت بينهم مناوشة عدة أيام، ثم نهض ببعض عسكره وجعل بقيتهم
قبالة الفرنج. وسار وقصد بلاد طبرية والناصرة وعكا وما جاورها من البلاد، والفرنج لا
يشعرون به، فقتل وخرب وأحرق وسبى وامتلأت أيدي المسلمين من الغنائم، فبلغ الفرنج
خبره، فرجعوا إلى بلادهم، وعاد هو على غير الطريق الذي سلكه، فوصل سالما وراسله

الفرنج في تجديد الهدنة.
ذكر مقتل شمس الملوك وملك أخيه شهاب الدين محمود
وفي شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وخمسمائة، قتل شمس الملوك إسمعيل. وسبب
ذلك أنه كان قد ركب طريقاً شنيعاً من الظلم ومصادرات العمال وغيرهم من أهل البلد
وأعيانه، وبالغ في العقوبات، وظهر منه بخل زائد ودناءة نفس. ثم ظهر عنه أنه كاتب عماد
الدين زنكي ليسلم إليه دمشق ويحثه على سرعة الوصول، وأخلى المدينة من الذخائر
والأموال، ونقل ذلك إلى صرخد وتابع الرسل إلى زنكي يحثه على الوصول ويقول: إن أهملت
المجيء سلمت البلد إلى الفرنج. فامتعض أصحاب أبيه وجده منه، وذكروا الحال لوالدته
فساءها وأشفقت منه ووعدتهم بالراحة من هذا الأمر. ثم ارتقب غفلة غلمانه وأمرت
غلمانها بقتله فقتلوه. وأمرت بإلقائه في موضع من الدار ليشاهده غلمانه، فلما رأوه سروا
بمقتله. وأمه زمود خاتون ابنة جاولي، وهي التي بنت المدرسة بظاهر دمشق المطلة على
وادي الشقراء، ونهر بردى. هذا أحد ما قيل في قتله.
وقيل كان سبب مقتله أن والده كان به صاحب اسمه يوسف بن فيروز، وكان متمكناً منه
حاكماً في دولته ثم في دولة والده هذا، فاتهم بأم شمس الملوك. وبلغه الخبر فهم بقتل يوسف
فهرب منه إلى تدمر، وتحصن بها وأظهر الطاعة لشمس الملوك. وأراد شمس الملوك قتل
أمه، فبلغها الخبر فقتلته خوفاً على نفسها، والله أعلم.
وكان مولده في سابع جمادى الآخرة سنة ست وخمسمائة، فتكون مدة حياته اثنتين
وعشرين سنة وثمانية أشهر، ومدة ملكه سنتين وتسعة أشهر وأياماً.
شهاب الدين محمود
ابن تاج الملوك بورى بن طغرتكين
ملك دمشق بعد مقتل أخيه شمس الملوك في شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين
وخمسمائة، وحلف له الناس واستقر له الأمر ثم وصل أتابك زنكي إلى دمشق ونازلها في
أول جمادى الأولى من السنة، فبينما هو يحاصر دمشق إذ ورد عليه رسول الخليفة
المسترشد بالله بالخلع ويأمره بصلح صاحب دمشق والرحيل عنها، فصالحه، وخطب له

بدمشق مع صاحبها، وفارق البلد لليلتين بقيتا من الشهر.
ذكر ملكه مدينة حمص
وفي الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثلاثين
وخمسمائة، تسلم شهاب الدين محمود
مدينة حمص وقلعتها. وذلك أن أصحابها أولاد الأمير خرخان بن
قراجا الوالي عليها من
قبلهم ضجروا من كثرة تعرض عسكر زنكي إليها وإلى أعمالها،
وتضييقهم على من بها،
فراسلوا شهاب الدين في تسليمها، فأجابهم، وسار إليها
وتسلمها، وسلم إليهم تدمر، وأقطع
حمص لمملوك جده معين الدين أنر وجعل فيها نائباً عنه ممن
يثق به من أعيان أصحابه،
وعاد إلى دمشق ثم ملكها أتابك زنكي في سنة اثنتين وثلاثين
وخمسمائة، وتزوج زمرد
خاتون والدة شهاب الدين لتحكمها بدمشق، وظن أنه تملك البلد
باتصاله بها، فلم يتهيأ له
ملكها.
قال: واستمر ملك شهاب الدين محمود إلى سنة ثلاث وثلاثين
وخمسمائة، فقتل على فراشه
في شوال منها، قتله ثلاثة من خواصه كانوا يبيتون عنده فقتلوه
ليلاً، وخرجوا من القلعة
فنجا أحدهما وقتل الآخران.
ذكر ملك جمال الدين محمد ابن تاج الملوك بورى بن طغرتكين
ملك دمشق بعد مقتل أخيه شهاب الدين محمود في شوال سنة
ثلاث وثلاثين وخمسمائة.
وذلك أن محمود لما قتل، كتب معين الدين أنر إلى جمال الدين
صاحب بعلبك بالخبر،
واستدعاه ليملكه البلد، فجاء مسرعاً وجلس لعزاء أخيه، وخلف
الجند وفوض أمر دولته
إلى معين الدين أنر، وزاده في علو مرتبته، وأقطعه بعلبك،
وزوجه بأمه.
قال: ولما اتصل بزمرد خاتون قتل ابنها محمود كتبت إلى زوجها
أتابك زنكي وهو بالجزيرة
أن ينهض في طلب ثار ابنها، فسار مسرعاً وملك بعلبك عنوة
في ذي الحجة سنة ثلاث
وثلاثين، وحصر جمشق في سنة أربع وثلاثين، وبذل لمعين
الدين حمص وبعلبك وغير ذلك
على أن يسلم إليه دمشق فلم يوافق، فجد في الحصار. فبينما
هو يحاصرها مرض جمال
الدين محمد ومات في ثامن شعبان منها، فطمع زنكي حينئذ في
البلد ووالى الزحف
والقتال. قال: ولما مات جمال الدين ولى بعده ولده.

مجير الدين ابق
ابن جمال الدين محمد بن الورى ابن طغرتكين
ملك دمشق بعد وفاة أبيه في ثامن شعبان سنة أربع وثلاثين وخمسمائة، وهي إذ ذال
محاصرة، فقام بتدبير دولته معين الدين مدبر دولة أبيه. وداوم زنكي الحصار وضيق على
أهل البلد، فعند ذلك راسل أنر الفرنج واستدعاهم لنصرته، وإعانته على حرب زنكي،
وبذل لهم بذولاً من جملتها أن يحاصر بانياس ويسلمها إليهم، وخوفهم أن زنكي إن ملك
دمشق قصدهم وغزاهم. فاجتمعوا وعزموا على المسير إلى دمشق، فاتصل ذلك بزنكي
فتوجه إلى حوران وقصد غزو الفرنج وذلك في منتصف شهر رمضان. فبلغ خبره الفرنج
فأقاموا ببلادهم، فعاد إلى حصار دمشق ثم نزل بعذرا في سادس شوال، وأحرق عدة
ضياع من المرج والغوطة، وعاد إلى بلاده.
ووصل الفرنج إلى دمشق في ميعاد أنر، بعد رحيل زنكي فسار معهم إلى بانياس وحصرها
وأخذها وسلمها للفرنج. ولما فعل ذلك عاد زنكي لمحاصرة دمشق فقاتله أهلها، فرحل
عنهم. ثم اتفق قتل عماد الدين زنكي في سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، فسار مجير الدين
ابق إلى بعلبك وحصبها وبها نجم الدين أيوب، فخاف أن أولاد زنكي لا يمكنهم إنجاده في
عاجل الحال، فصالحه وسلم القلعة إليه، وأخذ منه إقطاعاً ومالاً، وملكه عدة قرى من بلد
دمشق. وانتقل نجم الدين أيوب إلى دمشق وسكنها، وأقام بها، واستمرت دمشق بيد مجير
الدين إلى أن ملكها نور الدين محمود بن زنكي في سنة تسع وأربعين وخمسمائة على ما
نذكره إن شاء الله تعالى في أخباره.
ولما ملكها نور الدين تحصن مجير الدين بالقلعة، فراسله في تسليمها وبذل له إقطاعاً من
جملته مدينة حمص، فأجاب إلى ذلك، وسلم القلعة وتسلم الإقطاع، وسار إلى حمص. ثم
راسل أهل دمشق بعد ذلك على أن يسلموها إليه. فعلم نور الدين به، وأخذ منه حمص
وعوضه عنها بآس، فلم يرض بها، وسار إلى بغداد وابتنى بها داراً بالقرب من النظامية.
وتوفي بها.

هذا ما كان من أخبار ملوك دمشق على سبيل الاختصار، وإنما أوردنا أخبارهم في هذا
الموضع على سبيل الاستطراد، ولئن تكون أخبارهم متتابعة.
فلنرجع إلى أخبار الملوك
السلجقية، ولنذكر ملوك الروم منهم.
الملوك السلجقية
أصحاب قوينة واقتصرا ومالطية ودقوقا من الروم
أول من ملك منهم شهاب الدولة قتلمش بن أرسلان بيغو ابن سلجق. وكان ابتداء أمره
أنه عصى على السلطان طغرل بك في سنة ثلاث وخمسين وأربعماية، وملك قلعة كردكو
وامتنع بها، وأخذ أموالاً كانت حملت من خوارزم إلى السلطان، فسير إليه طغرليك جيشاً
فهزمه مرة بعد أخرى. فلما مات طغرليك أظهر شهاب الدين قتلمش العصيان على ألب
أرسلان ابن جعفر بيك داود، وجمع جموعاً كثيرة، وقصد الري ليستولي عليها عندما بلغه
وفاة طغرليك، فسار إليه السلطان ألب أرسلان والتقوا واقتتلوا فانهزم عسكر قتلمش، وفر
هو لقصد كردكوه، فوجد ميتاً غير مقتول، كما ذكرنا ذلك في أخبار ألب أرسلان في سنة
ست وخمسين وأربعماية، ولما مات ملك بعده ابنه سليمان.
الملك سليمان
ابن شهاب الدولة قتلمش
وهو الثاني من الملوك السلجقية بالروم، ملك ما كان بيد أبيه بعد وفاته في سنة ست
وخمسين وأربعماية.
فتح مدينة أنطاكية
وفي سنة سبع وسبعين وأربعمائئة سار سليمان من بلاده، وقصد الشام وملك مدينة
انطاكية، وكانت بيد الروم من سنة ثممان وخمسين وثلثمائة. وكان شبب ملكه إياها أن
صاحبها الفزدرؤس الرومي كان قد سار عنها إلى بلاد الروم، ورتب في انطاكية شحنة
وكان الفزدرؤس كثير الإساءة إلى أهل البلد وإلى جنده، حتى أنه حبس ابنه، فاتفق ابنه
والشحنة على تسليم البلد إلى سليمان، فكاتبوه يستدعونه، فركب في البحر ومعه ثلثمائة
فرس وكثير من الرجالة، وخرج منه وسار في جبال وعرة ومضايق شديدة حتى وصل إليها
في وقت الموعد، فنصب السلاليم وصعد باتفاق من الشحنة وابن صاحبها، فملكها في

شعبان من السنة. وقاتله أهل البلد فهزمهم مرة بعد أخرى، وقتل كثيراً منهم ثم عفا
عنهم، وتسلم القلعة وأخذ من الأموال ما لا يحصى كثرة، وأحسن إلى الرعية وعدل فيهم،
وأرسل إلى السلطان ملكشاه يبشره بالفتح فأظهره الفرح بذلك وهنأ الناس.
قال: ولما فتحها أرسل إليه شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب حلب يطلب منه حمل
ما كان صاحب انطاكية يحمله إليه، ويخوفه معصية السلطان. فأجابه أن صاحب انطاكية
كان كافراً يحمل الجزية عن رأسه وأصحابه، وأنا مسلم والخطبة والسكة في بلادي
للسلطان، وهذا الفتح إنما فتحته بسعادته وكاتبته به. فنهب شرف الدولة بلد انطاكية،
ونهب سليمان بلد حلب، فلقيه أهل السواد، فشكوا إليه من نهب عسكره. فقال لهم: أنا
كنت أشد كراهة لما جرى، ولكن صاحبكم أحوجني إلى ما فعلت، فلم تجر عادتي بنهب
مال مسلم، ولا أخذ ماحرمته الشريعة، وأمر أصحابه بإعادة ما نهب على أصحابه،
فأعادوه. ثم جمع شرف الدولة الجموع وسار لقتال سليمان، فالتقوا واقتتلوا، فانهزم عسكر
شرف الدولة وقتل هو؛ وذلك في يوم الجمعة لست بقين من صفر سنة ثمان وسبعين
وأربعماية.

قتل الملك سليمان قتلمش

قال: ولما قتل سليمان بن شرف الدولة، أرسل إلى مقدم حلب يطلب تسليمها له، فأنفذ
إليه مالاً، واستمهله إلى أن يكاتب السلطان ملكشاه. وأرسل المقدم إلى تتش صاحب
دمشق يعده بتسليمها إليه، فسار تتش إلى حلب. فعلم سليمان بذلك، فسار نحوه والتقوا
وقاتلوا، فانهزم أصحاب سليمان وثبت هو في القلب. فلما علين الهلكة. قتل نفسه
بسكين، وقيل بل قتل في المعركة، واستولى تتش على معسكره، وذللك قي سنة تسع
وسبعين وأربعماية. وكان سليمان قد أرسل جثة شرف الدولة مسلم في صعر سنة ثمان
وسبعين على بغل، ملفوفة في إزار إلى حلب، وطلب من أهلها تسليمها إليه، فأرسل تتش
جثة سليمان في صفر من السنة التي تليها على تلك الهيئة، وطلب منهم بسليمها. ولما قتل

ملك بعده ببلاد الروم ولده والله أعلم.
قلج أرسلان بن سليمان
وهو الثالث من الملوك السلجقية بالروم.
ملك بعد قتل أبيه في صفر سنة تسع وسبعين وأربعماية، واستمر في المملكة الرومية وملك
الموصل في سنة خمسمائة. وذلك أن صاحبها جكرمش كان قد حاصره جاولي سقاووا،
وأسره ومات في أسره. فكتب أصحاب جكرمش إلى الأمير صدقة، وإلى مسيم الدولة
اقسنقر البرسقي، وإلى قلج أرسلان، يستدعون كل واحد منهم إليها، ليسلموا إليه الموصل،
فامتنع صدقة، وسار قلج أرسلان. فلما وصل إلى نصيبين رحل جاولي عن الموصل،
واتفق وصول البرسقي وهو شحنة بغداد إلى الموصل، ونزل بالجانب الشرقي بعد رحيل
جاولي وفي ظنه أنه يملك البلد، فلم يخرج إليه أحد من أهلها ولا راسلوه بكلمة واحدة،
فعاد في بقية يومه. وأرسل أصحاب جكرمش وأهل الموصل إلى قلج أرسلان واستحلفوه
لهم، فحلف، وحلفهم على الطاعة له والمناصحة، وسار إلى الموصل وملكها لخمس بقين
من شهر رجب سنة خمسماية، وأسقط خطبه السلطان وخطل لنفسه بعد الخليفة،
وأحسن إلى العسكر وخلع على ولد جكرمش وأخذ القلعة، من غزغلي مملوك جكرمش
وجعل عليها دزدارا، ودفع الرسوم المحدثة في الظلم، ونشر العدل وتآلف الناس، وقال: من
سعى إلي بأحد قتلته، فلم يسع إليه أحد بأحد.
قتل الملك قلج أرسلان
وملك ولده الملك مسعود
كان مقتله في العشرين من ذي الفعدة من سنة خمسماية، وذلك أنه لما فارق جاولي الموصل
سار إلى الرحبة وملكها بعد حصار وقتال، فلما أحكم الملك قلج أمر الموصل، سار عنها
لقتال جاولي، وجعل ابنه ملكشاه في دار الإمارة بالموصل، وسنه إحدى عشرة سنة،
وجعل معه أميراً يدبره وجماعة من العسكر. وكانت عدة عسكره أربعة آلاف فارس
بالعدد الكاملة والخيل الجيدة. فسمع عسكره بقوة جاولي وكثرة أتباعه وجنده، فاختلفوا،
فكان أول من خالف عليه إبراهيم بن ينال صاحب آمد، وكان معه لما فتح الموصل.

ففارق خيامه وأثقاله وعاد من الخابور إلى بلده ثم فارقه غيره. فعمل قلج في المطاولة لما
بلغه من قوة جاولي وكثر جموعه، وأرسل في طلب عساكره من الروم. وكان في جملة
عسكر جاولي الملك رضوان صاحب حلب، فاغتنم جاولي قلة أصحاب قلج فقاتله قبل
وصول عسكره، واقتتلوا قتالاً شديداً، فحمل قلج بنفسه وانهزم أصحابه. فلما رأى قلج
انهزام عسكره ألقى نفسه في الخابور،وحمى نفسه بالنشاب، فانحدر به الفرس إلى ماء
عميق، وغرق، فظهر بعد أيام، فدفن بالسليمانية وهي قرية من قرى الخابور. وسار جاولي
ودخل الموصل وأرسل ملكشاه بن قلج إلى السلطان محمد.
قال: وملك بعده ولده الملك مسعود بن قلج، وأقام في الملك إلى سنة إحدى وخمسين
وخمسماية، فتوفي فيها. ولم أقف من أخباره على شيء أورده له، وملك بعده ولده.

الملك عز الدين قلج
أرسلان بن مسعود
ابن قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش بن أرسلان بيغو بن سلجق وهو الخامس من
الملوك السلجقية ببلاد الروم.
ملك بعد وفاة والده في سنة إحدى وخمسين وخمسماية. وكان ذا سياسة، وعدل وافر،
وهيبة عظيمة، وله غزوات كثيرة إلى بلاد الروم. وكان له من بلاد الروم قونية وأعمالها
واقصرا وسيواس وملطية وغير ذلك، وكان له عدة أولاد، فلما كبرت سنه فرق بلاده على
أولاده في حياته، وملك نحو تسع وعشرين سنة.
ذكر تسليمه البلاد لبنيه وبني أخيه وما جعل لكل منهم
قال المؤرخ: لما ضعف الملك عز الدين قلج أرسلان هذا عن القيام بوظائف الملك لكبر
سنه، أفرد البلاد لأولاده وأولاد أخيه وسلم لكل واحد منهم جهة، فسلم إلى ابنه ركن
الدين سليمان دوقاط، وإلى ابنه غياث الدين كيخسرو قونية، ولولده محي الدين أنقرة -
وتسمى أنكورية - ولولده معز الدين قيصر شاه ملطية، ولولده مغيث الدين طغرل شاه
أتلستين، ولولده نور الدين محمود قيسارية، ولولده قطب الدين سيواس وأقصرا، ولولد أخيه
نكسار، ولولد أخيه أماسيا. هذه أمهات البلاد، ويضاف إلى كل جهة ما تجاورها. ثم ندم

على ذلك وأراد أن يجمع جميع المملكة لولده الأكبر قطب الدين، وخطب له ابنة الملك
الناصر صلاح الدين يوسف صاحب مصر ليتقوى به، فلما اتصل ذلك ببقية أولاده امتنعوا
من طاعته، وأزالوا حكمه عنهم، فكان يتردد بينهم على سبيل الزيارة، ثم توجه إلى ولده
غياث الدين كيخسرو صاحب قونية. فخرج إليه وقبل الأرض بين يديه واستبشر بقدومه،
واتمر بأمره، فقال له: أريد أن أسير إلى ولدي محمود صاحب قيسارية، وآخذها منه فسار
هو وولده كيخسرو، وحصرا محمود، فمرض قلج أرسلان، وتوفي في منتصف شعبان سنة
ثمان وثمانين وخمسمائة فعاد كيخسرو إلى بلده، واستقر كل واحد منهم على ما بيده من
البلاد.

قتل نور الدين

محمود واستيلاء قطب الدين على قيسارية ووفاته واستيلاء ركن الدين سليمان على سائر
المملكة

قال: كان قطب الدين صاحب أقصرا وسيواس إذا توجه من أحدهما إلى الأخرة يجعل
طريقه على قيسارية، ويجتمع بأخيه نور الدين محمود صاحبها، ويظهر له المودة. فاطمأن له
محمود. وكان الأمير اختيار الدين حسن أحد أمراء والده يحذره عاقبة طمأنينته لأخيه،
فنزل قطب الدين في بعض الأحيان بظاهر قيسارية وجاء نور الدين إليه فقتله، ورمى برأسه
إلى أصحابه، وتسلم البلد بعد أن امتنع من بها عليه، ثم قتل الأمير اختيار الدين حسن
وكان من أكابر الأمراء الديانين، وألقاه في الطريق، فجاء كلب ليأكل من لحمه، فثار الناس
وقالوا: لا سمعاً ولا طاعة هذا أمير كبير في الإسلام، وبنى مدرسة للعلم، وله صدقات
دارة، ولا نتركه تأكله الكلاب ، فأمر عند ذلك بدفنه، فدفن في مدرسته. ثم مرض قطب
الدين ومات، فسار أخوه ركن الدين سليمان صاحب دوقاط إلى سيواس، وهي تجاوره،
فملكها ثم ملك قيسارية أقصرا.

ثم سار بعد ذلك إلى قونية، وبها أخوه غياث الدين فحصروه بها. وملكها، ففارقها غياث
الدين إلى الشام. ثم عاد إلى الروم وسار إلى القسطنطينية، ثم ملك البلاد على ما نذكره

إن شاء الله تعالى.
وسار ركن الدين بعد ذلك إلى نكسار وأماسيا فملكها من ابني عمه، وملك ملطية في
شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسماية، وفارقها أخوه معز الدين قيصر شاه، وسار إلى
الملك العادل أبي بكر، وكان زوجه ابنته. فاجتمع لركن الدين سليمان ملك جميع البلاد
التي كانت بيد إخوته وأولاد عمه إلا أنقرة، فإنها امتنعت عليه لحصانتها، فجعل عليها من
عسكره من يحصرها، فحوصرت ثلاث سنين كوامل وتسلمها في سنة ستماية، وعوض أخاه
محي الدين عنها قلعة في أطراف بلاده، وحلف له عليها، فسار محي الدين إليها فجهز في
إثره من قتله.
وفاة ركن الدين سليمان
وملك ولده قلج أرسلان
قال: ولما غدر بأخيه خحي الدين صاحب أنكورية وقتله، لم يمهله الله عز وجل، فمرض
بالقولنج، بعد قتله لخمسة أيام، ومات في سبعة أيام، وكانت وفاته في سادس ذي القعدة سنة
ستماية، وكان قيماً بأمر الملك، شديداً على الأعداء، إلا أن الياس كانوا ينسبونه إلى فساد
في اعتقاده، وأنه يقول بقول الفلاسفة. وكان كل من رمى بهذا المذهب يأوى إليه، لكنه كان
يستر ذلك عن الناس، ولا يتظاهر به.
قال: ولما مات اجتمع الناس بعده على ولده قلج أرسلان، وملكوه عليهم وكان صغير
السن، فبقى إلى بعض سنة إحدى وستماية.
ذكر ملك غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان بن
سليمان بن قلتمش بن أرسلان بيغو بن سلجق، بلاد الروم من ابن أخيه، وهو الثاني
من ملوك السلجقية بالروم
ملك المملكة الرومية في شهر رجب، سنة إحدى وستماية. وذلك أن ركن الدين سليمان
لما أخذ منه قونية، كما قدمناه، قصد الشام إلى الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين
صاحب حلب، فلم يجد عنده قبولاً، فسار من عنده وتنقل في البلاد إلى أن سار إلى
القسطنطينة، فأحسن إليه ملك الروم وأكرمه وأقطعه إقطاعاً، فأقام عنده وتزوج بابنة بعض

البطارقة الأكابر. وكان للبطريق قلعة من قلاع القسطنطينية، فلما ملك الفرنج قسطنطينية،
هرب غياث الدين إلى حميه، بالقلعة، فنزل عنده وقاسمه فيما هو فيه وقنعا بها فلمما مات
أخوه في سنة ستماية كما ذكرناه، وملك ولده قلج أرسلان، فخالف عليه بعض الأمراء
الأكابر وكان من الترك، فأنف أن يملك صغيراً، فراسل غياث الدين فحضر إليه في جمادى
الأولى، واجتمع معه بعض العسكر وتوجه إلى قونية وبها قلج أرسلان بن أخيه، فخرج له
بعض عسكرها فهزموه وبقي حيران ولايدري ما يصنع، ولا أين يتوجه. فقصد بلدة صغيرة
من بلاد قونية يقال لها أوكرم، فقدر الله أن أهل مدينة أقصرا وثبوا على واليها، فأخرجوه
منها ونادوا بشعار غياث الدين. فلما وصل الخبر أهل قونية قال أهلها: نحن أولى بذلك
منهم، لأنه كان حسن السيرة فينا، فنادوا باسمه، وأخرجوا من عندهم، واستدعوه، فملك
المدينة وقبض على ابن أخيه، وملك البلاد أجمع في ساعة واحدة، فسبحان من إذا أراد
أمراً هيأ أسبابه. وحضر إليه أخوه قيصر شاه الذي كان صاحب ملطية، فلم يجد عنده
قبولاً، فأعطاه شيئاً وأمره بمقارقة البلاد، فعاد إلى الرها، واستتب الملك لكيخسروا
وأعظم شأنه، والله أعلم.
ذكر ملكه مدينة أنطاكية
وفي ثالث شعبان سنة ثلاث ستماية ملك الملك غياث الدين كيخسروا مدينة أنطاكية
بالأمان، وكانت للروم. وكان قد حصرها قبل هذا التاريخ وهدم عدة أبرجة من سنورها،
وأشرف على فتحها عنوة، فاستنجد من بها من الروم بفرنج جزيرة قبرص، فوصل إليها
جماعة منهم فيئس منها وفارقها وترك طائفة من أصحابه بالقرب منها في الجبال التي بينها
وبين بلاده، وأمرهم بقطع الميرة عنها. فضاق أهلها فطلبوا من الفرنج الخروج لدفع المسلمين
عن مضايقتهم، فظنوا أنهم يريدون إخراجهم من المدينة. فوقع الخلف بينهم، فاقتتلوا
فأرسل الروم إلى المسلمين يطلبونهم ليتسلموا البلد، فوصلوا إليهم واجتمعوا معهم على قتال
الفرنج، فانهزم الفرنج منهم واعتصموا بالحصن. فأرسل المسلمون يطلبون كيخسرو، فجاء

من قونية وحصر الفرنج وتسلم الحصن. واستمر غياث الدين كيخسرو في الملك إلى أن توفي
سنة سبع وستماية وملك بعده ولدته الملك الغلب عز الدين كيكاووش ابن كيخسرو،
وملك كيكاووش هذا بعض بلاد حلب، وانتزعت منه،واستمر في المملكة الرومية إلى سنة
ست عشرة وستماية، فتوفي ولم يكن له ولد فملك بعده أخوه.
ذكر ملك علاء الدين كيقباذ بن غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان بن مسعود بن
قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش بن أرسلان بيغو بن سلجق وهو العاشر من ملوك
السلجقية بالروم
ملك بعد وفاة أخيه قي سنة ست عشرة وستماية، وكان أخوه كيكاووش قد اعتقله لما
ملك، وأشار عليه أصحابه بقتله فلم يفعل. فلما مات كيكاووش أخرج الجند كيقباذ
وملكوه عليهم. وقيل إنه لما اشتدت علة كيكاووش أخرجه من الاعتقال، وحلف له
العساكر.
قال: ولما ملك كيقباذ خالف عمه مغيث الدين طغرل شاه بن قلج أرسلان صاحب أرزن
الروم؛ ومغيث الدين هذا هو الذي أمر ولده أن ينتصر وزوجه ملكة الكرج، وأقام معها
مدة، فهويت غيره من مماليكها فرآه معها، فأنكر ذلك عليها، فاعتقلته. ومات مغيث الدين
هذا في سنة اثنتين وعشرين وستماية، وملك بعده ابنه.
قال: ولما ملك كيقباذ خاف من الروم المجاورين لبلاده، فأرسل إلى الملك الأشرف صاحب
دمشق وصالحه، وتعاهد على المصافاة والتعاضد، والله أعلم.
وفي سنة ثلاث وعشرين وستماية في شعبان سار كيقباذ إلى بلاد الملك المسعود صاحب
آمد، وملك عدة من حصونه. وكان صاحب آمد قد اتفق مع السلطان جلال الدين
خوارزم شاه على مخالفة الأشرف صاحب دمشق، فأرسل الأشرف إلى كيقباذ بقصد
آمد، فسار وفتح حصن منصور وحصن سمسنكاذا وغيرهما. فلما رأى صاحب آمد
ذلك راسل الملك الأشرف، وعاد إلى موافقته. فأرسل الأشرف إلى كيقباذ يعرفه الصلح
وأن يعيد إلى صاحب آمد ما أخذه، فامتنع وقال: ما أنا نائب الأشرف يأمرني وينهاني فأمر

الأشرف عساكره بمساعدة صاحب آمد إن أصر ملك الروم وساروا إلى كيقباذ وهو
يحاصر قلعة الكختا، فالتقوا في شوال فانهزم صاحب آمد ومن معه هزيمة عظيمة، وأسر
كثير من أصحابه، وجرح، وملك كيقباذ قلعة الكختا.
وفي سنة خمس وعشرين وستماية ملك كيقباذ أرزنكان وكان صاحبها بهرام شاه قد طال
ملكه بها، وجاوز ستين سنة، ولم يزل في طاعة السلجقية ملوك الروم. فلما توفي ملك بعده
ولده علاء الدين داود شاه، فأرسل إليه كيقباذ يطلبه بعسكره يسير معه إلى مدينة: أرزن
الروم ليحاصرها. فحضر إليه فقبض عليه وأخذ مدينته، ثم ملك حصن كماخ، وكان من
أمنع الحصون. وقصد أرزن الروم ليأخذها من ابن عمه طغرل شاه، فاستنجد صاحبها
بالأمير حسام الدين على نائب الأشرف بخلاط، وأظهر طاعة الأشرف، فسار إليه بمن
عنده من العسكر خوفاً أن كيقباذ إذا ملك أرزن الروم قصد خلاط وغيرها، فعاد ولم يقدم
على قصدها، وتوجه إلى مدينة أنطاكية ليشتو بها والله أعلم.
ذكر اجتماع كيقباذ والأشرف على حرب جلال الدين خوارزم شاه وانهزامه منهما
كان سبب ذلك أن جلال الدين خوارزم شاه لما حاصر خلاط حضر إليه صاحب أرزن
الروم، وهو طغرل شاه السلجقي ابن عم كيقباذ، وأطاعه وأعانه على الحصار. وكان بينه
وبين ابن عمه عدواة مستحكمة فخاف كيقباذ أن السلطان جلال الدين يتوصل إلى ملك
بلاده، فراسل الملك الكامل صاحب مصر. وهو إذ ذاك بحران، وساله أن يستدعي الملك
الأشرف من دمشق، فأحضر الملك الكامل أخاه الأشرف واجتمع هو وكيقباذ، واتفقا
على حرب جلال الدين. وكان عسكر كيقباذ عشرين ألف فارس وعسكر الأشرف
خمسة آلاف فارس، إلا أنهم كانوا من الشجعان الذين لا يقوم أحد بحربهم. فسار جلال
الدين لقتالهم والتقوا يوم السبت الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة سبع وعشرين
وستماية بمكان من أعمال أرزنجان، فانهزم جلال الدين وعاد إلى خلاط، فأخذ من كان بها
من أصحابه وفارقها، وأسر في هذه الوقعة جماعة من أصحاب السلطان. فأمر كيقباذ

بضرب أعناقهم، وأسر ابن عنه صاحب أرزن الروم، وقصد به بلده، فتسلم أرزن الروم
وما معها من القلاع، وما بها من الخزائن وغيرها. فكان طغرل شاه كما قيل: خرجت
النعامة تطلب قرنين فعادت بلا أذنين؛ وكان هذا قد عاهد جلال الدين عللى أنه يملكه
بعض بلاد كيقباذ، فأخذ ما بيده. واستمر كيقباذ في الملك إلى أن توفي، وكانت وفاته في
سنة أربع وثلاثين وستماية، وملك بعده ولده.
ذكر ملك غياث الدين كيخسرو ابن الملك علاء الدين كيقباذ غياث الدين كيخسرو
بن قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش بن أرسلان بيغو بن
سلجق، وهو الحادي عشر من الملوك السلجقية، بالروم
ملك المملكة الرومية بعد وفاة أبيه الملك كيقباذ في سنة أربع وثلاثين وستماية. وجلس
على تخت السلطنة بمدينة قونية وراسله الملوك في الموافقة، وهي السنة التي وصل التتار
فيها إلى الروم.
وفي سنة خمس وثلاثين أرسل غياث الدين إلى والدة الملك العزيز بخطب بنت ابنها العزيز
لنفسه، وأن يتزوج الملك الناصر صاحب حلب أخت السلطان غياث الدين. فاستفر
بينهمما الأمر، وعقد عقد السلطان على غازية خاتون ابنة الملك العزيز على خترممسين
ألف دينننار. ووصل الصاحب كمال الدين بن العديم من حلب إلى السلطان. فزوج أخته
من الملك الناصر على نظير هسذا الصداق. فحصل الاتفاق بينهما، ثم أرسل السلطان
غياث الدين إلى حلب يطلب أن تقام له الخطبة بها وتضرب السكة باسمه. فتوقفت
الصاحبة والدة العزيز في ذلك، فأشير عليها بالموافقة فأجلبت إلى ذلك، وخطب له بحلب.
وفي سنة إحدى وأربعين وستماية، دخل بيجو مقدم التتار إلى بلاد الروم، والتقى هو
والسلطان غياث الدين فكيرهم كيخسرو، ثم عاودوت القتال فهزموه، وقتل جماعة من
أصحابه، والتجأ إلى بعض المعاقل؛ ثم حصلت المهادنة على أتاوة يؤديها غياث الدين للتتار
في كل سنة.
وفي ينة أربع وخمسين وستماية وصل التتار إلى بلاد الروم صحبه جرماغون وبيجو من قبل

منكوفان الملك، فخرج السلطان غياث الدين لقتالهم بجميع عساكره، واستصحب حريمه
ليقاتل قتال الحريم. واستشار أصحابه فيما يفعل، فكان منهم من هول عليه أمر التتار،
وكان غياث الدين قد زوجه والده بكرجين خاتون ابنة ملك الكرج. فلما أفضت السلطنة
إليه جعل أخاها مقدماً على الجيش، وكان نصرانياً، لم ينتقل عن ملته، فكرهه الأمراء
وكرهوا السلطان بسببه. فلما كان في هذا الوقت قال للسلطان غياث الدين: ضم إلى من
في عسكرك من الكرج والفرنج، وأنا ألقي التتار بهم. فغاظ الأمراء كلامه،وتقدم أحد
أعيانهم فحلف أنه لا بد يلقى التتار بنفسه، ومن صحبه، وركب في نحو عشرين ألف
فارس، وتقدم إلى التتار وهو بصحراء اقشهر زنجان، وكان غياث الدين على الجبل الأقرع
واسمه كوسا داغ، وهو مشرف على الوطأة التي نزل بها التتار. وسار الأمير فيمن معه،
وتبعه السلطان ببقية الجيش فوجد المقدم أمامه واد قطعه السيل، فلم يستطع قطعه إلى
جهة التتار. فركب التتار وقصدوه ودنوا منه وراسلوا بالسهام، فأهلكوا أكثر الخيل التي
معه، فكان السهم لايقع إلا في فرس أوفاوس، فتفرقوا عند ذلك، وطلبوا النجاة لأنفسهم،
وهي دار المملكة، ومسافتها من المكان الذي هو فيه نحو شهر، فسرن صحبة أمير، ولم
يحملن معهن إلا ما خف، ورجع السلطان وبرك الوطاق والدهاليز والخيام منصوبة، وبها
الأثقال والخزائن والذخائر. وأقام التتار ثلاثة أيام لم يقدموا على دخول الوطاق ظناً منهم أنها
مكيدة، ثم عبروا الوطاق واستولوا على ما فيه، ورجعوا.
وتوفي غياث الدين في هذه السنة، وخلف ثلاثة أولاد: عز الدين كيكاووش، وركن الدين
فلج أرسلان وعلاء الدين كيقباذ.
ذكر أحوال أولاد السلطان غياث الدين كيخسرو بعد وفاة أبيهم
قال: لما توفي غياث الدين استقر أولاده الثلاثة في السلطنة، ولم ينفرد بها أحد عن الآخر،
وضربت السكة باسمهم جميعاً، وخطب لهم وكان والدهم قد جعل ولاية عهده لولده علاء
الدين كيقباذ بن كرجى خاتون، فاتفقوا على أن يتوجه إلى منكوقان يطلب منه الصلح

والهدنة، ويقرر له أتاوة. هذا بعد استولى بيجو على قيسارية وأعمالها وما حولها، وصار
بيده من المملكة الرومية مسافة شهر.
قال: فتوجه علاء الدين كيقباذ إلى منكوقان ملك التتار ومعه الهدايه والتحف، وذلك في
سنة خمس وخمسين وستماية. وقصد الأرد ومعه الأمير سيف الدين طرنطاوي، وهو من
أكابر الأمراء وشجاع الدين ملك السواحل. وأقام أخواه بقونية فاختلفت آراؤهما آل أمرهما
إلى القتال. فانتصر عز الدين كيكاووش واستقر بقونية بمفرده، واعتقل ركن الدين قلج
أرسلان، كل ذلك وبيجوا بالروم.
قال: ولما اعتقل قلج أرسلان، ضاق أصحابه ومنهم الصاحب شمس الدين الطغراي
والأمير سيف الدين جاليش وغيرهم، ففكروا فيما يفعلون فزوروا كتاباً عن السلطان عز
الدين كيكاووش إلى سيف الدين طرنطاي ورفيقه، أن يسلما إليهم السلطان علاء الدين
كيقباذ، وما معهما من الهدايا والتحف، ليتوجه الصاحب بذلك إلى منكوقان، ويعود
طرنطاي ورفيقه إلى قونية. وساروا بهذه الكتب الموضوعة في إثر السلطان كيقباذ، فلحقوه
وقد وصل إلى أردوباطوة فدخلوا على باطو وقالوا: إن السلطان عز الدين مان قد أرسل
أخاه ليتوجه إلى القان وأرسل معه هذين - يعنون طرنطاي ورفيقه - ثم اتضح له أنهما قد
أضمرا السوء، وأن طرنطاي ضربته صاعقة فيما مضى من الزمان، فلا يصلح أن يدخل بين
يدي القان. ورفيقه شجاع الدين طبيب ساحر، وقد أخذ صحبته شيئاً من السم القاتل
ليغتال به منكوقان. فأرسلنا عوضاً عنهما وأمر بردهما، فلما سمع باطو ما قاله الصاحب،
أمر بإحضار طرنطاي ورفيقه وفتش ما معهما من القماش والأصناف، فكان فيه براني
أشربة وعقاقير، من جملتها السقمونيا، فأمره أن يأكل من ذلك فأكل وامتنع من السقمونيا
فظنها باطو سماً، واستدعى الأطباء فقالوا إنه من الأدوية وآخر الأمر أن باطو خير
الصاحب ورفقته بين أن يستصحبوا الهدايا إلى القان، ويكون السلطان صحبة طرنطاي
ورفيقه أو العكس. فاختار الصاحب أن يكون السلطان معه والهديا مع طرنطاي، وافترقا

على ذلك. وتوجه السلطان كيقباذ والصاحب إلى القان وتوجه طرنطاي ورفيقه بالهدايا
إليه، وافترقوا في الطريق، فكل قصد جهة. واتفقت وفاة السلطان في طريقه، وجرت لهم
خطوب يطول شرحها، آخرها أنهم وصلوا إلى القان بالأردو وتنافسوا الرياسة في مجلسه،
ثم اتفق الحال أن يكون مملكة الروم مقسومة بين الأخوين، فجعل لعز الدين كيكاووش من
نهر سيواس إلى حد بلاد اشكري، ولركن الدين قلج أرسلان من نهر سيواس إلى تخوم
أرزن الروم من الجهة الشمالية المتصلة ببلاد التتار. واستقر عليهما أتاوة يحملونها إلى
الأردو وعاد الصاحب شمس الدين وطرنطاي ورفقتهما من عنده، فما وصلوا إلى الروم
حتى دخله التتار، وكان بينهم وبين السلطان عز الدين ما نذكره إن شاء الله في أخبار
التتار.
قال: ووصل الصاحب ورفقته إلى الروم
في سنة سبع وخمسين وستماية، واستقرت القسمة بين الأخوين على ما فرره منكوقان،
وانفرد كل منهما بما استقر له، وانضم إليه جماعة من الأمراء. ثم قدم هولاكو وملك بغداد،
فاستدعاهما فسار إليه، وحضرا معه أخذ حلب، ثم عادا إلى بلادهما على القسمة التي
قسمها منكوقان فلما كان في سنة ستين وستماية بعث هولاكو يستدعي شمس الدين يوتاش
نائب السلطان عز الدين، فأرسله إليه فوصل إلى أرزنكان صحبة رسل هولاكو. فوافق
وصولهم إليها عند غطاس النصاري،فخرجوا إلى الفرات بجمع كثير، ومعهم الجاثليق وقد
رفعوا الصلبان على الرماح، وأعلنوا بالنواقيس والصياح، فأنكر عليهم شمس الدين، وقصد
منعهم، فمنعه رسل هولاكو، وقالوا: هذه بلاد السلطان ركن الدين فلا يحدث فيها وسألوا
الجاثليق: كيف كان عادتكم في أيام السلطان غياث الدين؟
فقال: كنا نحمل له ثلاثة آلاف
درهم، ونعمل ما نختار فأخذوا منه ثلاثة آلاف درهم ومكنوه من عمل العيد كما أراد.
فلما جرت هذه المفاوضة بين رسل هولاكو وشمس الدين، عاد مغضباً ورجع إلى السلطان
عز الدين، وحمله على المخالفة والعصيان، فوافقه على ذلك واستولى على أكثر بلاد أخيه

ركن الدين. فتوجه ركن الدين إلى هولاكو واستنصر به، فبعث معه تومانا من التتار،
فكسرهم عز الدين. ثم استمدوا هولاكو، فأمدهم بتومان آخر فهرب عز الدين وفارق
البلاد ودخل إلى الأشكري بالقسطنطينية، وصحبته أخواله، وهما على دين النصرانية،
وثلاثة نفر من أمرائه. واستولى ركن الدين على جميع البلاد واستقل بملكها.
وأما عز الدين فإنه لما وصل إلى الأشكري أكرمه وأحسن إليه، فأقام عنده إلى سنة اثنتين
وستين وستماية، فقصد الأمراء الذين كانوا معه وهم عز الدين أمير آخر، وعلي بهادر،
وأمير مجلس، أن يثبوا على الأشكري فيقتلوه، وأعلموا صاحبهم عز الدين بذلك. وقالوا
له: اكتمه عن خاليك فلم يكتمه عنهما، وأعلمهما به، وأمرهما أن يعرفا الأشكري بذلك،
وأنه لا يركب في اليوم الذي قصد الأمراء الفتك به فيه. فعرفاه، فقبض على الأمراء
وكحلهم، وقبض على السلطان عز الدين واعتقله بقلعة من القلاع الغربية، فأقام بها إلى سنة
ثمان وستين وستماية. وجمع الأشكري أصحاب الأمراء وأتباعهم، وعرض عليهم الدخول
في دينه. فمن وافق تركه، ومن أبى كحله. فمنهم من وافق وتنصر، ومنهم من امتنع
فكحل، وعرض على رجل منهم أن ينتصر فصاح وقال: الجنة معدة للإسلام، والنار معدة
لكم فقال: هذا رجل ثابت على دينه وأطلقه، وكتب له ورقة للطريق.
وفي سنة ثمان وستين وستماية خلص السلطان عز الدين وأهله من الاعتقال، وسبب ذلك
أن منكوتمر بن طغان جهز عسكر إلى اسطنبول، فأغاروا عليها، وأخذوا عز الدين من
القلعة التي كان بها، وأحضروه إلى منكوتمر، فأكرمه وأحسن إليه وأقام ببلاده قرم، وتزوج
بها، واستمر إلى أن توفي في سنة سبع وسبعين وستماية.
قتل ركن الدين قلج
أرسلان وولاية ابنه غياث الدين كيخسرو
وفي سنة ست وستين وستماية دبر البرواناه على السلطان ركن الدين، واتفق مع التتار
الذين عنده على قتله ليتمكن من البلاد. فعمل وليمة واجتمع فيها التتار، واستدعوا

السلطان فحضر إليهم وأكل وشرب، فقاموا إليه وخنقوه بوتر، فمات، واستقر في الملك بعده
ولده السلطان غياث الدين كيخسرو، وله من العمر أربع سنين، واستولى البرواناه على
الحكم في المملكة الرومية، والله أعلم.
ذكر خبر البرواناه معين الدين سليمان وأصله وتنقله
أما أصله فمن الديلم. وكان والده مهذب الدين علي. حضر وهو شاب في أيام السلطان
علاء الدين كيقباذ إلى سعد الدين المستوفى بالروم، وهو إذ ذاك نافذ الحكم، فسأله أن
يجري عليه جارياً في بعض المدارس، يكون درهماً في اليوم، يقتات به. وكان شاباً جميلاً
وسيماً من طلبة العلم، فمال إليه المستوفى فقال: أريد أن أتخذك ولداً وأخذه وقربه وأدناه
وأحسن إليه، وزوجه بابنته ثم اتفقت وفاة المستوفى، فوصف مهذب الدين للسلطان علاء
الدين بالكفاية والمعرفة والفضيلة، فقربه منه، وترشح للوزارة واستوزره وألقى إليه مقاليد
الدولة، ورزق مهذب الدين ولده معين الدين سليمان المسمى بالبرواناه.
وتقدم معين الدين في الدولة السلجقية إلى أن استولى على الحل والعقد. ولم يكن للسلطان
غياث الدين كيخسرو هذا معه في السلطنة غير الاسم. ومعين الدين هذا هو والد الأمير
علاء الدين علي بن البرواناه، أحد أمراء الدولة الناصرية. وولى القاهرة، ثم ولى نيابة دار
العدل الشريف، وتقدم على الجيوش. قال: واستمر غياث الدين كيخسرو في اسم السلطنة
بالروم إلى أيام السلطان أحمد في سنة إحدى وثمانين وستماية، فاستدعاه إلى الأردو، وعزله
عن السلطنة، ورسم له بالإقامة بارزنكان، فأقام بها إلى سنة اثنين وثمانين وستماية. فدس
عليه أرغون بن أبغا من خنقه بوتر فمات.
ولما عزل غياث الدين فوض السلطان أحمد السلطنة في الروم إلى السلطان مسعود ابن
السلطان غياث الدين كيكاووش ابن السلطان غياث الدين كيخسرو ابن السلطان علاء
الدين كيقباذ ابن السلطان غياث الدين كيخسرو ابن السلطان عز الدين قلج أرسلان ابن
الملك مسعود ابن الملك قلج أرسلان ابن الملك سليمان ابن الملك شهاب الدولة قتلمش بن

رسلان بيغو بن سلجق ملك المملكة الرومية، بعد عزل غياث الدين كيخسرو ابن ركن
الدين قلج أرسلان في أيام السلطان أحمد في سنة إحدى وثمانين وستماية، فاستمر وليس له
من الأمر شيء إلا اسم السلطنة خاصة، والحكم في المملكة الرومية للتتار وشحانهم "
جمع شحنة".
هذا آخر ما اتصل إلينا من أخبارهم إلى حين وضعنا هذا التأليف في سنة أربع عشرة
وسبعماية. فلنذكر أخبار الدولة الأتابكية، لأنها من فروع الدولة السلجقية، وبتمامها يتم
هذا الباب إن شاء الله تعالى.
الدولة الأتابكية
وهذه الدولة من فروع الدولة السلجقية كان ابتداؤها أولاً بحلب في سنة تسع وسبعين
وأربعماية، ثم انقطعت بقتل اقسنقر مدة ثم قامت بالموصل وحلب والشام وبمصر خطبة.
وقاعدة هذه الدولة وعمادها المشار إليه من ملوكها نور الدين محمود بن زنكي. ونحن نذكر
أصل هذا البيت الأتابكي وننقله إلى أن ملك نور الدين الشهيد وما انتهى إليه حال هذه
الدولة إلى حين انقراضها، فنقول أصل البيت الأتابكي اقسنقر التركي.
قسيم الدولة أقسنقر التركي
كان تركيا من أصحاب السلطان ركن الدولة ملكشاه السلجقي، وتربى معه من صغره
وهو من أترابه، واستمر في صحبته حتى أفضت إليه السلطنة، فكان من أعيان أمرائه،
واعتمد عليه في مهماته وزاد في علو مرتبته، ومما يدل على مكانته وعلو شأنه كونه لقب
قسيم الدولة مع صون الألقاب والمشاححة فيها في ذلك الوقت.
ولما ملك السلطان ملكشاه مدينة حلب كما ذكرناه في أخباره سلمها لقسيم الدولة في سنة
تسع وسبعين وأربعماية، وقيل في سنة ثمانين، فعمرها وأحسن السيرة فيها فمال الناس إليه
وأحبوه، ثم تسلم من الأمير نصر بن علي بن منقذ الكناني صاحب شيزر، اللاذقية
وأفامية وكفر طاب، فأشار الوزير نظام الملك على السلطان ملكشاه أن يسلم ذلك إلى
قسيم الدولة مع حماه ومنبج، فأقطعه السلطان جميع ذلك، فعظمت هيبته، وظهرت كفايته،

وقمع أهل الفساد والبغي. ثم استدعاه السلطان إلى العراق فقدم متجملاً بعسكر عظيم،
فاستحسن ذلك منه وعظمه وأعاده إلى أعماله.
وفي سنة أربع وثمانين ملك حصن أفامية والرحبة. واستمر قسيم الدولة كذلك إلى أن
مات السلطان ملكشاه في سنة خمس وثمانين، فجهز عند ذلك جيشاً إلى تكريت فملكها.
واتفق أن تاج الدولة تتش صاحب دمشق طمع بعد وفاة أخيه السلطان ملكشاه في
السلطنة، فسار من دمشق إلى حلب، فلم يمكن قسيم الدولة إلا موافقته والدخول في
طاعته. وكان من أمر تتش ما قدمناه في أخباره، وفارقه قسيم الدولة والتحق بالسلطان
بركياروق ولد صاحبه السلطان ملك السلطان ملك شاه كما قدمنا ذكر ذلك مبيناً.
ذكر قتل قسيم الدولة
قال: ولما فارق قسيم الدولة تتش واستمر في خدمة السلطان بركياروق وعاد تتش إلى
الشام، أمر بركياروق قسيم الدولة وبوزان صاحب حوران بالعود إلى بلادهما ليمنعا تتش
من التغلب عليهما، فعادا، وجمع تتش العساكر وسار نحو حلب، فاجتمع قسيم الدولة
وبوزان، وأمدهما السلطان بركياروق بالأمير كربوقا صاحب الموصل. فالتقوا مع تتش
بالقرب من تل السلطان على ستة فراسخ من مدينة حلب. فانهزم جيش قسيم الدولة
وأخذ أسيراً، فقتله تتش صبرا، ودخل بوزان وكربوقا حلب، فحصرهما تاج الدولة تتش
وفتحها وأخذهما، فقتل بوزان واعتقل كربوقا، فلم يزل إلى أن خلص في أيام الملك رضوان
بعد قتل تتش. وكان مقتل قسيم الدولة في سنة سبع وثمانين وأربعماية. وكان رحمه الله
حسن السيرة والسياسة كثير الإحسان إلى رعيته فكانوا في أيامه بين عدل غامر ورخص
شامل وأمن واسع، رحمه الله تعالى.
عماد الدين أتابك زنكي
بن قسيم الدولة اقسنقر
قال المؤرخون: لما قتل قسيم الدولة كان عمر ولده زنكي نحو عشر سنين، ولم يخلف من
الذرية غيره، فاجتمع مماليك والده عليه وأصحابه. فلما خلص قوام الدين كربوقا من

السجن، بعد قتل تتش في سنة تسع وثمانين وأربعماية، وملك حران ونصيبين والموصل
وماردين، وعظم شأنه وهو في طاعة السلطان بركياروق، أحضر مماليك قسيم الدولة،
وأمرهم بإحضار عماد الدين زنكي، وقال: هو ابن أخي، وأنا أولى الناس بتربيته فأحضروه
إليه، وأقطعهم كربوقا الإقطاعات السنية واستعان بهم في حروبه، وسار بهم إلى آمد
وصاحبها من أمراء التركمان، والتقوا فهزمهم كربوقا. وهو أول مصاف حضره زنكي بعد
قتل والده. ولم يزل عند كربوقا إلى أن توفي كربوقا في سنة أربع وتسعين وأربعماية. وملك
بعده موسى التركماني، فقتل ولم تطل مدته. ثم ملك الموصل شمس الدولة جكرمش، وهو
من مماليك السلطان ملكشاه، فاتخذ عماد الدين زنكي كالولد، فكان عنده إلى أن قتل في
سنة خمسماية. ثم ملك الموصل بعده جاولى سقاور، فاتصل به عماد الدين، وقد كبر
وظهرت شهامته. ولم يزل معه حتى عصى على السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه،
فأرسل السلطان الأمير مودود إلى الموصل، في سنة اثنتين وخمسماية، وأقطعه إياها، ففارقه
عماد الدين وغيره من الأمراء، والتحقوا بمودود، فأكرم زنكي وشهد حروبه.
ثم سار مودود إلى الشام ففتح في طريقه قلاعاً كانت للفرنج، ثم حضر عند أتابك ظغر
لتكين طغتكين صاحب دمشق وسار إلى طبرية وحاصرها، وقاتلوا قتالاً شديداً، فظهر من
عماد الدين زنكي شجاعة عظيمة، منها أنه كان في نفر وخرج الفرنج من البلد، فحمل
عليهم هو ومن معه فهزمهم، واستمر في حملته وهو يظن أن أصحابه يتبعونه، فتخلفوا عنه
وتقدم وحده إلى أن وصل إلى باب المدينة، وأثر رمحه فيه. وقاتل الفرنج عليه وحمى نفسه،
وعاد سالماً، فعجب الناس من إقدامه وسلامته. ثم عاد إلى دمشق صحبة الأمير مودود،
فخرج مودود لصلاة الجمعة، فلما صلى وانصرف، فبينما هو في صحن الجامع ويده
طغرلتكين وثب عليه إنسان فضربه بسكين، فحمل إلى بيت طغرلتكين فمات في بقية يومه،
وكان صائماً ولم يفطر، وقتل قاتله. قال: ولما قتل كتب ملك الفرنج إلى طغرلتكين:

إن أمة قتلت عميدها، في يوم عيدها، في بيت معبودها، حقيق على الله أن يبيدها ثم
أقطع السلطان الموصل وغيرها بعد قتل مودود للأمير جيوش بك، وسير معه ولده الملك
مسعود، كما ذكرناه. ثم جهز السلطان اقسنقر البرسقى في العساكر لقتال الفرنج، وكتب إلى
عساكر الموصل وغيرها يأمرهم بالمسير معه، فساروا وفيهم عماد الدين زنكي. وكان
يعرف في عساكر العجم زنكي الشامي، فسار اقسنقر إلى الرها وإلى سميساط وبلد
سروج، وقاتل الفرنج وأبلى زنكي في هذه المواقف بلاء حسناً. فعادت العساكر تتحدث بما
فعله، وعاد البرسقي وأقام زنكي بالموصل مع الملك مسعود، والأمير جيوش بك، إلى أن
أظهر العصيان على السلطان في سنة أربع عشرة وخمسماية، ثم استأمن الملك مسعود
لأخيه السلطان على ما قدمنا ذكر ذلك في أخبار الدولة السلجقية.
ابتداء حال عماد الدين زنكي وترقيه وتنقله في الولايات
كان ابتداء ولايته في سنة ست عشرة وخمسماية، وذلك أن السلطان محمود أقطع الأمير
اقسنقر البرسقي مدينة واسط وأعمالها، مضافاً إلى ما بيده من ولاية الموصل وشحنكية
العراق وغير ذلك. فسير البرسقي إليها عماد الدين زنكي وأمره بحمايتها، فسار إليها في
شعبان وقام بحمايتها أحسن قيام، وحضر مع الخليفة المسترشد بالله قتال دبيس بن صدقة
أمير الحلة. وكان لعماد الدين في ذلك آثار حسنة، وأقام إلى أن عزل اقسنقر البرسقي عن
شحنكية العراق ورجع إلى الموصل في سنة ثماني عشرة وخمسماية. وكان عماد الدين إذ
ذاك بالبصرة قد سيره البرسقي لحمايتها، فلما توجه البرسقي إلى الموصل أرسل إليه يأمره
باللحاق به، فقال لأصحابه: قد ضجرنا مما نحن فيه بالموصل، في كل يوم أمير جديد، ونحتاج
نخدمه، وقد رأيت أن أسير إلى السلطان محمود فأكون معه؛ فأشاروا عليه بذلك. فسار
إلى السلطان محمود فقدم عليه وهو بأصفهان، فأكرمه. وكان يقف عن يمين تخت السلطان
إلى جانبه لا يتقدم عليه غيره، وهي منزلة والده من قبله.
ثم بلغ السلطان محمود أن العرب تجمعت ونهبت البصرة، فأقطعها لعماد الدين زنكي،

وأعاده إليها، وهذه الولاية هي أول ولاياته من قبل السلطان، فضبط عماد الدين زنكي
البصرة وأعمالها وقام فيها أحسن قيام، وكف الأيدي عنها.
فلما وقع الاختلاف بين السلطان محمود والخليفة المسترشد بالله، وحضر السلطان إلى
بغداد وحصرها كما قدمنا ذكر ذلك، أرسل إلى عماد الدين زنكي وهو بواسط يأمره
بالحضور بنفسه ومعه المقاتلة في السفن وعلى الدواب.
ففعل عماد الدين زنكي ذلك وجاء
في موكب عظيم في البر والبحر، فركب السلطان للقائه، ورأى الناس من ذلك ما هالهم،
وعظم عماد الدين في أعينهم. ثم حصل الاتفاق بعد ذلك بين السلطان والخليفة كما
ذكرنا.

ولاية عماد الدين زنكي
شحنكية العراق

وفي شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وخمسماية أسند السلطان محمود شحنكية
العراق إلى الأمير عماد الدين زنكي. وسبب ذلك أن السلطان لما عزم على المسير عن
بغداد إلى همذان، نظر فيمن يصلح لشحنكية العراق ممن يأمن جانبه مع الخليفة. واعتبر
أعيان دولته، فلم ير فيهم من يقوم بأعباء هذا الأمر مقامه، فاستشار أصحابه في ذلك فكل
أشار عليه به عماد الدين وقالوا: لا يقدر على سد هذا الخرق، وإعادة ناموس هذه الولاية،
ولا يقوى نفس حد على ركوب هذا الخطر، غير عماد الدين زنكي، ففوض إليه ولايتها،
مضافاً إلى ما بيده من الإقطاع. وكانت شحنكية العراق من أعظم الولايات. وسار
السلطان عن بغداد وقد اطمأن من جهة العراق. ولم يطل مقام زنكي ببغداد حتى انتقل إلى
ولاية الموصل.

ولاية عماد الدين زنكي الموصل وأعمالها

كانت ولاية عماد الدين زنكي الموصل وأعمالها في سنة إحدى وعشرين وخمسماية.
وسبب ذلك أن اقسنقر البرسقي لما قتل على ما ذكرناه، وولى بعده ابنه مسعود في ثامن
ذي القعدة سنة عشرين وخمسماية، فمات مسعود في سنة إحدى وعشرين وهو يحاصر
الرحبة. فمات مات قام بعده أخر له صغير، واستولى على البلاد جاولى مملوك أبيه، ودبر

أمر الصبي وأرسل إلى السلطان يطلب تقرير أعمال الموصل على الصغير ولد اقسنقر
البرسقي، وبذل الأموال الكثيرة على ذلك. وكان الرسول في ذلك القاضي بهاء الدين على
ابن القاسم الشهرزوري وصلاح الدين محمد الباغسياني أمير حاجب البرسقي، فسارا
حتى حضرا دركاة السلطان ليخاطباه في ذلك. وكانا يكرهان جاولي ويخافانه، ولا يرضيان
بطاعته، اجتمع صلاح الدين مع نصير الدين جغر الذي صار ينوب عن عماد الدين. فذكر
له صلاح الدين ما ورد فيه، وكان بينهما صهارة فخوفه نصير الدين من جاولي، وقبح عنده
طاعته، وقرر في نفسه أن جاولي إنما أبقاه لحاجته إليه وأنه متى أجيب إلى مطلوبه لا يبقى
على أحد منهم، وحسن له المخاطبة في ولاية عماد الدين زنكي، وضمن له الولايات
والإقطاعات الكبيرة وكذلك للقاضي بهاء الدين، فقاما وركبا إلى دار الوزير شرف الدين أنو
شروان بن خالد، واجتمعا به وقالا له: قد علمت وعلم السلطان أن ديار الجزيرة والشام قد
تمكن الفرنج منهما، وقويت شوكتهم بها، واستولوا على أكثرها، وقد أصبحت ولايتهم من
حدود ماردين إلى عريش مصر، ما عدا البلاد الباقية للمسلمين. وكان البرسقي بشجاعته
وانقياد العساكر إليه، يكف بعض عاديتهم وشرهم، وقد زاد طمعهم منذ قتل، وولده هذا
طفل صغير، ولابد للبلاد من رجل شهم شجاع ذى رأي وتجربة، يذب عنها، ويحمى
حوزتها. وقد أنهينا الحال لئلا يجري خلل أو وهن على الإسلام والمسلمين فيختص اللوم
بنا ويقال لم لا أنهيتم إلينا جلية الحال، فرفع الوزير قولهما إلى السلطان فاستحسنه
وشكرهما عليه، وأحضرهما واستشارهما فيمن يصلح للولاية، فذكرا جماعة فيهم عماد
الدين زنكي، وبذلا عنه تقرباً إلى خزانة السلطان مالاً جليلاً، فأجاب السلطان إلى ولايته،
فأحضره وولاه جميع تلك البلاد، وكتب منشورة بها، وسار عماد الدين زنكي إليها فبدأ
بالبوازيج ليملكها ويتقوى بها ويجعلها ظهره، لأنه خاف من جاولي أنه ربما يصده عن
البلاد. ثم سار عن البوازيج إلى الموصل، فلما سمع جاولي بقربه خرج إلى لقائة ومعه سائر

العسكر، وترجل عند مقابلته، وقبل الأرض بين يديه، وعاد في خدمته إلى الموصل، فدخلها
في شهر رمضان من السنة. وأقطع جاولي الرحبة وسيره إليها، وولي نصير الدين دزدارية
قلعة الموصل وجعل إليه سائر دزدارية القلاع، وجعل صلاح الدين محمد أمير حاجب،
وبهاء الدين علي الشهرزوري قاضي القضاة بجميع بلاده، وزاده إقطاعاً وأملاكاً، وكان لا
يصدر إلا عن رأيه.
فلما فرغ من أمر الموصل سار عنها إلى جزيرة ابن عمرو بها مماليك البرسقي، فامتنعوا
عليه فحصرهم وراسلهم، وبذل لهم البذول الكثيرة على التسليم، فلم يجيبوه إلى ذلك فجد
في قتالهم. وكان بينه وبين البلد دجلة، فأمر الناس بإلقاء أنفسهم في الماء، ففعلوا وعبروا
سباحة وعبر بعضهم في السفن والأكلاك، وتكاثروا على أهل الجزيرة. وكانوا قد خرجوا
إلى أرض بين الجزيرة ودجلة، تعرف بالزلاقة، ليمنعوا عسكر عماد الدين، فلما رأوه قد عبر
دجلة انهزموا ودخلوا البلد، وأرسلوا في طلب الأمان، فأمنهم ودخل البلد بعسكره. ثم
زادت دجلة في تلك الليلة زيادة عظيمة لحقت سور البلد، وصارت الزلاقة مملوءة بالماء، فلو
أقام بها عماد الدين تلك الليلة هلك هو وعسكره ولم يسلم منهم أحد، فأيقن الناس
بسعادته.
ثم سار عن الجزيرة إلى نصيبين، وكانت لحسام الدين تمرتاش ابن إيلغازي صاحب ماردين،
فلما نازلها سار حسام الدين إلى ابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان بن أرتق صاحب
حصن كيفا فاستنجده على أتابك زنكي، فوعده النجدة بنفسه وجميع عسكره. وعاد
تمرتاش إلى ماردين، وأرسل رقعة على جناح طائر إلى نصيبين، يعرف من بها من العسكر
أنه وابن عمه واصلان إليهم بالعسكر الكثير لدفع زنكي عنهم، ويأمرهم بحفظ البلد خمسة
أيام. فبينما أتابك زنكي في خيمته وإذا بطائر سقط على الخيمة وهو ينظر إليه، فأمر
بمسكه فمسك، فرأى فيه الرقعة فقرأها، وأمر بكتب غيرها يقول: إنني مضيت إلى ركن
الدولة وقد وعدني النصرة بجميع العساكر وما نتأخر عن الوصول أكثر من عشرين يوماً

وأمرهم بحفظ البلد هذه المدة، إلى أن يصلوا وجعلها على الطائر، وأرسله. فوصل إلى
نصيبين فلما قرأ من بها الرقعة، سقط في أيديهم، وعلموا عجزهم عن حفظ البلد هذه
المدة، فأرسلوا إلى زنكي وصالحوه وسلموا إليه البلد، فبطل على داود وتمرتاش ما كانا
عزما عليه.
ولما ملك نصيبين سار عنها إلى سنجار، فامتنع من بها عليه ثم صالحوه وسلموها إليه،
وسير منها الشحن إلى الخابور فملكه جميعه. ثم سار إلى حران وهي للمسلمين. وكانت
الرها وسروج والبيرة وتلك النواحي جميعها للفرنج، وأهل حران معهم في ضر عظيم،
وضيق شديد، لخلو تلك البلاد من حامي يذب عنها. فلما قاربها خرج أهل البلد إلى
لقائه، وسلموها إليه، فأرسل إلى خوستكين صاحب الرها، وتلك البلاد وهادنه مدة يسيرة،
وكان غرضه أن يتفرغ لإصلاح البلد، ويحشد، ويملك حلب والشام، ثم يقاتل الفرنج.
ذكر ملك عماد الدين حلب
وفي المحرم سنة اثنتين وعشرين وخمسماية، ملك عماد الدين زنكي حلب وقلعتها. وسبب
ذلك أنها كانت بيد قرمان نيابة عن عز الدين مسعود بن اقسنقر البرسقي. ثم استناب
بعده قتلغ فوصل إليها بعد وفاة مسعود، وتسلمها. ثم ثار به أهل المدينة وسلموها إلى
سليمان بن عبد الجبار. فسير عماد الدين إليها الأمير سنقردار والأمير حسن قراقوش في
عسكر قوى، ومعهما التوقيع من السلطان لعماد الدين بالموصل والجزيرة والشام. فوصلا إلى
حلب وسيرا قتلغ وابن عبد الجبار إلى عماد الدين بالموصل، فسار إليه وأقام حسن
قراقوش بحلب والياً عليها. فلما وصل بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار وقتلغ إلى عماد
الدين أصلح بينهما، ولم يردهما إلى حلب، وسير حاجبه صلاح الدين محمد الباغسياني في
عسكر إلى حلب، فصعد إلى قلعتها ورتب الأمور، وجعل فيها والياً. وسار عماد الدين
إلى الشام في جيوشه، فملك في طريقه مدينة منيح وبزاعة، ووصل إلى حلب، فتلقاه أهلها،
فدخلها ورتب أحوالها، وجعل رئاستها لأبي الحسن على بن عبد الرزاق.

ذكر ملكه مدينة حماه
وفي سنة ثلاث وعشرين ملك عماد الدين زنكي مدينة حماة.
وسبب ذلك أنه أظهر أنه
يريد جهاد الفرنج، وأرسل إليه تاج الملوك بوري بن أتابك
طغرتكين صاحب دمشق
يستنجده، ويطلب منه معونته على جهاد الفرنج، وكانوا قد
حصروا دمشق. فأجاب إلى
ذلك وجرد تاج الملوك عسكراً من دمشق، وأرسل إلى ابنه سونج
وهو بمدينة حماه يأمره
بالنزول إلى العسكر والمسير به إلى زنكي. ففعل وساروا
جميعهم فوصلوا إليه، فأكرمهم
وأحسن لقاءهم، وتركهم أياماً، ثم قبض على سونج بن تاج
الملوك، وعلى جماعة من
الأمراء والمقدمين، وأنهب خيامهم وما فيها واعتقلهم بحلب.
وسار من يومه إلى حماة،
فوصل إليها وهي خالية من الجند فاستولى، عليها، وحل عنها
إلى حمص. وكان صاحبها
خيرخان بن قراجا في عسكر عماد الدين، وهو الذي أشار عليه
بالقبض على تاج الملوك،
فقبض عليه أيضاً. ونزل على حمص، وطلب منه أن يأمر أصحابه
وولده بحمص بتسليمها،
فأرسل إليهم فلم يفعلوا، فحصرها مدة طويلة، ثم رحل عنها
وعاد إلى الموصل.
ذكر ملكه حصن الأثارب وهزيمة الفرنج
قال: ولما فرغ عماد الدين من أمر البلاد الشامية، رجع إلى
الموصل فأراح واستراح، وأمر
أصحابه بالاستعداد فاستعدوا. ورجع إلى حلب وعزم على قصد
حصن الأثارب، وهو
فيها بين حلب وانطاكية على ثلاثة فراسخ من حلب. وكان من
به من الفرنج يقاسمون أهل
حلب على جميع أعمالها الغربية حتى على رحى لأهل حلب
بظاهر باب الجنان، بينها
وبين البلد عرض الطريق. فلما علم الفرنج بقصده جمعوا
فارسهم وراجلهم واستبعدوا
وساروا نحوه، فتقدم إليهم والتقوا واقتتلوا واشتد القتال،
فانهزم الفرنج هزيمة قبيحة، وأسر
كثير من فرسانهم، وقتل كثير، وتقدم إلى الحصن فنازله
وفتحه عنوة، وعم من فيه بالقتل
والأسر وأخربه، وجعله دكا. ثم سار إلى قلعة حارم وهي بالقرب
من انطاكية فحصرها،
فبذل الفرنج نصف دخل بلد حارم وهادنوه فأجابهم إلى ذلك،
وعاد عنهم وقد اشتد أزر

المسلمين وصار قصار الفرنج حفظ ما بأيديهم، وذلك في سنة أربع وعشرين وخمسماية.
ولما عاد إلى ديار الجزيرة ملك سرجا ودارا وهما من أعمال ركن الدولة صاحب حصن
كيفا.
وفي سنة ست وعشرين سار عماد الدين بالعساكر من الموصل إلى العراق لنصرة السلطان
مسعود بعد وفاة السلطان محمود. وكان مسعود قد كاتبه واستنجد به، فسار إليه ومعه
الأمير دبيس بن صدقة فسار حتى نزل إلى البادية. وخرج الخليفة المسترشد بالله لحربه -
وذلك في سابع عشرين شهر رجب من السنة - والتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، فحمل عماد
الدين على ميمنة الخليفة وبها جمال الدولة إقبال فهزمها، فحمل الخليفة بنفسه واشتد القتال
فانهزم دبيس، وأراد عماد الدين الصبر فرأى الناس قد تفرقوا عنه فانهزم، وقتل من العسكر
جماعة.
ثم سار المسترشد وحاصر الموصل كما ذكرناه في أخباره. وأن سبب ذلك أن الخليفة
أرسل الشيخ بهاء الدين أبا الفتوح الاسفرايني الواعظ إلى عماد الدين برسالة فيها خشونة،
زادها الشيخ أبو الفتوح زيادة ثقة بقوة الخليفة وناموس الخلافة، فقبض عليه عماد الدين
وأهانه ولقبه بما يكره. فسار الخليفة في النصف من شعبان سنة سبع وعشرين ونازل
الموصل، ففارقها زنكي ببعض العسكر، وترك بعضه مع نائبه نصير الدين جقز دزدار
القلعة. ووصل عماد الدين إلى سنجار وقطع الميرة عن عسكر الخليفة وتخطف من ظفر به
من العسكر. وقام الحصار ثلاثة أشهر، ثم رحل الخليفة عنها ولم يظفر منها بشيء.
وفي مدة الحصار ملك شمس الملوك إسماعيل بن تاج الملوك صاحب دمشق مدينة حماة.
ذكر حصره مدينة آمد وملكه قلعة الصور
وفي سنة ثمان وعشرين وخمسماية اجتمع عماد الدين أتابك زنكي وتمرتاش صاحب
ماردين، وحصرا مدينة آمد فأرسل صاحبها إلى داود بن سقمان صاحب حصن كيفا
يستنجده، فجمع عساكره وغيرها وسار نحو آمد ليرحلهما عنها، فالتقوا على بابها،

واقتتلوا في جمادي الآخرة. فانهزم داود وقتل جماعة من عسكره. ولم يبلغ عماد الدين من
آمد غرضاً، فقصد قلعة الصور من ديار بكر، وحصرها وضايقها، فملكها في شهر رجب
واتصل به ضياء الدين أبو سعيد الكفرتوثي فاستوزره، وكان حسن السيرة عظيم الرياسة
والكفاية، والله أعلم.
ذكر ملكه قلاع الأكراد الحميدية
وفي سنة ثمان وعشرين وخمسماية أيضاً استولى عماد الدين زنكي على جميع قلاع الأكراد
الحميدية منها قلعة العقر وقلعة شوش وغيرهما. وكان لما ملك الموصل أقر صاحبها الأمير
عيسى الحميدي على ولايتها وأعمالها، فلما حضر المسترشد الموصل حضر عيسى إليه
وجميع الأكراد معه. فلما رحل المسترشد أمر عماد الدين بحصر قلاع الأكراد فحصرت
مدة طويلة، وقوتل من بها إلى أن ملكت في هذه السنة، فاطمأن حينئذ أهل السواد
المحاورين لهذه القلاع، لأنهم كانوا مع الأكراد في ضيق عظيم من نهب أموالهم.
وفيها صلح أمر زنكي مع الخليفة.
ذكر حصره مدينة دمشق
وفي سنة تسع وعشرين وخمسماية نازل عماد الدين أتابك زمكي مدينة دمشق، وحصرها
في جمادي الأولى. وكان سبب ذلك أن صاحبها شمس الملوك كان قد كتب إليه يستدعيه
ليسلم إليه البلد، فسار إليها، فقتل شمس الملوك قبل وصوله وملك أخوه شهاب الدين
محمود كما ذكرناه. فاستمر في مسيره فحاصرها. فأتاه وهو في الحصار رسول الخليفة
بالخلع، ويأمره بمصالحة صاحب دمشق والرحيل عنها فصالحهم، وخطب له بدمشق ورحل
عنها لليلتين بقيتا من جمادي الأولى من السنة.
وفي سنة ثلاثين وخمسماية استنصر الخليفة الراشد بالله بعماد الدين على السلطان مسعود
كما ذكرناه في أخبار الدولة العباسية فجاء إليه هو وأصحاب الأطراف إلى بغداد. وكان
بين الخليفة والسلطان ما ذكرناه من غلبة السلطان مسعود ومسير الخليفة إلى الموصل مع
عماد الدين، وقد شرحنا ذلك مبينا في أخبار الدولة العباسية، فلا فائدة في إعادته، وإنما
نبهنا عليه في هذا الموضع جرياً على القاعدة.

ولما خلع الراشد وبويع للمقتفي لأمر الله، أرسل إليه عماد الدين محمد بن عبد الله
الشهرزوري، فحضر إلى الديوان، فأمر الخليفة أن يعطى أتابك زنكي صريفي ودرب هرون
وجرى ملكا، وهي من خاص الخليفة، وزاد في ألقابه وقال: هذه قاعدة لم يسمح بها لأحد
ن زعماء الأطراف أن يكون لهم نصيب من خاص الخليفة. فعظم بذلك شأنه، وبايع
للمقتفي لأمر الله وخطب له بالموصل.
غزاة العسكر إلى بلاد الفرنج
وفي شعبان سنة ثلاثين وخمسماية جهز عماد الدين أتابك زنكي عساكره مع الأمير أسوار
نائبه بحلب، فقصدوا بلد الفرنج على حين غفلة منهم، وساروا نحو جهة اللاذقية، فنهبوا
منها شيئاً كثيراً، وقتلوا وأسروا سبعة آلاف أسير ما بين رجل وامرأة وصبي، وغنموا ماية
ألف رأس من الدواب، ما بين فرس وحمار وبقر وغنم، وغنموا غير ذلك من الأقمشة والعين
والحلى ما لا يدخل تحت الإحصاء وخربوا بلاد اللاذقية وما جاورها، ورجعوا بالظفر
والغنيمة، والله أعلم
ذكر ملكه قلعة بعرين وهزيمة الفرنج
وفي سنة إحدى وثلاثين وخمسماية حصر عماد الدين زنكي حمص، وهي لصاحب
دمشق، فلم ينل منها غرضاً. فرحل عنها إلى بعرين وهي للفرنج، فحاصرها في شوال،
وهي من أمنع الحصون وأحصنها، وزحف عليها، فجمع الفرنج فارسهم وراجلهم وساروا
بملوكهم وقمامصتهم وكنودهم ليرحلوه عنها. فالتقوا واقتتلوا واشتد القتال، فأجلت الوقعة
عن هزيمة الفرنج، وأخذتهم سيوف المسلمين من كل ناحية، فاحتمى ملوكهم وفرسانهم
بحصن بعرين لقربه، فحصرهم. فدخل القسوس والرهبان إلى بلاد الفرنج والروم وما ولاها
من بلاد النصرانية مستنفرين على المسلمين، وقالوا: إن المسلمين ليس لهم همة إلا قصد
البيت المقدس فاجتمعت ملوك النصرانية وصاروا على الصعب والذلول وقصدوا الشام،
وجد عماد الدين في الحصار، فقلت الأقوات عندهم، فسألوا الأمان على أن يتركهم يتوجهوا
إلى بلادهم. فلم يجب إلى ذلك، إلى أن بلغه أن ملك الروم قد أقبل بجموع الفرنج

والنصرانية، فآمنهم على تسليم الحصن وخمسين ألف دينار. ففعلوا ذلك. فلما فارقوا
الحصن بلغهم اجتماع الروم والفرنج بسببهم، فندموا على تسليمه وفتح عماد الدين في مقامه
المعرة وكفر طاب من الفرنج.
ولما فتح المعرة حضر إليه أهلها أرباب الأملاك، وطلبوا أملاكهم فطلب منهم كتبها
فاعتذروا أنها عدمت عندما ملكها الفرنج، فأمر بإحضار دفاتر الديوان بحلب، وكشف
منها فمن وجد باسمه خراج فيها عن ملك سلمه إليه أو لعقبه إن كان قد مات. وأعاد
الأملاك بهذه الطريق. وهذه غاية في الإحسان وفي تسهيل البر والخير ونهاية في العدل
وفيها سار عماد الدين إلى دقوقا وملكها بعد قتال شديد
ذكر ملكه مدينة حمص وغيرها من أعمال دمشق
وفي المحرم سنة اثنتين وثلاثين وخمسماية وصل زنكي إلى حماة، وسار منها إلى بقاع بعلبك،
فملك حصن المجدل وسار إلى حمص وحصرها وملكها وراسله مستحفظ بانياس وأطاعه
وكان لصاحب دمشق، وبعث إلى شهاب الدين محمود صاحب دمشق يخطب أمه زمرد
خاتون ابنة جاولي، فتزوجها وحملت إلي.
ذكر وصول ملك الروم إلى الشام وملكه بزاعة وما فعله بالمسلمين
كان ملك الروم صاحب القسطنطينية قد دخل إلى البلاد في سنة إحدى وثلاثين
وخمسماية، وخرج على انطاكية وسار إلى أذنه والمصيصة، وهما بيد ابن لاون الأرمني
صاحب الدروب فحصرها وملكها ورحل إلى عين زربة فملكها عنوة، وملك تل حمدون
وحمل أهله إلى جزيرة قبرص، وعمر ميناء اسكندرونه ثم خرج إلى الشام فحصر مدينة
انطاكية في ذي القعدة فصالحه صاحبها ريمند الفرنجي، فرحل عنها إلى بغراس ودخل ابن
ليون في طاعته.
ثم سار إلى الشام في سنة اثنتين وثلاثين وقصد بزاعة فحصرها وهي مدينة لطيفة على
ستة فراسخ من حلب، فملكها بالأمان في الخامس والعشرين من رجب، ثم غدر بأهلها
فقتل منهم وسبى فتنصر قاضيها وجماعة من أهلها وأعيانها نحو من أربعماية نفس. وأقام

الروم عشرة أيام يطلبون من اختفى، ودخنوا على من دخل المغاير، فهلكوا. ثم رحل ملك
الروم إلى حلب ونزل على قويق ومعه الفرنج الذين بساحل الشام، وكان عماد الدين يحاصر
حمص فلما بلغه خبرهم، سير طائفة من العسكر ليحفظوا حلب منهم، فلما نزلوا على
حلب خرج إليهم أحداث البلد وقاتلوهم قتالاً شديداً، فقتل كثير من الروم وجرح كثير،
وقتل بطريق عظيم عظيم القدر عندهم. فأقاموا ثلاثة أيام ورحلوا إلى قلعة الأثارب،
فخاف من بها من المسلمين فهربوا عنها في تاسع شعبان، فملكها الروم وتركوا فيها سبايا
بزاعة والأسرى، ومعهم جمع كثير من الروم يحفظونهم، سار بمن عنده من العسكر إلى
الأثارب فأوقع بالروم وقتلهم وخلص الأسرى وعاد إلى حلب.
وأما عماد الدين فإنه فارق سحمص وسار إلى سلمية فنزلها، وعبر ثقله الفرات إلى الرقة،
وأقام جريدة. وقصد الروم شيزر، وهي من أمنع الحصون وكانت للأمير أبي المعالي سلطان
بن علي بن منقذ الكناني، فنازلوها وحاصروها ونصبوا عليها ثمانية عشر منجنيقاً فأرسل
صاحبها إلى عماد الدين يستنجده، فسار إليه ونزل على نهر العاصي بينها وبين حماه،
فكان يركب بعسكره إلى شيزر ويقفون حيث يراهم الروم، ويرسل السرايا فتأخذ من
ظفرت به منهم. ثم أرسل إلى ملك الروم يقول: إنكم قد تحصنتم مني بهذه الجبال، فانزلوا
عنها إلى الصحراء حتى نلتقي، فإن ظفرت بكم أرحت المسلمين منكم وإن ظفرتم بي
استرحتم وأخذتم شيزر وغيرها. ولم تكن له بهم قوة، وإنما كان يرهبهم بهذا القول
وأشباهه، فأشار فرنج الشام على ملك الروم بقتاله وهونوا عليه أمره، فلم يفعل، وقال:
أتظنون أن ليس لهم من العسكر إلا ما ترون، إنما هو يريد أن تلقوه فيأتيه من نجدات
المسلمين ما لا يحد وكان عماد الدين يرسل إلى ملك الروم يقول إن فرنج الشام خائفون منه،
ولو فارق مكانه لتخلفوا عنه. ويرسل إلى الفرنج فيقول: إن ملك ملك الروم من الشام حصنا
واحداً ملك الروم من شيزر في شهر رمضان وكان مقامه عليها أربعة وعشرين يوماً وترك

المجانيق وآلات الحصار كما هي، فسار عماد الدين يتبع ساقة العسكر، فظفر بكثير منهم
ممن تخلف.
ملك عماد الدين بعلبك
وفي ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وخمسماية ملك عماد الدين زنكي مدينة بعلبك وهي
لصاحب دمشق. وسبب ذلك أن شهاب الدين محمود صاحب دمشق قتله غلمانه في هذه
السنة كما ذكرنا، وملك بعده أخوه جمال الدين محمد. وكانت والدة محمود زوجة عماد
الدين بحلب، فوجدت لذلك وجداً عظيماً وحزنت حزناً شديداً وكتبت إلى أتابك زنكي
وهو بالجزيرة تعرفه بالحادثة ونطلب أن يقصد دمشق ويطلب ثأر ولدها. فبادر إلى ذلك ولم
يتوقف وعبر الفرات عازماً على قصد دمشق. فبلغ ذلك صاحبها فاحتاط واستعد،
وسار عماد الدين إلى بعلبك فوصل إليها في العشرين من ذي القعدة، وضيق على أهلها
ونصب عليها أربعة عشر منجنيقاً ترمي ليلاً ونهاراً. فأشرف أهلها على الهلاك. فطلبوا
الأمان فأمنهم وتسلم المدينة. وبقيت القلعة وبها جماعة من شجعان الأتراك، فلما أيسوا
من نصرة معين الدين أتابك صاحب دمشق - وكانت بعلبك له - فطلبوا الأمان، فأمنهم
وتسلم القلعة منهم. ثم غدر بهم وصلبهم ولم ينج منهم إلا القليل. فاستقبح الناس ذلك من
فعله واستعظموه وحذروه ونفروا منه.
قال: ولما فتح بعلبك كان لمعين الدين بها جارية وكان يهواها، فأخذها زنكي وسيرها إلى
حلب، فلم تزل بها إلى أن قتل زنكي، فسيرها نور الدين إلى معين الدين، فكانت أعظم
أسباب المودة بينهما. قال:
ولما فرغ عماد الدين من بعلبك سار إلى دمشق في شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين
وخمسماية ونزل على داريا، فقاتله أهل دمشق فكسرهم وتقدم إلى المصلى فقاتلوه مرة بعد
أخرى. كل ذلك والظفر له عليهم. وأرسل إلى صاحب دمشق يبذل له بعلبك وحمص
وغيرها مما يختاره من البلاد، فمال إلى تسليمها، فحذره أصحابه وخوفه عاقبة غدره،
فامتنع من الإجابة فعاد عماد الدين القتال والزحف. واتفقت وفاة جمال الدين صاحب

دمشق في ثامن شعبان، وولى بعده ابنه مجير الدين أبق، فاشتد طمع عماد الدين وزحف
زحفاً شديداً، فلما رأى أتابك أنر أن عمدا الدين لا يندفع عنهم، راسل الفرنج واستنصر
بهم، فاجتمعت الفرنج وعزموا على المسير لدفعه عن دمشق، فعلم عماد الدين بذلك
فتوجه إلى حوران في خامس عشر رمضان عازماً على لقاء الفرنج قبل أن يجتمعوا مع
الدماشقة. فلما بلغ الفرنج خبره لم يتحركوا من بلادهم، فعاد إلى حصار دمشق ونزل بعذرا
شماليها في سادس شوال، وأحرق عدة من قرى المرج والغوطة، ورحل إلى بلاده.
ثم وصل الفرنج إلى دمشق، وكان معين الدين قد بذل لهم أنه يحاصر بانياس ويسلمها إليهم،
وكانت في طاعة زنكي. ففعل معين الدين ذلك وسلمها للفرنج.
فلما بلغ عماد الدين ذلك
رجع إلى بعلبك وفرق عساكره للإغارة على بلد حوران وأعمال دمشق. وسار جريدة،
فنزل على دمشق بخواصه في آخر الليل، ولم يعلم به أحد من أهلها. فلما أصبح الناسر
ورأوا عسكره ارتج البلد، واجتمع العسكر والعامة على السور، وخرجوا إليه فقاتلوه، فلم
يمكنه الإقدام على القتال لتفرق عساكره، فأحجم عنهم وعاد إلى مرج راهط، وأقام ينتظر
عود عسكره، فعادوا إليه وقد ملأوا أيديهم من الغنائم فلما اجتمعوا رحلوا إلى بلاده.
ذكر ملكه شهرزور وأعمالها
وفي سنة أربع وثلاثين وخمسماية ملك عماد الدين زنكي شهرزور وأعمالها وما يجاورها
من الحصون، وكانت بيد قفجاق بن أرسلان تاش التركماني. وكان حكمه على سائر
التركمان، قاصيهم ودانيهم، وكلمته لا تخالف، يرون طاعته فرضاً؛ وتحاماه الملوك، وأتاه
التركمان من كل فج عميق. فلما كان في هذه السنة سير أتابك عماد الدين عسكراً، فجمع
قفجاق أصحابه ولقيهم، واقتتلوا فانهزم قفجاق واستبيح عسكره، وسار الجيش الأتابكي
في أعقابهم فحصروا الحصون والقلاع وبذلوا الأمان لقفجاق فسار إليهم، وانخرط في سلك
العسكر وسار في الخدمة هو وابنه من بعده.
وفي سنة خمس وثلاثين وخمسماية كان بين أتابك زنكي وبين داود بن سقمان بن أرتق

صاحب حصن كيفا حرب شديدة انهزم فيها داود، وملك زنكي من بلاده قلعة بهمود،
وأدركه الشتاء فعاد إلى الموصل.
وفيها خطب له بمدينة آمد وصار صاحبها في طاعته، وكان قبل ذلك موافقاً لداود على
قتال زنكي فلما قوة زنكي سار معه.
وفيها أغار العسكر الأتابكي من حلب على بلد الفرنج، فأخربوا ونهبوا وظفروا بسرية
للفرنج، فقتلوا منهم وكان عدة من قتل سبعماية رجل.
توفي ضياء الدين أبو سعيد الكفرتوثي وزير عماد الدين أتابك زنكي، وكان رحمه الله
حسن كريماً رئيساً
ذكر ملك عماد الدين زنكي قلعة آشب وغيرها من بلاد الهكارية
وفي سنة سبع وثلاثين وخمسماية أرسل عماد الدين جيشاً إلى قلعة آشب، وكانت أعظم
حصون الأكراد الهكارية وأمنعها، وبها أموالهم وأهلوهم.
فحصرها الجيش الأتابكي
وضيق على من بها وملكها، فأمر عماد الدين بهدمها، وبنى القلعة العمادية وكانت العمادية
حصناً عظيماً من حصونهم فخربوه لكبره، لأنه كبير جداً، فعجزوا عن حفظه فخربت
الآن آشب وعمرت العمادية. والعمادية نسبة إلى عماد الدين زنكي. وكان نصير الدين
جقر نائب عماد الدين بالموصل قد فتح أكثر القلاع الجبلية.
ذكر صلحه والسلطان مسعود
وفي سنة ثمان وثلاثين وخمسماية وصل السلطان مسعود إلى بغداد على عادته، وجمع
العساكر وتجهز لقصد بلاد زنكي، وكان قد حقد عليه واتهمه أنه أفسد عليه أصحاب
الأطراف وحضرهم على الخروج على السلطان. فلما بلغ زنكي ذلك أرسل إلى السلطان
يستعطفه ويستميله، وأرسل إليه السلطان أبا عبد الله بن الأنباري في تقرير القواعد،
فاستقرت القاعدة على مائة ألف دينار، يحملها عماد الدين إلى السلطان ليعود عنه، فحمل
منها عشرين ألف دينار أكثرها عروضاً. ثم تنقلت الأحوال بالسلطان حتى احتاج إلى
مداراة زنكي، فأطلق له ما بقي. ومن جيد الرأي ما فعله عماد الدين زنكي في هذه
الحادثة، فإن ولده الأكبر سيف الدين غازي كان لا يزال عند السلطان - سفراً وحضراً -

بأمر والده، فأرسل إليه الآن يأمره بالهرب من عند السلطان إلى الموصل، وأرسل إلى نائبه
بالموصل أن يمنع ابنه المذكور من الدخول. فلما هرب غازي أرسل إليه يأمره بالعود إلى
السلطان، ولم يجتمع به، وأرسل معه رسولاً إلى السلطان يقول: إن ولدي هرب خوفاً لما رأى
تغير السلطان علي، وقد أعدته، ولم أجتمع به فإنه مملوكك والبلاد لك فوقع ذلك من
السلطان بموقع عظيم، ومال إلى زنكي

ذكر ملكه بعض ديار بكر

وفي سمو ثمان وثلاثين وخمسماية سار عماد الدين زنكي إلى ديار بكر، فملك بها عدة
حصون منها مدينة طنزة ومدينة أسعرد ومدينة المعدن التي يعمل بها النحاس، ومدينة
حيزان وحصن الرونق، وحصن قطليس، وحسن باناسا وحصن ذي القرنين وغير ذلك.
وأخذ من بلاد ماردين مما هو بيد الفرنج حملين والموزر وتل موزر وغيرها من حصون
شبختان، ورتب أمور الجميع وجعل فيها من يحفظها. وقصد مدينة آمد وحاني فحصرهما
وأقام بتلك الناحية. وفيها سير عسكراً إلى مدينة عانة من أعمال الفرات فملكها.

ذكر فتح الرها وغيرها من بلاد الجزيرة مما هو بيد الفرنج

وفي سادس جمادي الآخرة سنة تسع وثلاثين وخمسماية فتح عماد الدين أتابك زنكي مدينة
الرها من حصون الفرنج الجزيرية. وكان ضررهم قد عم بلاد الجزيرة، ووصلت غاراتهم إلى
أدانيها وأقاصيها، وبلغت آمد ونصيبين ورأس عين والرقة وكانت مملكة الفرنج بهذه الديار
من قريب ماردين إلى الفرات مثل الرها وسروج والبيرة وسن بن عطير وحملين والموزر
والقرادى وغير ذلك. وكانت هذه الأعمال وغيرها مما هو غرب الفرات لجوسلين الفرنجي،
وكان صاحب رأي الفرنج والمقدم على عساكرهم، لما فيه من الشجاعة والمكر. وكان
عماد الدين يعمل أنه متى قصد حصرها اجتمع من الفرنج بها من يمنعها ويتعذر عليه ملكها
لما هي عليه من الحصانة، فاشتغل بديار بكر ليوهم الفرنج أنه غير متفرغ إلى قصد بلادهم.
فاطمأنوا وفارق جوسلين الرها وعبر الفرات إلى بلاده الغربية. فبلغ أتابك زنكي ذلك

فنادى في العسكر بالرحيل إلى الرها وجمع الأمراء عنده وقدم الطعام وقال: لا يأكل معي
على مائدتي هذه إلا من يطعن معي غداً في باب الرها. فلم يتقدم غير أمير واحد وصبي لا
يعرف، لما يعلمو من إقدام زنكي وشجاعته، وأن أحداً لا يقدر على مساواته في الحرب.
فقال الأمير لذلك الصبي: ما أنت في هذا المقام فقال أتابك زنكي: دعه فوالله إني أرى وجهه
لا يتخلف عني.
وسار والعسكر معه فوصل إلى الرها، فكان عماد الدين أول من حمل على الفرنج والصبي
معه، وحمل فارس من الفرنج على زنكي عرضاً فاعترضه ذلك الأمير فطعنه فقتله، وسلم
زنكي. ونازل البلد وقاتل عليه ثمانية وعشرين يوماً وملكه عنوة، وملك القلعة، ونهب
الناس الأموال، وقتلوا الرجال، وسبوا الذرية والنساء.
فلما رأى عماد الدين البلد أعجبه ورأى أن تخريب مثله لا يجوز في السياسة، فنودي
بالعسكر برد ما أخذوه من الرجال والنساء والأطفال إلى بيوتهم، ورد ما غنموه من أثاثهم
وأمتعتهم، فردوا ذلك وعاد البلد إلى حالته الأولى، وجعل فيه عسكراً يحفزه وتسلم مدينة
سروج وسائر الأماكن التي كانت بيد الفرنج شرقي الفرات ما عدا البيرة لحصانتها.
وحكى ابن الأثير رحمه الله في تاريخه الكامل قال: حكى لي بعض العلماء بالأنساب
والتواريخ، قال: كان صاحب صقلية قد أرسل سرية إلى طرابلس الغرب وتلك الأعمال
فنهبوا وقتلوا. وكان عند صاحب صقلية رجل مسلم كان يكرمه ويحترمه، ويرجع إلى
قوله، ويقدمه على من عنده من القسوس والرهبان، حتى كان أهل ولايته يقولون إنه مسلم
بهذا السبب. ففي بعض الأيام كان جالساً في منظرة يشرف على البحر، وإذا بموكب
لطيف قد أقبل وأخبر من فيه أن عسكره دخلوا بلاد الإسلام وظفروا وغنموا وقتلوا.
وكان المسلم إلى جانبه، وقد أعفى فقال له الملك: يا فلان ألا تسمع إلى ما يقولون قال: لا
قال: إنهم يخبرون بكذا وكذا، أين كان محمد عن تلك البلاد وأهلها. قال: كان قد غاب
عنهم وشهد فتح الرها، فقد فتحها المسلمون الآن فضحك من هناك من الفرنج فقال الملك:

لا تضحكوا فما يقول والله إلا الحق فوصل بعد أيام الخبر من فرنج الشام بفتحها. قال ابن
الأثير: وحكى لي جماعة من أهل الدين والصلاح أن إنساناً صالحاً رأى الشهيد زنكي في
منامه فقال له: ما فعل الله بك قال: غفر لي بفتح الرها.
ذكر مقتل نصير الدين جقر، وولاية زين الدين على كورجك
كان مقتله في ذي القعدة تسع وثلاثين وخمسماية. وسبب ذلك أنه كان ينوب عن عماد
الدين أتابك زنكي بالموصل وسائر الأعمال التي شرقي الفرات. وكان الملك ألب أرسلان
المعروف بالخفاجي ولد السلطان محمود عند زنكي. وكان يظهر للخلفاء والسلطان مسعود
وأصحاب الأطراف أن هذه البلاد لهذا الملك. وكان ألب أرسلان في هذه السنة بالموصل،
ونصير الدين يحضر إلى خدمته في كل يوم، فحسن له بعض المفسدين طلب الملك وقالوا له:
إن قتلت نصير الدين ملكت الموصل وغيرها، ولا يبقى مع أتابك زنكي فارس واحد فمال
إلى ذلك. فلما دخل نصير الدين إليه من عنده فقتلوه، وألقوا رأسه إلى أصحابه، ظناً منهم
أنهم يتفرقون ويخرج الملك ويملك البلاد، فلما رأى أصحابه الرأس قاتلوا من بالدار مع الملك
واجتمع معهم الخلق الكثير، فدخل القاضي تاج الدين يحيى بن الشهرزوري إلى الملك ألب
أرسلان وخدعه، وكان فيما قاله حين رآه منزعجاً: يا مولانا لم تحرد من هذا الكلب ؟ هو
وأستاذه مماليكك، الحمد لله الذي أراحنا منه ومن صاحبه على يديك ثم قال له: وما
الذي يقعدك في هذه الدار ؟ قم لتصعد إلى القلعة وتأخذ الأموال والسلاح وتملك البلد
وتجمع الجند وليس دون البلاد بعد الموصل مانع فقام معه وركب وأصعده إلى القلعة، فلما
قاربها أراد من بها من النقيب والأجناد القتال، فتقدم إليهم القاضي تاج الدين فقال: افتحوا
الباب وتسلموه وافعلوا ما أردتم ففتحوا الباب ودخل الملك والقاضي إلى القلعة ومعهما من
أعان على قتل نصير الدين. فلما صاروا بالقلعة سجنوا كلهم إلا القاضي.
وبلغ الخبر عماد الدين وهو يحاصر قلعة البيرة، وقد أشرف على فتحها، فخاف أن
تختلف البلاد الشرقية بعد قتل نصير الدين، ففارق البيرة وأرسل زين الدين على بن بكتكين

إلى قلعة الموصل والياً على ما كان نصير الدين يتولاه. وسار عماد الدين عن البيرة، فخاف
من بها من الفرنج أن يعود إليهم، فسلموها لصاحب ماردين. وملكها المسلمون. فإن لم
يكن عماد الدين زنكي فتحها فهو سبب فتحها
مقتل عماد الدين زنكي
كان مقتله رحمه الله لخمس مضين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسماية.
وذلك أنه كان يحاصر قلعة جعبر، وكانت بيد سالم بن مالك العقيلي منذ سلمها السلطان
ملكشاه إلى أبيه، عوضاً عن قلعة حلب كما تقدم في أخبار السلجقية. فحاصرها عماد
الدين الآن وأقام عيها إلى هذا التاريخ، فدخل عليه نفر من مماليكه فقتلوه غيله، وهربوا إلى
القلعة ولم يشعر أصحابه. فلما صعد أولئك النفر إلى القلعة صاح من بها بالعسكر،
وأعلموهم بقتل صاحبهم، فبادر أصحابه إليه فأدركوه وبه رمق. ثم مات رحمه الله تعالى
وكان عمره نحواً من أربع وستين سنة، ومدة ملكه منذ ولى الموصل وإلى أن قتل عشرين
سنة.
وكان حسن الصورة أسمر اللون، وكان شديد الهيبة على عسكره ورعيته، عظيم
السياسة لا يقدر القوى معه على ظلم الضعيف وكانت البلاد قبل أن يملكها خراباً من
الظلم، وتنقل الولاة، ومجاورة الفرنج، فعمرها وامتلأت بأهلها وغير أهلها. وكان ينهى
أصحابه عن اقتناء الأملاك ويقول: مهما كانت البلاد لنا فأي حاجة لكم إلى أملاك ؟ فإن
خرجت عن أيدينا فالأملاك تذهب معها، ومتى صارت الأملاك لأصحاب السلطان ظلموا
الرعية، وتعدوا عليهم، وعصبوهم أملاكهم، والإقطاعات تغنى أصحاب السلطان عنها
وخلف من الأولاد سيف الدين غازي وهو أكبر أولاده ونور الدين محمود وهو الملك
العادل، وقطب الدين مودود، وهو أبو الملوك بالموصل، ونصير الدين أمير أميران. فانقرض
عقب سيف الدين من الذكور والإناث، ونور الدين من الذكور، وبقي في عقب قطب الدين
على ما نذكره إن شاء الله تعالى.
قال: ولما قتل أتابك زنكي كان ولده نور الدين محمود معه، فأخذ خاتمه من يده وسار إلى

حلب فملكها. وسنذكر أخباره مفصلة بعد سيف الدين غازي، والله أعلم.
ملك سيف الدين غازي
ابن الشهيد عماد الدين أتابك زنكي
قال: لما قتل أتابك زنكي كان الملك ألب أرسلان ابن السلطان محمود معه، فاجتمعت
العساكر عليه وكان الحاكم على دولة زنكي والمدبر لها من أرباب الأقلام جمال الدين محمد
بن علي بن منصور الإصفهاني شبه الوزير، ومعه الحاجب صلاح الدين محمد بن أيوب
الباغسياني فاتفقا على حفظ الملك لأولاد صاحبهم عماد الدين وتحالفا على ذلك، وركبا
إلى خدمة الملك ألب أرسلان، وخدماه، وضمنا له فتح البلاد، وقالا له: إن أتابك زنكي
إنما كان الناس يطيعونه لأنه كان نائبك فقبل منهما ذلك وظن صدقهما ومناصحتهما
وقربهما، وأرسلا إلى زين الدين علي بن مظفر الدين صاحب اربل بالموصل يعرفانه بوفاة
الشهيد ويأمرانه أن يرسل إلى ابنه سيف الدين غازي ليحضر إلى الموصل، وكان بشهرزور
وهي إقطاعه من قبل أبيه، ففعل ذلك ووصل إلى الموصل.
وأشار جمال الدين على الملك
بإرسال الحاجب صلاح الدين إلى حلب ليدبر أمر نور الدين فأمره بالمسير إليها فسار،
وكانت حماه إقطاعه، وانفرد جمال الدين لملك ألب أرسلان فقصد به الرقة، واشتغل
بالشرب واللهو واستمال جمال الدين العسكر، وحلفهم لسيف الدين غازي، وصار يأمر من
تخلف بالمسير إلى الموصل هارباً من الملك، وبقي جمال الدين يسير بالملك من الرقة إلى
سنجار، ويخذله ويطعمه، وما زال حتى انتهى به إلى الموصل.
وأرسل الأمير عز الدين
الدبيسي إلى الملك في عسكر، والملك في نفر يسير، فأخذه وأدخله الموصل، فكان آخر
العهد به. فاستقر أمر سيف الدين بالموصل واستوزر جمال الدين وأرسل إلى السلطان
مسعود في إمرة الموصل فأمره على البلاد، وأرسل له الخلع.
وكان سيف الدين قد تقدمت
له خدمة على السلطان مسعود ولازمه سفراً وحضرا في أيام زنكي.
قال: ولما استتب الأمر لسيف الدين غازي بالموصل عبر إلى الشام لينظر في أمور البلاد،

ويقرر قاعدة بينه وبين أخيه نور الدين، ولما عبر الفرات لم يحضر نور الدين إليه وخافه
فراسله واستماله بحسن سياسته، فاستقرت الحال بينهما أن يجتمعا خارج العسكر
السيفي، وكل منهما في خمسمائة فارس. فسار نور الدين يوم الميعاد من حلب بهذه العدة،
وسار سيف الدين من معسكره في خمسة فوارس، فلما رآه نور الدين ترجل وقبل الأرض،
وأعاد أصحابه فاجتمعا وتحالفا واتفقا أحسن اتفاق، واستقر نور الدين بحلب وما معها،
وسيف الدولة بالموصل وما معها.

حصر الفرنج دمشق
وما فعله سيف الدين غازي

وفي سنة ثلاث وأربعين وخمسماية وصل ملك الألمان في جمع كثير من الفرنج وعزم على
ملك الشام، وظن أنه يملكه لا محالة لكثرة أصحابه، واجتمع عليه من بالشام والسواحل من
الفرنج. ووصل إلى دمشق وحاصرها، ونزل الميدان الأخضر، فأيقن أهلها بخروجها عن
الإسلام. وكان ملكها يوم ذاك مجير الدين أبق بن محمد ابن بوري بن طغرتكين، وليس له
من الأمر شيء والحكم في البلد لأتابكه معين الدين أنر مملوك جد أبيه، فأرسل إلى سيف
الدين غازي يستنجده، فجمع عساكره والعساكر الحلبية، وسار إلى دمشق، فخافه الفرنج.
ثم راسل فرنج الساحل وأوعدهم بحصر بانياس، فاجتمعوا بملك الألمان وقالوا له: إن هذا
ملك بلاد المشرق قد قدم وخوفوه عاقبة أمره، فرحل ملك الألمان إلى بلاده، وتسلم الفرنج
بانياس، كما وقع الاتفاق عليه، وعاد سيف الدين إلى الموصل.

وفاة سيف الدين غازي
ابن عماد الدين زنكي

كانت وفاته في أواخر جمادي الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسماية بالموصل لمرض حاد،
ودفن بمدرسته التي بناها بالموصل. فكانت ولايته ثلاث سنين وشهرا وعشرين يوماً، وعمره
نحواً من أربع وأربعين سنة. وخلف ولدا ذكرا رباه عمه نور الدين محمود أحسن تربية،
وزوجه بابنة عمه قطب الدين، ولم تطل مدته، ومات في عنفوان شبابه، وانقرض عقب
غازي بوفاته.

قال: وكان سيف الدين غازي يمد لعسكره في كل يوم سماطاً كبيراً، طرفي النهار يكون في
سماطه للغذاء مائة رأس من الغنم وأمر الأجناد أن يركبوا بالسيوف والدبابيس، فاقتدى به
أصحاب الأطواف وهو أول من حمل على رأسه السنجق من عمال الأطراف، وبنى
المدرسة الأتابكية العتيقة بالموصل، ووقفها على طائفتي الشافعية والحنفية، وبنى رباط
الصوفية بالموصل. ولم تطل أيامه حتى يفعل ما في نفسه من وجوه البر، رحمه الله. وسنذكر
إن شاء الله تعالى من ملك الموصل بعده إذا انقضت أخبار الشهيد نور الدين وولده
الملك العادل نور الدين
أبي القاسم محمود ابن أتابك عماد الدين أبي سعيد زنكي بن أقسنقر
قد ذكرنا أنه لما مات والده رحمه الله في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسماية،
توجه بخاتمه إلى حلب وملكها، وذكرنا أيضاً ما كان بينه وبين أخيه سيف الدين غازي
رحمه الله، وما اتفقا عليه، فلنذكر من أخباره خلاف ذلك. ولنبدأ بغزواته وفتوحاته، ثم
نذكر ما استولى عليه من الممالك وغير ذلك.
الغزوات والفتوحات النورية
وما استنقذه من أيدي الفرنج
ذكر عصيان مدينة الرها وفتحها الفتح الثاني ونهبها
قال: لما قتل أتابك زنكي كان جوسكين الفرنجي صاحب الرها في ولايته وهي تل باشر،
فراسل عامة أهل الرها من الأرمن وحملهم على العصيان والامتناع على المسلمين، فأجابوه
إلى ذلك. فسار في عساكره إلى الرها وملك البلد، وامتنعت عليه القلعة بمن فيها. فسار
نور الدين، وجد السير إليها، فلما قاربها هرب جوسكين عنها، وعاد إلى بلده، ودخل نور
الدين البلد، ونهب المدينة، وسبى أهلها، فخلت منهم ولم يبق بها إلا القليل، وذلك في سنة
إحدى وأربعين وخمسماية. وفي سنة اثنتين وأربعين وخمسماية، فتح نور الدين مدينة ارتاح
بالسيف، ونهبها وحصر ما يوله وبصرفوث وكفر لاثا، وكان الفرنج بعد قتل أتابك زنكي قد
طمعوا وظنوا أنهم يستردون ما أخذ منهم فخاب ظنهم.
فتح حصن العريمة

وفي سنة ثلاث وأربعين وخمسماية فتح حصن العريمة، وهو من أعمال طرابلس. وكان
ملك الألمان لما سار عن دمشق وجه إلى العريمة ولد ألفتش صاحب طليطه، وهو من
أولاد أكابر ملوك الفرنج. وكان جده هو الذي فتح طرابلس، فملك العريمة، وأظهر أنه يريد
أخذ طرابلس من القمص، فأرسل القمص إلى نور الدين، وإلى معين الدين صاحب دمشق
أن يقصدا حصن العريمة ويملكاه. فسار نور الدين من حلب ومعين الدين من دمشق
واستمدا سيف الدين غازي، فأمدهما بعسكر كثيف مع الأمير عز الدين الدبيسي
صاحب جزيرة ابن عمر، فنازلوا الحصن، وحصروه وبه ولد ألفتش، فاستسلم من به بعد
امتناع، وملكه المسلمون، وأخذوا كل من فيه من فارس وراجل وصبي وامرأة. وكان ولد
ألفتش ممن أسر وأخربوا الحصن ثم عادوا.

انهزام الفرنج بيغرا

وفي سنة ثلاث وأربعين أيضاً، اجتمع الفرنج لقصد حلب، فسار إليهم الملك العادل نور
الدين بعسكره، فالتقوا بيغري واقتتلوا قتالاً شديداً، أجلت الحروب عن ظفر الملك العادل،
وانهزام الفرنج وأسر جماعة من مقدميهم. ولم ينج من ذلك الجمع إلا اليسير. وأرسل نور
الدين من الغنيمة والأسارى إلى أخيه سيف الدين وإلى الخليفة ببغداد وإلى السلطان
مسعود وغيرهم. وفي هذه الوقعة يقول بن القيسراني من قصيدة أولها.

يا ليت أن لصد مصدود أو لا، فليت النوم مردود
جاء منها
وكيف لا يثنى على عيشنا المحم ود والسلطان محمود
وصارم الإسلام لا ينثنى إلا وشلو الكفر مقدود
مكارم لم تك موجودة إلا ونور الدين موجود
وكم له من وقعة يومها عند ملوك الكفر مشهود

قتل البرنس صاحب أنطاكية

وفي سنة أربع وأربعين وخمسماية، غزا نور الدين بلاد الفرنج، من ناحية انطاكية وقصد
حصن حارم وهو للفرنج، وحصره وخرب ربضه، ونهب سواده ثم رجل إلى حصن إنب
فصره، فاجتمعت الفرنج لقتاله مع البرنس، واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم الفرنج وقتل البرنس

وجماعة كثيرة من أصحابه، واسر خلق كثير. وكان البرنس من عتاة الفرنج. ولما قتل ملك
بعده انطاكية ابنه بيمند، ثم غزاهم نور الدين غزوة ثانية، فقتل وأسر، وكان ممن أسر البرنس
الثاني زوج أم بيمند صاحب انطاكية. وكان قتل البرنس ريموند عظيماً عند الطائفتين وأكثر
الشعراء مدح نور الدين بهذا الظفر، فكان ممن قال فيه ابن القيسراني الكاتب قصيدته
المشهورة وهي:

هذي العزائم لا ما تدعي القضب وذي المكارم لا ما قالت الكتب
وهذه الهمم اللائي متى خطبت تعثرت خلفها الأشعار والخطب
صافحت يا بن عماد الدين ذروتها برحة للمساعي دونها تعب
مازال جدك يبنى كل شاهقة حتى بنى قبة أوتادها الشهب
أغرت سيوفك بالإفرنج راجفة فؤاد رومية الكبرى لها يجب
ضربت كبشهم منها بقاصمة أودى بها الصلب وانحطت لها الصلب
طهرت أرض الأعادي من دمائهم طهارة كل سيف عندها جنب

فتح حصن أفامية

وفي سنة خمس وأربعين وخمسماية فتح الملك العادل نور الدين حصن أفامية من الفرنج،
وهو مجاور شيزر وحماة، وهو من أحصن القلاع وأنعها، فاجتمع الفرنج من الساحل
وساروا نحوه ليرحلوه، فلم يصلوا إلا وقد ملكه وملأه من الذخائر والسلاح وشحنة
بالرجال. وسار عنه في طلب الفرنج، فعدلوا عن طريقه وسألوه الهدنة، وعاد مظفراً
منصوراً.

أسر جوستكين وفتح بلاده

كان نور الدين قد جمع عساكره في سنة ست وأربعين وخمسماية وسار إلى بلاد جوستكين
الفرنجي وهي شمالي حلب، وعزم على محاصرتها. وكان جوستكين فارس الفرنج
وطاغيتهم، صاحب رأي وشجاعة، فجمع وأكثر، وسار نحو نور الدين والتقوا واقتتلوا،
فكانت الهزيمة على المسلمين، وقتل كثير منهم. واسر سلحدار نور الدين فيمن أسر، فأخذ
جوستكين سلاحه، وأرسله إلى الملك مسعود قلج صاحب الروم، وقال: هذا سلاح زوج

ابنتك وسآتيك بعده بما هو أعظم منه فأهم نور الدين ذلك وعظم عليه، وعلم أنه لا
يتمكن من جوستكين في حرب، لأنه إما أن يحارب أو يحتمي بحصونه. فجعل عليه العيون
من التركمان، ووعدهم إن أسروه وأتوا به أو برأسه بمواعيد كثيرة. فرصدوه إلى أن خرج
إلى الصيد، وأسروه فصالحهم على مال يؤديه إليهم، فسير في إحضار المال إليهم فجاء
بعضهم إلى أبي بكر بن الداية، نائب نور الدين بحلب، وأخبره بالقضية. فسير عسكراً مع
من حصر إليه بالخبر، وكيس التركمان وأخذوا جوستكين أسيراً. وكان من أعظم
الفتوحات، وأصيبت النصرانية كافة بأسرها
ولما أسر سار نور الدين إلى قلاعه فملكها، وهي تل باشر وعين تاب وإعزاز وتل خالد
وقورس والراوندان وبرج الرصاص وحصن البادة وكفر سو، وكفر لاثا، ودلوك، ومرعش
ونهر الجوز، وغير ذلك من أعماله في مدة يسيرة. واجتمع الفرنج في سنة سبع وأربعين،
وحشدت الفارس والراجل وساروا نحو نور الدين وهو بدلوك، فلما قربوا منه رجع إليهم
واقتتلوا قتالاً شديداً كان الظفر له وقتل وأسر منهم. وعاد إلى دلوك فملكها. وكان نورا
لدين إذا فتح حصناً من هذه الحصون شحنه بما يحتاج إليه من الرجال والسلاح الذخائر
وغيرها.

حصر قلعة حارم وفتحها

وفي سنة إحدى وخمسين وخمسماية حصر نور الدين قلعة حارم وشدد الحصار، فصالحه
الفرنج على نصف أعمال حارم، وصالحهم ورحل عنهم ثم فتحها في شهر رمضان سنة تسع
وخمسين وخمسماية.

ذكر ملكه بانياس وما قرره على طبرية وأعمالها

وفي سنة تسع وخمسين ملك حصن بانياس، وكان بيد الفرنج من سنة ثلاث وأربعين
وخمسماية، كما قدمنا. فنازله، فجمع الفرنج لقصده، فلم يكمل جمعهم غلا وقد ملك
الحصن وشحنه بالرجال والذخائر، ثم شاطر الفرنج على أعمال طبرية، وقرروا له على
الأعمال التي لم يشاطرهم عليها في كل سنة مالا يحملونه إليه، والله أعلم.

ذكر فتح المنيطرة

والمنيطرة فيما بين طرابلس وبعلبك وهي الآن من الأعمال المضافة إلى المملكة
الطرابلسية. فما كان في سنة إحدى وستين وخمسماية، سار نور الدين إليها جريدة،
وملكها وأعجل الفرنج عن الاجتماع لرده، وسبى وغنم، فجاء الفرنج بعد أن ملكها فأيسوا
منها، ورجعوا عنها، والله أعلم.

ذكر فتح صافيثا وعريمة

وفي سنة اثنتين وستين وخمسماية جمع نور الدين العساكر وسار إليه أخوه قطب الدين من
الموصل واجتمعا على حمص، فدخل بالعساكر إلى بلاد الفرنج بالساحل واجتاز على
حصن الأكراد، فأغاروا ونهبوا وسبوا. وقصدوا عرقة فنازلوها وحصروها، وحصروا
حلبة وأخذوها وخربوها. وسارت عساكر المسلمين في بلادهم يميناً وشمالاً تغير وتخرب،
وفتحوا العريمة، وصافيثا، وعادوا إلى حمص فصاموا بها شهر رمضان، وكان الفرنج في
سنة ثمان وأربعين قد كبسوا عسكر نور الدين بالبقيعة على حين غفلة من العسكر، فنالوا
من المسلمين منالاً عظيماً، فجعل نور الدين في مقابلة ذلك فتح حارم وبانياس والمنيطرة
وصافيثا وعريمة وتخريب بلادهم، وأدرك ثأره عن غير بعد.

ثم سار بعد شهر رمضان إلى بانياس، وقصد العبور إلى بيروت، فجرى بين العسكر
اختلاف أوجب رجوعه. وأعطى قطب الدين في هذه السنة الرقة، وأعاده إلى بلده. هذا
ما فتحه رحمه الله من بلاد الفرنج، فلنذكر ما استولى عليه من البلاد الإسلامية.

ما استولى عليه نور الدين
من البلاد الاسلامية

في سنة أربع وأربعين وخمسماية، استولى الملك العادل نور الدين على سنجار، وكانت بيد
أخيه قطب الدين، ملكها بعد وفاة سيف الدين غازي، ثم حصل الاتفاق بينهما على أن
يكون نور الدين صاحب حلب وحمص والرحبة والشام؛ وقطب الدين بالموصل وديار
الجزيرة، وسلم سنجار لأخيه قطب الدين، وأخذ نور الدين ما كان من الذخائر بسنجار،
وكانت كثيرة جداً، وعاد إلى حلب وقد حصل الاتفاق بينه وبين أخيه

ذكر ملكه مدينة دمشق

وفي سنة تسع وأربعين وخمسماية ملك دمشق من مجير الدين أبق بن محمد بن بوري بن
طغرلتكين. وسبب قصده لها أن الفرنج ملكوا في السنة التي قبل هذه السنة مدينة
عسقلان، واستولوا على تلك النواحي، فلم يتمكن نور الدين من غزوهم ودفعهم، لأن
دمشق تحول بينه وبينهم. ولم تمكنه مفاجأة صاحبها لعلمه أنه إن سار إليها راسل
صاحب دمشق الفرنج واستنجد بهم. وكان قد استقر لهم ضريبة على دمشق تحمل إليهم
في كل سنة، ويحضر رسلهم لقبضها، فزاد استيلاؤهم إلى أن أخذوا كل من فيها من
الغلمان والجواري، بحيث أنهم يطلبون الغلام أو الجارية ويخيروه، فإن اختار الرجوع إليهم
أخذوه، اختار مولاه أو امتنع؛ وان اختار المقام عند مواليه تركوه. فأهم ذلك نور الدين،
وخاف أن الفرنج متى استولت على دمشق ملكوا الشام أجمع، فأخذ في إعمال الحيلة
وراسل مجير الدين صاحبها وهاداه وداهنه واستماله. وبقي يوقع بينه وبين أمرائه، فكتب
إليه يقول: إن فلاناً الأمير قد كاتبني في تسليم دمشق فقبض عليه مجير الدين حتى اختل أمر
عسكره وضعف. ثم راسل نور الدين الأحداث من الأمراء بدمشق، ووعدهم الجميل
فمالوا إليه ووعدوه بتسليمها له، فسار إليها. فلما نازلها كاتب مجير الدين الفرنج وبذل لهم
بعلبك ليمنعوا نور الدين عنه، فحشدوا فارسهم وراجلهم، فلم يتكامل جمعهم إلا وقد ملك
نور الدين دمشق، سلمها له الأمراء، ودخلها من الباب الشرقي. وتحصن صاحبها بالقلعة،
فبذل له نور الدين حمص، فرضي وسلم القلعة وسار إلى حمص، ثم عوضه عن حمص
مدينة بالس فامتنع، وتوجه إلى بغداد ومات بها.
وفي سنة اثنتين وخمسين، ملك نور الدين حصن شيزر من آل منقذ وكانت الزلزلة قد
هدمت أسواره فعمرها والله أعلم.
ذكر ملكه بعلبك
وفي سنة اثنتين وخمسين وخمسماية ملك بعلبك وقلعتها.
وكانت بيد إنسان يقال له
ضحاك البقاعي، منسوب إلى البقاع البعلبكي، كان صاحب دمشق قد ولاه إياها، فلما

ملك نور الدين دمشق لم تمكنه مشاححته لقربه من الفرنج، فطاوله إلى الآن وملكها منه.

ذكر ملكه قلعة جعبر

وفي سنة أربع وستين وخمسماية ملك نور الدين قلعة جعبر من صاحبها شهاب الدين مالك بن علي بن مالك العقيلي وكانت بيده وبيد آبائه كما تقدم. وكان السبب في ملكه لها أن صاحبها سار إلى الصيد، فأسره بنو كلاب وجاؤوا به إلى نور الدين في شهر رجب سنة ثلاث وستين، فاعتقله نور الدين وأكرمه في اعتقاله. وأخذ في طلبها باللين، فلم يوافق على إعطائها ثم أخذه بالشدة فلم يوافق، فسير الجيوش لحصرها، فحوصرت مدة فلم يظفر منها بطائل، فعاود صاحبها بالملاطفة، وعوضه عنها سروج وأعمالها والملاحة التي من بلد حلب وباب بزاعه، وعشرين ألف دينار معجلة. فقبل العوض وسلم القلعة. وهذه القلعة في عصرنا هذا إلى سنة أربع عشرة وسبعماية خرابا لا باب عليها والله أعلم.

ذكر ملكه الديار المصرية

وفي سنة أربع وستين وخمسماية ملك أسد الدين شيركوه الديار المصرية بجيوش الملك العادل نرو الدين، وهي السفرة الثالثة له إليها من قبل نور الدين ونذكر ذلك مفصلاً في أخبار الدولة الأيوبية، ودامت الخطبة بها للملك العادل مدة حياته، وصدر من أيام ولده الملك الصالح إسماعيل.

ذكر ملكه الموصل

وفي سنة ست وستين وخمسماية ملك الموصل بعد وفاة أخيه قطب الدين، وأقر عليها سيف الدين غازي بن قطب الدين، عل ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخبار غازي.

وأطلق نور الدين سائر المكوس بالموصل وبسائر البلاد. وجاءته الخلع من الخليفة المستنصر بالله، فلبسها ثم خلعها على سيف الدين غازي ابن أخيه. وأمر ببناء الجامع النوري بالموصل، فبنى وأقام بالموصل عشرين يوماً وعاد إلى الشام.

وفاة نور الدين

رحمه الله وشيء من أخباره وسيرته

كانت وفاة الملك العادل نور الدين محمود في حادي عشر شوال سنة تسع وستين

وخمسماية، بعلة الخوانيق، ولقب بعد موته بالشهيد. ومولده في سنة إحدى عشرة
وخمسماية، فيكون عمره نحواً من ثمان وخمسين سنة، ومدة ملكه منذ وفاة أبيه ثمانيا
وعشرين سنة وستة أشهر وستة أيام. ومن العجب أنه ركب إلى الميدان الأخضر بدمشق
في ثاني شوال، ونصب فيه قبقاً، فسايره الأمير همام الدين مودود، وقال له: أترى هل نكون
ههنا في مثل هذا اليوم من العام المقبل ؟ فقال له نور الدين: لا تقل هكذا، قل هل نكون
ههنا بعد شهر ؟ فإن السنة بعيدة ورجع إلى القلعة، وختن ابنه وأصابته العلة، فمات بعد
عشرة أيام. ومات الأمير همام الدين قبل استكمال الحول. ودفن نور الدين بقلعة دمشق، ثم
نقل إلى مدرسته التي بناها بجوار سوق الخواصين بدمشق وقبره هناك مشهور.
وأما سيرته وأفعاله رحمه الله تعالى فإنه أفرغ وسعه في الجهاد، واستنقذ من أيدي الفرنج ما
ذكرناه. وكان ثابتاً في حروبه، وبنى المدارس والمساجد والربط. والبيمار ستان والخانات
والطرق والجسور، وجدد القنى وأصلحها، وأوقف الوقوف على معلمي الخط لتعليم الأيتام،
وعلى سكان الحرمين الشريفين، وأقطع أمراء العرب الإقطاعات حتى كفوا عن التعرض إلى
الحاج. وبنى أسوار المدن والحصون التي هدمتها الزلزلة التي ذكرناها في أخبار الدولة
العباسية. وكان رحمه الله مواظباً على الصلاة في الجماعة، حريصاً على فعل الخير،
عفيف لبطن والفرج، مقتصداً في الإنفاق والمطاعم والملابس، لم تسمع منه كلمة فحش في
رضاه ولا في سخطه وعاقب على شرب الخمر.
قال الشيخ عز الدين أبو الحسن علي بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير رحمه
الله: قد طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الإسلام وفيه إلى يومنا هذا فلم أر فيها بعد
الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز ملكاً أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين ولا
أكثر تحرياً للعدل والإنصاف منه قال: وكان رحمه الله لا يفعل فعلاً إلا بنية حسنة. كان
بالجزيرة رجل من الصالحين العباد، وكان نور الدين يكاتبه ويراسله فيرجع إلى قوله، فبلغه أن

نور الدين يدمن اللعب بالأكرة فكتب إليه يقول: ما كنت أظنك تلهو وتلعب وتعذب الخيل
لغير فائدة فكتب إليه نور الدين بخطه يقول: والله ما يحملني على اللعب بالكرة اللهو والبطر،
إنما نحن في ثغر، العدو قريب منا، وبينما نحن جلوس إذ يقع الصوت فنركب في الطلب ولا
يمكننا أيضاً ملازمة الجهاد ليلاً ونهاراً شتاء وصيفاً. إذ لابد من الراحة للجند ومتى تركنا
الخيل على مرابطها بسرعة الانعطاف في الكر والفر في المعركة فنحن نركبها ونروضها بهذا
اللعب، فيذهب حمامها، وتتعود سرعة الانعطاف والطاعة لراكبها في الحرب. فهذا والله
الذي بعثني على اللعب بالكرة.
قال: وحكى عنه أنه حمل إليه من مصر عمامة من القصب الرفيع مذهبة، فلم يحضرها
عنده، فوصفت له، فلم يلتفت إليها؛ فبينما هم معه في حديثها إذ جاءه رجل صوفي فأمر
له بها. فقيل له إنها لا تصلح لهذا الرجل، ولو أعطى غيرها كان أنفع له. فقال: أعطوها له،
فاني أرجو أن أعوض عنها في الآخرة فسلمت إليه قيل والذي أعطيها شيخ الصوفية عماد
الدين بن حمويه، فبعثها إلى همذان، فبيعت بألف دينار.
قالوا وكان عارفاً بالفقه على مذهب أبي حنيفة، وسمع الحديث وأسمعه، وكان يعظم
الشريعة المطهرة، ويقف عند أحكامها، فمن ذلك أنه كان يلعب بالكرة عند دمشق، فرأى
إنساناً يحدث آخر ويومىء إليه بيده، فأرسل يسأله عن حاله، فقال: لي مع الملك العادل
حكومة، وهذا غلام القاضي ليحضره إلى مجلس الحكم يحاكمني على الملك الفلاني فلما
قيل ذلك له ألقى الجوكات من يده وخرج من الميدان وتوجه إلى القاضي كمال الدين بن
الشهرزوري وأرسل إليه يقول: إني قد جئت في محاكمة فاسلك معي ما تسلكه مع غيري.
فلما حضرا، ساوى خصمه وحاكمه، فلم يثبت قبله حق، وثبت الحق لنور الدين. فعند
ذلك أشهد على نفسه أنه وهب الملك للذي حاكمه، وقال: كنت أعلم أن لا حق له
عندي، وإنما حضرت معه لئلا يظن بي أن ظلمته، فحيث ظهر أن الحق لي، وهبته له.
قال: وهو أول من بنى دار الكشف وسماها دار العدل وكان يجلس فيها في الأسبوع

يومين، وعنده القاضي والفقهاء لفصل الحكومات بين القوي والضعيف. وكان شجاعاً
حسن الرأي والمكيدة في الحرب، عارفاً بأمور الأجناد. وكان إذا حضر الحرب أخذ
قوسين وتركشين، وباشر القتال بنفسه. وكان يقول: طالما تعرضت للشهادة فلم أدركها.
قال: ومن أحسن الآراء ما كان يفعله مع أجناده. كان إذا توفى أحدهم وخلف ولداً، أقر
الإقطاع عليه. فإن كان كبيراً استبد بتدبير نفسه، وإن كان صغيراً رتب معه رجلاً عاقلاً
يثق إليه يتولى أمره إلى أن يكبر. فكان الأجناد يقولون هذه أملاكنا يرثها الولد عن الوالد،
فنحن نقاتل عليها، وكان ذلك سبباً عظيماً للنصر في المشاهد والحروب. قال: وبنى أسوار
مدن الشام وقلاعها، فمنها حلب وحماه وحمص ودمشق وبارين وشيزر ومنبج، وغيرها
من القلاع والحصون، وأخرج عليها الأموال الكثيرة التي لا تسمح النفوس بمثلها. وبنى
المدارس بحلب وحماه ودمشق وغيرها. وبنى الجوامع في كثير من البلاد. فمنها جامعه
بالموصل، إليه النهاية في الحسن والإتقان وفوض عمارته والخرج عليه للشيخ عمر الملا، وكان
من الصالحين. فقيل له إنه لا يصلح لمثل هذا العمل، فقال: إذا وليت بعض أصحابي من
الأجناد والكتاب، أعلم أنه يظلم في بعض الأوقات، فلا يقي عمارة الجامع بظلم رجل
مسلم، وإذا وليت هذا الشيخ غلب على ظني أنه لا يظلم، فإن ظلم كان الاثم عليه لا
على وبنى أيضاً بمدينة حماه جامعاً على نهر العاصي من أحسن الجوامع وأنزهها، وجدد
في غيرها من عمارة الجوامع ما كان قد تهدم بسبب زلزلة وغيرها. وبنى البيمار ستانات
في البلاد، ومن أعظمها وأشهرها البيمارستان الذي بناه بدمشق، وقفه على كافة المسلمين
من غنى وفقير، وبنى الربط. والخانقاهات للصوفية، ووقف عليها الوقوف الكثيرة، وأدر
عليهم الإدرارات الصالحة.
قال: وكان قد ضبط ناموس الملك إلى غاية لا مزيد عليها، فكان يلزم الأجناد بوظائف
الخدمة، ولا يجلس عنده أمير من غير أن يأمره بالجلوس، إلا نجم الدين أيوب، وأما من عداه

كأسد الدين شيركوه وغيره، فإنهم كانوا يقفون حتى يأمرهم بالجلوس. وكان مع ذلك إذا
دخل عليه الفقير والصوفي والفقيه يقوم له ويجلسه إلى جانبه. وكان إذا أعطى أحدهم
شيئاً يقول إن هؤلاء لهم في بيت المال حق، فإذا قنعوا منا ببعضه فلهم المنة علينا.
ولم يزل الناس معه في غاية الأمن والخير والبركة والنمو والإحسان والعدل والبر وإظهار
السنة وقمع البدعة إلى أن توفي إلى رحمة الله تعالى.
الملك الصالح اسماعيل
ابن الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين أتابك زنكي بن أقسنقر
ملك بعد وفاة والده في حادي عشر شوال سنة تسع وستين وخمسماية. وحلف له
الأمراء وأطاعه الناس في سائر البلاد وخطب له الملك الناصر صلاح الدين يوسف بالديار
المصرية. ولم يكن الملك الصالح إذ داك قد بلغ الحلم وتولى تربيته الأمير شمس الدين محمد
بن المقدم. قال العماد الأصفهاني الكاتب: وورد كتاب صلاح الدين بالمثل الفاضلي معزياً
للملك الصالح وفي آخره:
وأما العدو خذله الله تعلى فوراءه من الخادم من يطلبه طلب ليل لنهاره، وسيل لقراره، إلى
أن يزعجه من مجاثمه، ويستوقفه عن مواقف مغانمه، وذلك من أقل فروض البيت الكريم،
وأيسر لوازمه. أصدر هذه الخدمة يوم الجمعة رابع عشر ذي القعدة وهو اليوم الذي أقيمت
فيه الخطبة بالاسم الكريم، وصرح فيه بذكره في الموقف العظيم، والجمع الذي لا لعو فيه ولا
تأتيم، وأشبه يوم الخادم أمسه في الخدمة، وفيما لزمه من حقوق النعمة، وجمع كلمة الإسلام
عالماً أن الجماعة رحمة.
قال: ولما بلغ سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود وفاة عمه، استبشر لذلك، ونادى
بالموصل بالفسحة في الشرب واللهو. وكان الخبر قد أتاه وهو سائر إلى خدمة عمه نور
الدين، فإنه كان قد استدعاه بالجيوش، فعاد وهرب سعد الدين كمشتكين، على ما نذكره
إن شاء الله تعالى في أخبار سيف الدين غازي مبينا. قال: ولما اتفق ذلك منه لم يكتب
الجماعة الذين في خدمة الملك الصالح إلى صلاح الدين يوسف بالخبر، خوفاً أنه إذا بلغه

ذلك أقصدهم، واستولى على الملك الصالح وأبعدهم، فشق ذلك عليه وكان من أمره ما
نذكره إن شاء الله تعالى.
قال: وأقام الملك الصالح بدمشق وجماعة الأمراء عنده لم يمكنوه من المسير إلى حلب، لئلا
يغلبهم عليه شمس الدين بن الداية، ويختص بخدكته، فإنه كان من أكبر الأمراء النورية. ولما
وصل كمشتكين من الموصل إلى حلب أحسن إليه الأمير شمس الدين بن الداية، وأكرمه،
وجهزه إلى دمشق لإحضار الملك الصالح منها إلى حلب، وجهز معه العساكر. فلما قارب
دمشق سير الأمير شمس الدين محمدين المقدم عسكراً إليه، فهزموه. ونبوا ما معه، فعاد
إلى حلب منهزماً، فأخلف عليه ابن الداية عوض ما أخذ منه ثم نظر أمراء دمشق
المصلحة، فعلموا أن مسيره إلى حلب أجود من مقامه بدمشق. فأرسلوا إلى ابن الداية
يطلبون سعد الدين كمشتكين ليأخذ الملك الصالح، فجهزه إليهم، فسار إلى دمشق في المحرم
سنة سبعين وخمسماية، فأخذ الملك الصالح وعاد به إلى حلب. فلما وصل إليها، قبض
سعد الدين على ابن الداية وإخوته، وعلى الرئيس ابن الخشاب رئيس حلب، ومقدم
الأحداث بها.
واستبد سعد الدين بتربية الملك الصالح، فخاف ابن المقدم وغيره من الأمراء بدمشق أن
سعد الدين يسير إليهم ويفعل بهم كما فعل بابن الداية، فراسل سيف الدين غازي بن مودود
في الحضور من الموصل ليتسلم دمشق فخشي غازي أن تكون مكيدة فلم يحضر، فراسله
سعد الدين، واتفق الحال على أن يستقر بيده ما استولى عليه من الأعمال الجزيرية. فقال
أمراء دمشق: حيث صالح سيف الدين، لم يبق له مانع من المسير إلى دمشق. فراسلوا
الملك الناصر صلاح الدين في الحضور من مصر ليتسلمها. فوصل إليها، وتسلمها، وملك
حمص وحماه وبعلبك. ولم يقطع خطبة الملك الصالح، وأظهر أنه إنما حضر لخدمته،
واسترجاع ما استولى عليه سيف الدين غازي وغيره من الأعمال الجزيرية. ثم كان بينه
وبين العسكر الحلبي من الحروب ما نذكره في أخبار الدولة الأيوبية إلى أن أحوجوه إلى

الاستقلال بالأمر والخطبة لنفسه وملك البلاد.
ذكر مقتل سعد الدين كمشتكين وحصر الفرنج حارم
وفي سنة ثلاث وسبعين وخمسماية قبض الملك الصالح على سعد الدين، وهو المتولي على
أمر دولته، والحاكم فيها، وسبب ذلك أن أبا صالح بن العجمي كان من أكابر حلب، وكان
مقدماً عند نور الدين، وتقدم عند ولده وأطاعه الناس، وكثرت أتباعه، فوثبت عليه بعض
الباطنية بالجامع فقتله، فنسب ذلك لسعد الدين فوشوا به عند الملك الصالح، فقبض
عليه. وكانت جارم اقطاعه، فامتنع من بها من تسليمها فسيره الملك الصالح تحت
الاستظهار ليأمر أصحابه بتسليمها؛ فأمرهم فلم يرجعوا إلى قوله، وعذب وهم ينظرون إليه
إلى أن مات تحت العقوبة. فبلغ الفرنج ذلك، فنازلوا قلعة حارم ونصبوا عليها المجانيق،
فصالحهم الملك الصالح على مال ففارقوها، وتسلمها بعد حصار ثان، ورتب فيها من
المماليك النورية من يحفظها.
وفاة الملك الصالح اسماعيل
كانت وفاته لخمس بقين من رجب سنة سبع وسبعين وخمسماية. وابتدأت علته في تاسع
الشهر، وكان مرضه القولنج ومات وله من العمر تسع عشرة سنة. وقيل في سبب وفاته إن
علم الدين سليمان بن جندر سقاه في عنقود عنب وهو في الصيد؛ وقيل بل سقاه ياقوت
الأسدي في شراب، فعظم موته على سائر الناس، وحزنوا لفقده حزناً شديداً.
قال ابن الأثير: ولما اشتد مرضه وصف له الأطباء شرب الخمر للتداوي، فاستفتى الفقيه
علاء الدين الكاشاني وأفتاه بجواز شربها، فقال: إن كان الله قد قرب أجلى أيؤخره شرب
الخمر فقال: لا والله فقال: والله لا لقيت الله تعالى وقد استعملت ما حرمه علي ومات
رحمه الله ولم يشربها.
ولما أيس من نفسه أحضر الأمراء والأجناد في الثالث والعشرين من شهر رجب وأوصاهم
بتسليم البلد لابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل، واستحلفهم على ذلك. فقال
بعض أصحابه إن عز الدين ملك الملوك وله ما يكفيه، ولو أوصيت بها لابن عمك عماد

الدين زنكي فإنه تربية والدك، وزوج أختك، وليس له غير سنجار. فقال: إن هذا لم يغب
عني، ولكن قد علمتم أن صلاح الدين قد تمكن وتغلب علا عامة البلاد الشامية، ومتى
كانت حلب لعماد الدين عجز عن حفظها وعز الدين بحفظها، وإن ملكها صلاح الدين لم
يبق لأهلنا معه مقام فاستحسن الناس ذلك منه، وعجبوا من جودة رأيه مع صغر سنه،
وأن مرضه لم يشغله عن حسن اختياره ثم مات رحمه الله.
وكان عفيف اليد والفرج واللسان، لا يعرف له شيء مما يتعاطاه الملوك والشباب، حسن
السيرة، عادلاً في رعيته. وبوفاته انقرض عقب نور الدين المذكور.
ولنرجع إلى ذكر ملوك الموصل الذين ملكوا بعد وفاة سيف الدين غازي بن عماد الدين
زنكي.
قطب الدين مودود
بن عماد الدين زنكي بن أقسنقر
ملك الموصل بعد وفاة أخيه سيف الدين غازي في أواخر جمادي الآخرة سنة أربع
وأربعين وخمسماية. وذلك أنه لما مات سيف الدين غازي اجتمعت كلمة الوزير جمال الدين
الأصفهاني وزين الدين على أمير الجيش على تولية قطب الدين طلباً للسلامة، فاستحلفوه
وحلفوا له وركبوه إلى دار السلطان، وأطاعه سائر البلاد التي كانت تحت يد أخيه. وتزوج
الخاتون ابنة حسام الدين تمرتاش صاحب ماردين. وكان سيف الدين غازي قد تزوجها ولم
يدخل بها، فتزوجها قطب الدين وهي أم أولاده الملوك.
قال: ولما ملك قطب الدين كان نور الدين بحلب، وهو أكبر منه، فكاتبه بعض الأمراء
وطلبوه، فسار إليهم، وقصد انتزاع الملك من أخيه قطب الدين، ثم اتفقا وعاد نور الدين
إلى حلب، وشهد قطب الدين بعض الحروب مع أخيه نور الدين؛ كما ذكرناه في أخبار نور
الدين.
ذكر القبض على الوزير جمال الدين محمد بن علي ابن منصور الأصفهاني ووفاته وشيء من أخباره وسيرته
وفي سنة ثمان وخمسماية قبض قطب الدين على الوزير جمال الدين واعتقله، فتوفى في
اعتقاله في شعبان سنة تسع وخمسين ولعمر ما كان يستحق أن يعتقل، وهو الذي عمل على

إثبات الملك في البيت الأتابكي بعد قتل الشهيد أتابك زنكي، على ما قدمنا في أخبار
سيف الدين غازي
قال بن الأثير الجزري رحمه الله في تاريخه الكامل: حكى لي إنسان صوفي قال له أبو
القاسم؛ كان مختصاً بخدمته في الحبس، قال: لم يزل مشغولاً في محبسه بأمر آخرته، وكان
يقول كنت أخشى أن أنقل من الدست إلى القبر، فلما أن مرض قال لي في بعض الأيام: يا
أبال القاسم إذا جاء طائر أبيض إلى الدار فعرفني قال: فقلت في نفسي قد اختلط عقله
فلما كان الغد أكثر السؤال عنه، وإذا طائر أبيض لم أر مثله قد سقط، فقلت: قد جاء
الطائر فاستبشر ثم قال: جاء الحق وأقبل على الشهادة، وذكر الله تعالى إلى أن توفى. فلما
توفى طار ذاك الطائر، فعلمت أنه رأى شيئاً في معناه.
ودفن بالموصل عند فتح الكرامى رحمة الله عليهما نحو سنة، ثم نقل إلى المدينة، فدفن
بالقرب من حرم النبي صلى الله عليه وسلم في رباط بناه لنفسه. وقال لأبي القاسم: بيني
وبين أسد الدين شيركوه عهد ن مات منا قبل صاحبه حمله إلى المدينة فدفنه بها في التربة
التي عملها، فإذا أنا مت فامض إليه وذكره. فلما توفي سار أبو القاسم إلى شيركوه في
المعنى، فقال له شيركوه: كم تريد فقال أريد أجرة جمل يحمله، وجمل يحملني وزادي فانتهره
وقال: مثل جمال الدين يحمل هكذا إلى مكة وأعطاه مالا صالحاً ليحمل معه جماعة يحجون
عن جمال الدين، وجماعة يقرءون بين يدجي تابوته إذا حمل وإذا أنزل عن الجمل. فإذا وصل
إلى مدينة يدخل أولئك القراءون ينادون للصلاة عليه، فيصلى عليه في كل بلد يجتاز بها،
وأعطاه أيضاً مالا للصدقة فصلى عليه في كريت وبغداد والحلة فيد ومكة والمدينة، وكان
يجتمع له في كل بلد من الخلق ما لا يحصى، ولما أراد الصلاة عليه بالحلة صعد شاب على
موضع مرتفع وأنشد بأعلا صوته:

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما سرى جوده فوق الركاب ونائله
يمر على الوادي فتنثنى رماله عليه وبالنادي فتثنى أراملة

فلم ير باكياً أكثر من ذلك اليوم، وطافوا به حول الكعبة، وصلوا عليه بالحرم الشريف، وبين

قبره وقبر النبي صلى الله عليه وسلم خمسة عشر ذراعاً.
وأما سيرته رحمه الله فكان الوزير جمال الدين محمد بن علي
أسخى الناس وأكثرهم بذلاً
للمال، رحيماً بالخلق متعطفاً عليهم عادلاً فيهم، فمن أعماله
الحسنة أنه جدد بناء مسجد
الخيف بمنى وغرم عليه أموالاً كثيرة، وبنى الحجر بجانب
الكعبة، وزخرف الكعبة وأذهبها
وعملها بالرخام. ولما أراد ذلك أرسل إلى المتقي لأمر الله هدية
جليلة، وطلب منه ذلك،
وأرسل إلى الأمير عيسى أمير مكة هدية كبيرة، وخلعا ثنية، منها
عمامة شراها بثلثماية
دينار، حتى مكنه من ذلك. وعمر أيضاً المسجد الذي على جبل
عرفات، والدرج الذي
يصعد فيها إليه، وكان الناس يلقون شدة في صعودهم. وعمل
بعرفات أيضاً مصانع للماء،
وأجرى الماء إليها بن نعمان في طرق معمولة تحت الأرض.
وأخرج على ذلك مالاً كثيراً
وكان يجري الماء في المصانع في كل سنة أيام الحج. وبنى
سوراً على مدينة النبي صلى الله
عليه وسلم. وعلى فيد.
وكان يخرج على باب داره في كل يوم للصعالك والفقراء ماية
دينار أميري؛ هذا سوى
الإدرارات والتعهدات للأئمة والصالحين وأرباب البيوت. ومن
أبنيته العجيبة التي لم ير الناس
مثلها الجسر الذي بناه على دجلة عند جزيرة ابن عمر بالحجر
المنحوت والحديد
والرصاص والكلز فقبض قبل أن تكمل عمارته وبنى أيضاً جسراً
كذلك على النهر
المعروف بالأرفاد، وبنى الربط. وقصده الناس من أقطار
الأرض. وكانت صدقاته وصلاته
من أقاصي خراسان إلى حدود اليمن، وكان يشتري الأسرى في
كل سنة بعشرة آلاف
دينار، هذا من الشام حسب، سوى ما يشتري من الكرج.
وقال ابن الأثير: أيضاً حكى لي والدي عنه قال كثيراً ما كنت
أرى جمال الدين إذا قدم
إليه الطعام يأخذ منه ومن الحلوى ويتركه في خبز بين يديه.
فكنت أنا ومن يراه نظن أنه
يحمله إلى أم ولده علي. فاتفق أنه في بعض السنين جاء إلى
الجزيرة مع قطب الدين، وكنت
أتولى ديوانها، وحمل جاريته أم ولده إلى داري لتدخل الحمام،
فبقيت في الدار أياماً. فبينما

أنا عنده في الخيام، وقد أكل الطعام فعل كما كان يفعل. ثم تفرق الناس فقمت فقال: اقعد
فقعدت. فلما خلا المكان قال لي: قد آثرتك اليوم على نفسي، فإنني في الخيام ما يمكنني أن
أفعل ما كنت أفعله. خذ هذا الخبر واحمله أنت في كمك في هذا المنديل، واترك الحماقة
من رأسك، وعد إلى بيتك، فإذا رأيت في طريقك فقيراً يقع في نفسك أنه مستحق، فاقعد
أنت بنفسك وأطعمه هذا الطعام قال: ففعلت ذلك، وكان معي جمع كثير ففرقتهم في الطريق
لئلا يروني أفعل ذلك، وبقيت في غلماني، فرأيت في موضع إنساناً أعمى وعنده أولاد له
وزوجته، وهم من الفقر على حال شديد، فنزلت عن دابتي إليهم وأخرجت الطعام
وأطعمتهم إياه. وقلت للرج تجيىء غداً بكرة إلى دار فلان، أعني داري - ولم أعرفه نفسي
- فإنني آخذ لك من صدقة جمال الدين شيئاً. ثم ركبت إليه العصر، فلما رآني قال: ما
الذي فعلت في الذي قلت لك فأخذت أذكر له شيئاً يتعلق بدولتهم فقال: ليس عن هذا
أسألك، إنما أسألك عن الطعام الذي سلمته إليك فذكرت له الحال ففرح، ثم قال: بقي أنك
قلت للرجل يجىء إليك هو وأهله فتكسوهم وتعطيهم دنانير وتجري لهم كل شهر دنانير قال:
فقلت له: قد قلت للرجل يجى إلي فازداد فرحاً وفعل للرجل ما قال. ولم يزل يصل إليه
رسمه حتى قبض. قال: وله من هذا كثير. فمن ذلك أنه تصدق بثيابه من على بدنه في
بعض السنين التي تعذرت فيها الأقوات.
ولما وقفت على ترجمته لهجت بالترحم عليه، وقرأت ختمة شريفة في شهر رمضان سنة
أربع عشرة وسبعماية وسألت الله تعالى أن يسطر ثوابها في صحيفة حسناته، وقررت ذلك
على نفسي في كل سنة في شهر رمضان وأرجوا أن لا أقطعها ما لم أنس ذلك، رحمه الله
تعالى.
ذكر فراق زين الدين الموصل وتحكم قطب الدين
وفي سنة ثلاث وستين وخمسماية فارق زين الدين علي بن بكتكين النايب عن قطب الدين
خدمته، وسار إلى أربل. وكان هو الحاكم في الدولة وأكثر البلاد بيده، ومنها أربل وبها

أهله وأولاده وخزانته، وشهرزور وجميع القلاع التي معها، وجميع بلاد الهكارية وبلد
الحمدية، وتكريت وسنجار، وحران، وقلعة الموصل هو بها. وكان قد أصابه طرش ثم
عمى، فما عزم على مفارقة الموصل إلى بيته بأربل، سلم جميع ما كان بيده من البلاد إلى
قطب الدين، وبقي معه أربل خاصة. وكان شجاعاً عاقلاً حسن السيرة سليم القلب
ميمون النقيبة، ما انهزم من حرب قط. وكان كريماً كثير العطاء للجند وغيرهم، فمن
عطاياه أن الحيص بيص الشاعر قد امتدحه بقصيدة، فلما أراد إنشادها قال له: أنا لا
أعرف ما تقول ولكني أعلم ما تريد وأمر له بخمسمائة دينار وخلعة وفرس فكان مجموع
ذلك بألف دينار. ولم يزل بأربل إلى أن مات بها في هذه السنة.
ولما فارق زين الدين قلعة الموصل سلمها قطب الدين إلى فخر الدين عبد المسيح وحكمه
في البلاد، فعمر القلعة وكانت خراباً لأن زين الدين كان قليل الالتفات إلى العمارة. وسار
عبد المسيح سيرة شديدة وسياسة عظيمة وكان خصباً أبيض من مماليك أتابك زنكي.

ذكر وفاة قطب الدين مودود وملك ولده سيف الدين غازي

كانت وفاة قطب الدين مودود بن زنكي بالموصل في ذي الحجة سنة خمس وستين
وخمسماية، وقيل في شوال منها. وكان مرضه حمى حادة فكانت مدة ملكه إحدى
وعشرين سنة وشهوراً. وكان من أحسن الملوك سيرة، وأعفهم عن أموال الرعية، كثير
الإنعام والإحسان إليهم، محبوباً إلى كبيرهم، وصغيرهم عطوفاً على ريفهم ووضيعهم، كريم
الأخلاق. ولما مات رحمه الله تعالى ملك بعده ولده سيف الدين غازي.

سيف الدين غازي
بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي
ملك الموصل وما كان بيد والده قطب الدين بعد وفاته في ذي الحجة أو شوال سنة خمس
وستين وخمسماية؛ بوصية من أبيه. وكان والده قد أوصى بالملك بعده لولده الأكبر عماد
الدين زنكي، فعرف عبد المسيح رأيه عنه. فلما كان في اليوم الثاني استخلف سيف الدين
غازي، فاستقر في الملك بعد وفاة أبيه، واستولى عبد المسيح على المملكة. ولم يكن لغازي

معه غير الاسم، فاتصل ذلك بنور الدين محمود، فأزعجه وأنف منه وكبر لديه، فسار إلى
الموصل سنة ست وستين وجخلها من غير قتال. وكان الجند والعوام قد كاتبوه في تسليم
البلد إليه. فلما علم بذلك بعد المسيح كاتبه أيضاً وسأله الأمان، فأمنه وقال: لا سبيل أن
يكون بالموصل؛ ونقله إلى الشام وجخل نور الدين الموصل في ثالث عشر جمادي الأولى، وأقر
سيف الدين غازي على الموصل، وولى القلعة خادماً يقال له سعد الدين كمشتكين، وجعله
دزدارا ثم عاد إلى الشام رحمه الله.

ملك غارى بلاد الجزيرية

كان سبب ذلك أن عمه الملك العادل نور الدين قد استدعاه بعساكر الموصل وديار الجزيرة
وغيرها لقصد الغزاة فسار سيف الدين غازي وجعل على مقدمته سعد الدين كمشتكين.
فلما كانوا ببعض الطريق، وافاهم الخبر بوفاة نور الدين، فهرب سعد الدين جريدة، واستولى
غازي على بركه وثقله وموجوده. وعاد إلى نصيبين فملكها، وأرسل الشحن إلى الخابور،
واستولى عليه وأقطعه. وسار إلى حران فحصرها عدة أيام، وبها قايماز الحراني مملوك نور
الدين، فأطاعه بعد امتناع على أن تكون حران له. فلما نزل إليه، قبض عليه سيف الدين
غازي، وسار إلى الرها فحصرها وملكها، وبها خادم خصي أسود لنور الدين، فسلمها
وطلب عوضها قلعة الزعفران من أعمال جزيرة ابن عمر، فأعطيها ثم أخذت منه، ثم انتهى
حاله إلى أن استعطى ما يقوم به.

وسير سيف الدين إلى الرقة، فملكها وملك سروج وجميع بلاد الجزيرة، إلا قلعة جعبر
لحصانتها، ورأس عين لأنها كانت لقطب الدين صاحب ماردين.

وعاد عبد المسيح إلى
خدمة سيف الدين من سيواس، وحسن لسيف الدين العبور إلى الشام ليملكه، فأشار
عليه عز الدين محمود - وهو من أكابر الأمراء - أن يقتصر على ما بيده، فرجع إليه وعاد
إلى الموصل، وذلك في سنة تسع وستين وخمسماية.

ذكر حصره أخاه زنكي بسنجار

وفي سنة سبعين وخمسماية في شهر رمضان حصر سيف الدين غازي أخاه عماد الدين

زنكي بسنجار. وكان سبب ذلك أن الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين كتب إلى ابن
عمه سيف الدينأأخأخ غازي يستحثه على الوصول إليه ليدفع الملك الناصر صلاح
الدين يوسف عن حلب، فجمع سيف الدين غازي العساكر، وكاتب أخاه عماد الدين في
اللحاق به. وكان صلاح الدين قد كاتبه وأطعمه في الملك، فامتنع عماد الدين بسبب ذلك.
فجهز سيف الدين العساكر مع أخيه عز الدين مسعود إلى الشام. وتوجه هو سيف الدين
لحصار أخيه بسنجار، فحصرها وبينما هو كذلك، إذ أتاه الخبر بانهزام أخيه مسعود من
صلاح الدين، فراسل حينئذ أخاه عماد الدين وصالحه على ما بيده، ورحل إلى الموصل.
ثم كان بين سيف الدين وبين الملك الناصر صلاح الدين ما نذكره في أخبار الملك الناصر
من هزيمة غازي في سنة إحدى وسبعين.
ورجع سيف الدين إلى الموصل. وعزل عز الدين زلفندار استعمل مكانه في إمارة الجيش
مجاهد الدين قايماز.
وفي سنة اثنتين وسبعين وخمسماية عصى شهاب الدين محمد بن مروان صاحب شهرزور
على سيف الدين غازي وكان قبل ذلك في طاعته، فراسله في معاودة الطاعة. فعاد
وحضر إلى الخدمة
ذكر وفاة سيف الدين غازي
كانت وفاته في ثالث صفر سنة ست وسبعين وخمسماية وكان مرضه السل، فطال به، ثم
أدركه سرنيام فمات، وعمره نحواً من ثلاثين سنة، وكانت مجة ولايته عشر سنين وشهوراً
وكان حسن الصورة تام القامة أبيض اللون. وكان عاقلاً وقوراً قليل الالتفات إذا ركب وإذا
جلس ولم يذكر عنه في نفسه ما ينافي العفاف. وكان شديد الغيرة لا يدخل دوره غير الخدام
الصغار فإذا كبر أحدهم منعه. وكان لا يحب سفك الدماء ولا أخذ الأموال على شحه
وجبنه.
ولما اشتد مرضه أوصى بالملك لولده معز الدين سنجر شاه، وكان عمره حينئذ اثنتي
عشرة سنة، فخاف على الدولة من ذلك، لتمكن صلاح الدين يوسف بالشام، وامتنع عز

الدين مسعود من الموافقة والأيمان. فأشار الأمراء أن يكون الملك بعده لعز الدين مسعود
أخيه. ففعل، وجعل لولده سنجر شاه جزيرة ابن عمر وقلاعها، وجعل قلعة الحميدية لولده
الصغير ناصر الدين كسك
ذكر ملك عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي
ملك الموصل بعد وفاة أخيه سيف الدين غازي في ثالث صفر سنة ست وسبعين
وخمسماية، وقام بتدبير دولته مجاهد الدين قايماز. وفي سنة سبع وسبعين كانت وفاة الملك
الصالح اسماعيل، وأوصى بحلب لعز الدين مسعود كما ذكرناه في أخباره. فكاتبه الأمراء
بذلك واستدعوه لتسليمها. فسار إليها ومعه مجاهد الدين قايماز، فدخلها في العشرين من
شعبان منها وأقام بحلب عدة شهور ثم سار إلى الرقة.
ذكر تسليم حلب إلى عماد الدين زنكي وأخذ سنجار عوضاً عنها
قال: ولا فارق عز الدين مسعود حلب ووصل إلى الرقة، جاءته رسل أخيه عماد الدين
زنكي صاحب سنجار يطلب منه أن يسلم إليه مدينة حلب ويأخذ سنجار، فلم يجب إلى
ذلك، فراسله مرة أخرى وألح في طلبها، وقال متى لم تسلم إلى حلب وإلا سلمت أنا
سنجار إلى صلاح الدين، فأشار الأمراء بتسليمها إليه فسلمها له، وتسلم سنجار، وعاد
إلى الموصل.
ذكر القبض على مجاهد الدين قايماز
وفي جمادي الأولى سنة تسع وسبعين وخمسمائة قبض عز الدين مسعود على نائبه مجاهد
الدين قايماز. ولما قصد القبض عليه لم يقدم عليه مفاجأة لقوة مجاهد الدين، فأظهر المرض
وانقطع عن الركوب فدخل إليه مجاهد الدين وحده، وكان خصيصاً به لا يمنع من الدخول
على النساء. فقبض عليه وركب لوقته إلى القلعة. واحتوى على أموال وقايماز وخزائنه،
وولى زلفندار قلعة الموصل وجعل شرف الدين أحمد بن أبي الخير - وهو ابن أمير حاجب
العراق - أمير حاجب، وحكمه في دولته. وكانت أربل وأعمالها تحت حكم مجاهد الدين،
ومعه فيها زين الدين يوسف بن زين الدين علي، وهو صبي صغير. وتحت حكمه أيضاً

جزيرة ابن عمر وهي لمعز الدين سنجر شاه ابن سيف الدين غازي، وهو صبي أيضاً؛
وبيده شهرزور وأعمالها ونوابه بها، ودقوقاً، وقلعة عقر الحميدية ونائبه بها. ولم يكن مع عز
الدين إلا الموصل خاصة وقلعتها لمجاهد الدين. فلما قبض امتنع صاحب أربل عن الطاعة،
واستبد صاحب الجزيرة وأرسل الخليفة من حصر دقوقا وأخذها، ولم يحصل لعز الدين غير
شهرزور والعقر، وصارت أربل والجزيرة أضر شيء عليه وأرسل صاحب أربل إلى الملك
الناصر صلاح الدين بالطاعة له، وقوى طمع الملك الناصر في الموصل لما قبض على مجاهد
الدين، فلما رأى عز الدين ما حصل من الضرر والفساد بسبب قبض مجاهد الدين، قبض
على شرف الدين أحمد الحاجب وزلفندار، عقوبة لهما كونهما حسنا له القبض على
قايماز.

ذكر اطلاق مجاهد الدين قايماز وما كان من العجم وانهزامهم

قال: وفي المحرم سنة ثمانين وخمسماية أطلق عز الدين مسعود مجاهد الدين قايماز، وذلك
بشفاعة شمس الدين بن البهلوان صاحب همذان وبلاد الجبل. ولما أطلقه سيره إلى ابن
البهلوان وإلى أخيه قزل يستنجدهما على صلاح الدين. فبدأ في مسيره بقزل وهو صاحب
أذربيجان، فلم يمكنه من المضي إلى شمس الدين، وقال: مهما يختار أنا أفعله وجهز معه
ثلاثة آلاف فارس، وساروا نحو أربل ليحصروها. فلما قاربوها أفسدوا في البلاد
وخربوها، وسبوا وأخذوا النساء قهراً، ولم يقدر مجاهد الدين على منعهم. وسار إليهم
زين الدين يوسف صاحب أربل في عسكره، فلقيهم وهم قد تفرقوا للنهب، فانتهز الفرصة
وقاتل من لقي منهم، فهزمهم وتمت الهزيمة على العجم، وغنم الإربليون أموالهم ودوابهم
وسلاحهم، وعاد العجم إلى بلادهم، وعاد مجاهد الدين إلى الموصل، وكان يقول: ما زلنا
ننتظر العقوبة من الله عز وجل على سوء فعل العجم.

ذكر وفاة عز الدين مسعود

كانت وفاته في التاسع والعشرين من شعبان سنة تسع وثمانين وخمسمائة. ودفن بالمدرسة
التي أنشأها بالموصل مقابل دار المملكة وبقي في مرضه ما يزيد على عشرة أيام لا ينطق إلا

بالشهادتين وتلاوة القرآن والاستغفار. وكانت مدة ملكه ثلاثاً وعشرين سنة وسبعة أشهر
إلا أياماً. وكان خير الطبع كثير الخير والإحسان وزيارة الصلحاء وبرهم. وكان حليماً
قليل المعاقبة كثير الحياء لا يكلم جلساءه إلا وهو مطرق. وما قال في شيء سئله لا ولبس
خرف التصوف بمكة، وكان يلبسها في كل ليلة، ويخرج إلى مسجد بناه في داره فيصلي فيه
نحو ثلث الليل، رحمه الله.
وملك بعده ولده نور الدين أرسلان شاه بن مسعود، وقام بتدبير دولته في ابتدائها مجاهد
الدين قايماز مدبر دولة والده، واستمر نور الدين أرسلان شاه في الملك إلى سنة سبع
وستماية، فتوفي في أوائل شهر ربيع منها، ودفن في مدرسته التي أنشأها مقابل داره بالموصل.
وكانت علته قد طالت، وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة وأحد عشر شهراً. وكان بينه
وبين الملك العادل بن أيوب مخالفة، ثم اتفاق ومصاهرة. وكان شهماً شجاعاً ذا سياسة
للرعايا شديداً على أصحابه مانعاً من تعدى بعضهم على بعض.
ولما مات ملك بعده ولده الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه بن عز
الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي. وكان والده قد حلف له
العساكر وأعطى ولده الأصغر عماد الدين زنكي قلعة عقر الحميدية وقلعة سوس وأمر أن
يتولى تدبير دولة القاهر فتاه بدر الدين لؤلؤ، فقام بتدبير الدولة والنظر في مصالحهما. واستمر
الملك القاهر في الملك إلى سنة خمس عشرة وستماية، فتوفي في ليلة الأثنين لثلاث بقين من
شهر ربيع الأول منها، فكانت ولايته سبع سنين وتسعة أشهر. وكان كريماً قليل الطمع في
أموال رعيته مقبلاً على أمرائه. وملك بعده ولده نور الدين أرسلان شاه بن الملك القاهر
عز الدين مسعود بن أرسلان شاه ملك الموصل، بوصية من أبيه. وكان عمره يوم ذاك
عشر سنين. وجعل الوصي عليه والمدبر لدولته بدر الدين لؤلؤ فقام أحسن قيام وراسل
الملوك أصحاب الأطراف المجاورين له، وطلب منهم تجديد العهد لنور الدين على القاعدة
التي كانت اتفقت بينهم وبين أبيه، فوافقوه. وكتب إلى الديوان العزيز، فجاءته الخلع والتقليد

من الخليفة بولاية نور الدين. ونظر بدر الدين في أمور الدولة فلم يلبث نور الدين إلى أن توفي
في هذه السنة.
ولما مات استحلف بدر الدين لؤلؤ العساكر لأخيه ناصر الدين محمود بن الملك القاهر عز
الدين مسعود بن أرسلان شاه، وله من العمر ثلاث سنين.
واستمر بدر الدين لؤلؤ في تدبير
الدولة، فتجدد طمع عز الدين زنكي بن مسعود ومظفر الدين عميه في ملك الموصل لصغر
سنة، فجمعا الرجال وتجهزا للحركة، وقصدا أطراف الموصل بالنهب والفساد، فخرج إليهم
بدر الدين لؤلؤ بعساكر الموصل، والتقوا، فكانت الهزيمة على العسكر البدري، وعاد إلى
الموصل وتبعه مظفر الدين، ثم حصل الاتفاق بعد ذلك واستقر كل واحد على ما بيده. ثم